

تأليف
الشيخ هبسي سليمان غياوحي

مدرس الفقه المساعد في قسم الشريعة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

مسائل

في

علم التوحيد

سني

D03960419W



Duke University Libraries

دار البشائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العنوان : مسائل في علم التوحيد

تأليف : وهبة سليمان غاوجي

عدد الصفحات : ٢١٥ صفحة

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٤ سم

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

الطبعة : المطبعة الدمشقية

حقوق الطبع محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والرجعة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

الكتب والدراسات التي تصدرها
الدار لا تعني بالضرورة تبني
الأفكار الواردة فيها ؛ وهي تُعبّر
عن آراء واجتهادات أصحابها



دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - شارع ٢٩ أيار - جادة كرجية حداد

هاتف : ٢٣١٦٦٦٨ - ٢٣١٦٦٦٩

ص. ب ٤٩٢٦ سورية - فاكس ٢٣١٦١٩٦

الموقع : www.daralbashaer.com

البريد الإلكتروني : info@daralbashaer.com

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

مسائل
في
علم التوحيد

تأليف
الشيخ هبّي سليمان غاوي

مدرس الفقه المساعد في قسم الشريعة
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

دار البشائر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ الآية .

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فعلم التوحيد ، أي : الإيمان بأن الله تعالى واحد هو موضوع التوحيد ، أي : توحيد ذات الله تعالى ، فلا شريك ولا ولد ولا كفء له سبحانه . وتوحيد صفات الله تعالى ؛ فصفاته سبحانه كذاته أزلية أبدية كاملة لا يعتريها نقص ، ولا تحتاج إلى زيادة ، وتوحيد أفعاله ؛ فكل ما جرى ويجري في الكون فعل الله تعالى لا شريك له سبحانه في ذلك ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : ٩٦] ^(١).

التوحيد : هو عقد القلب وطمأنينة النفس إلى أركان الإيمان الستة الممثلة في حديث البخاري وغيره : « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر » .

قال العلامة طاش كبري زاده : « . . . وبالجمله ، فالكلام موضوع لإثبات الواجب لله تعالى وصفاته والنوبة والمعاد على قانون الإسلام ، وغير ذلك من المباحث العقلية والقوانين المنطقية التي هي مبادئ لذلك .

(١) انظر إن شئت : « كشف اصطلاحات الفنون » (١٣٦ / ٢) .

ولا يخفى أن المباحث المذكورة لتقوية الكتاب والسنة ، لا لمخالفتها ، فلا حرمة أو كراهة فيها بل هي فرض ؛ لأن بعض المباحث المذكورة - في علم الكلام ، أي : التوحيد - فرض عين ، كالإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وبعض آخر منها فرض على الكفاية كالمباحث الأخر . والغاية فيه حراسة العقيدة على العوام ، وحفظها من تشويشات المبتدعة ، وهذه من فروض الكفاية ، كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق . . . » .

ثم قال : « ولما صار حدود المائة من الهجرة وانقضى الصدر الأول من الصحابة ظهر بين الناس الجدل والمراء ، والعصبية والهوى ، وظهر التشويش على عقائد المسلمين ، وخرم نظام الدين وتشعبت مسالك الإسلام ، واشتبهت الصحة بالسقام ، حتى إن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنهما : ظهر في زماننا رجال يشربون الخمر ويزنون ويسرقون ويقتلون النفس التي حرم الله ثم يحتجون علينا ويقولون : كان ذلك في علم الله . فغضب ابن عمر رضي الله عنهما وقال : سبحان الله ، كان ذلك في علم الله ، ولم يكن علم الله يحملهم على المعاصي »^(١) .

ثم ظهرت الخوارج والمعتزلة وأصبحت لهم صولات وجولات في عقائد المسلمين ، وادعى الجعد بن درهم أن القرآن مخلوق ، وتلقف ذلك عنه جهنم بن صفوان الذي زعم فناء الجنة والنار بعد حين ، وزعم حلول الحوادث بالله تعالى بزيادة ، فادعى أن الله تعالى أحدث له كلاماً ، وجعله قرآناً ، فقال : القرآن مخلوق . فكفره المسلمون لهذا ، لزعمه الزيادة في صفات الله ، لا أن القرآن المكتوب في الألواح والمحفوظ والمكتوب في المصاحف ؛ فإنه مخلوق لأن : (ما بالخالق غير مخلوق وما بالمخلوق مخلوق) كما قال

(١) « مفتاح السعادة » (١٤٢/٢ - ١٤٣) .

أبو حنيفة رحمه الله تعالى .

وتبع جهماً في القول بحلول الحوادث بالله تعالى جهال فزعموا ما لا يقبله الشرع ولا العقل من إثبات الحركة لله تعالى والنقلة والحد والجهة والقعود والإقعاد والاستلقاء والاستقرار إلى غير ذلك .

وظهر ثمة المجسمة الذين جعلوا الله تعالى جسماً من لحم وغيره كما قال مقاتل بن سليمان ، أو أن الله تعالى جسم طوله سبعة أشبار من شبر نفسه ، أو أنه أشمط الرأس أو أنه شاب ققط ، والعياذ بالله .

وما تزال . . ولا تزال تظهر أفكار تشوش العقيدة وتناقضها كادعاء العصمة لغير الأنبياء ، والبداء على الله ، والتوالد الذاتي .

فقام علماء الدين حراس العقيدة يكتبون الكتب ويضعون الرسائل في سبيل المحافظة على عقيدة الأمة سليمة طاهرة كما أنزلها الله تعالى ، وكان أولهم في الكتابة في العقيدة الإمام التابعي الجليل أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، فكتب « الفقه الأكبر » ، وغيره ، ثم ألف بعد احتدام الجدل وظهور الشقاق في العقيدة الإمام ناصر السنة أبو الحسن الأشعري ، رحمه الله تعالى ، الذي وفقه الله تعالى لجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم وقمع المعاندين وكسر تطرفهم ، وتواردت عليه المسائل من أقطار العالم فأجاب عنها ، فطبق ذكره الآفاق وملاً العالم بكتبه وكتب أصحابه في السنة ، والرد على أصناف المبتدعة والملاحدة وأهل الكتاب ، وتفرق أصحابه في بلاد العراق وخراسان والشام وبلاد المغرب ، ومضى لسبيله ، فرحمه الله تعالى وأمثاله من نصراء العقيدة وحماة الإسلام وجزاهم خير الجزاء وأوفاه ، إنه جواد كريم .

وقد ظهر في عصرنا هذا من يردد مقالات الناشزين وغلو المجسمين ، وكأن الزمان قد استدار كهياته ، فباتت الأمة في أمس الحاجة إلى إزالة هذا

الغبش الذي يعلو فوق العقيدة الصحيحة ، ويزيل ركام الغشاوة عن عيون المتأثرين بالآراء الدخيلة .

لذا ، فقد وجدت من اللازم تذكير أولي الألباب بكلمة موجزة عن علم التوحيد وأهميته ، والوقوف على المراد من مصطلح أهل السنة والجماعة ، والتنويه بأبرز الأعلام الذين خدموا هذا العلم و زادوا عن حياض العقيدة ، وقدموا خدمات جلّى لنشره في ربوع الإسلام .

كما تعرضت لبعض المسائل العقدية وألقيت عليها بعض الأضواء الضرورية . والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين .
والحمد لله رب العالمين .

وهبي سليمان غاوجي

تمهيد في تعريف علم التوحيد وأهميته

قال العلامة ابن خلدون في (المقدمة) :

علم الكلام : علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ،
والردّ على المبتدعة والمحرّفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل
السنة^(١) .

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لعن الله عمرو بن عبيد المعتزلي ؛
فإنه فتح للناس طريق الكلام فيما لا يعنيه من الكلام .

وقال مالك رحمه الله تعالى : إياكم والبدع ، قيل : يا أبا عبد الله
وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه
وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان .
اهـ^(٢) .

وقال العلامة أحمد بن مصطفى طاش كبري زاده في (مفتاح السعادة) :
علم التوحيد علمٌ يُقتدر معه على إثبات الحقائق الدينية بإيراد الحجج بها ،
ودفع الشبه عنها^(٣) . وقال بعد صفحة : ومنفعة علم الكلام الفوز بالسعادة

(١) ص (٤٤٨) .

(٢) عن تمهيد لتاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرازق ، شيخ الأزهر الشريف ،
ص (١٥٥) .

(٣) (١٣٢ / ٢) .

الأبدية والسعادة السرمدية . اهـ^(١) .

وقال العلامة الزاهد عبد الكريم القشيري - في رسالة يدافع فيها عن الإمام الأشعري رحمه الله ، ويدفع ما افترى عليه من أقوال :

إن قالوا : الاشتغال بعلم الكلام بدعة ومخالفة لطريق السلف .

قيل : لا يختص بهذا السؤال الأشعري دون غيره . ثم الاسترواح إلى مثل هذا الكلام صفة الحشوية الذين لا تحصيل لهم ، وكيف يُظن بسلف الأمة أنهم لم يسلكوا سبيل النظر ، وأنهم اتصفوا بالتقليد ؟ حاشا لله أن يكون ذلك وضمهم .

ولقد كان السلف من الصحابة رضوان الله عليهم مشغولين بما عرفوا من الحق وسمعوا من رسول الله ﷺ من أوصاف المعبود ، وتأملوا الأدلة المنصوبة في القرآن ، وأخبار رسول الله ﷺ في مسائل التوحيد ، وكذلك التابعون وأتباع التابعين ؛ لقرب عهدهم من رسول الله ﷺ .

فلما ظهر أهل الأهواء وكثر أهل البدع من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية وردوا السنة ، انتدب أهل السنة لمخالفتهم ، وإيضاحاً لمباينتهم طريقَتهم ، فلما أشفقوا على القلوب أن يخامرها شبههم ، شرعوا في الرد عليهم وكشف شبههم ، أجابوا على أسئلتهم ، وحاموا عن دين الله تعالى بإيضاح الحجج .

ولما قال الله تعالى : ﴿ وَخَدِلْتُم بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

تأدبوا بآدابه ، ولم يقولوا في مسائل التوحيد إلا بما نبههم الله تعالى عليه في محكم التنزيل .

(١) (١٣٣ / ٢) .

والعجب ، ممن يقول : ليس في القرآن علم الكلام .

والآيات التي في الأحكام الشرعية نجدها محصورة ، والآيات المشبهة على علم الأصول تجدها تومىء على ذلك وتربي بكثير .

وفي الجملة لا يجحد علم الكلام إلا أحد رجلين : جاهل رَكَنَ إلى التقليد وشق عليه سلوك أهل التحصيل ، وخَلَا عن طريق النظر و(النَّاسُ أعداء ما جهلوا) ، فلما انتهى عن التحقيق بهذا العلم نهى الناس ، ليضل كما ضل .
أو رجل يعتقد عقائد فاسدة ، وينطوي على بدع خفية ، فلبس على الناس عُوار مذهبه وعمى عليهم فضائح عقيدته ، ويعلم أن أهل التحصيل من أهل النظر هم الذين يهتكون الستر ، ويظهرون للناس قبح مقالاتهم ، والقلاب لا يحب من يميز النقود والحلي لما في يده من النقود الفاسدة ، لأن الصرف والتمييز والبصيرة (صنعته) ، وقد قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] ^(١) ، اهـ .

كتب أحد الدكاترة يقول : إن عقيدة الأشاعرة موروثه من فلاسفة اليونان ، فانبرى يرد عليه الشيخ حسن السقاف - لكن بقسوة - متهماً شيخه الذي يُعدّ من المكثرين في الكلام في العقائد ، وهو يعدّ إماماً لأتباعه ، وإذا اختلفوا رجعوا إلى قوله وفسروه بما يفهمون أو يشتهون ، فذكر أن ابن تيمية ذكر في « منهاج السنة » الفيلسوف أرسطاطاليس وغيره من الفلاسفة كثيراً ، فقد نقل من ص (٤١ ، ١٠٥) عشرات المرات التي ذكر فيها ذلك الفيلسوف الكافر .

ومثاله :

ص (٤١) : كما يقول بذلك جماهير الفلاسفة الأساطين الذين يقولون

(١) « شكايه أهل السنة » ، للقشيري رحمه الله تعالى ص (٤٧ ، ٤٨) .

بحدوث الأفلاك وغيرها ، أرسطو وأصحابه .

ص (٤٢) : حتى عند أرسطو وأتباعه القدماء والمتأخرين فإنهم موافقون
لسائر العقلاء . . .

إلى عشرين نقلاً ، ذكر فيها ذلك الفيلسوف ، فإذا كان بعض من اشتغل
بعلم التوحيد والكلام فترة نقل أقوال الفلاسفة ليردّ عليها ، فليس ذلك بدعاً ،
كما أن الشيخ ابن تيمية نقل ذلك بياناً للحق .

إذا وجدنا الإمام الجويني في « العقيدة النظامية » ، والرازي في « وصيته »
ندموا على بعض ما اشتغلوا به من علم الكلام ورجعوا عنه ، فإنما رجعوا إلى
التفويض والتسليم الذي هو عقيدة السلف الصالح ، فإذا وجدنا بعضهم يذم
علم الكلام فإنما يفعل ذلك لجهله أو لستر دعوته ، كما قال القشيري ،
والاشتغال به ونسيان أدلة الشرع في ذلك العلم حتى لا يكاد يذكر أدلة الشرع
في علم التوحيد ، وذلك شذوذ ومبالغة غير مقبولة .

* * *

أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة هم الذين التزموا طريق السنة التي سنّها رسول الله ﷺ وسار عليها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، قبل بدء البدعات كالاعتزال والتشيع والرفض ، وغيرها .

ورئيساً أهل السنة رجلان :

أحدهما حنفي : وهو الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، إمام الهدى ، وله المؤلفات العديدة ، منها : « تأويلات القرآن الكريم » ، وكتاب « التوحيد » ، وكتاب « المقالات » وغيرها ، كما سذكرها قريباً إن شاء الله تعالى ، توفي سنة ٣٣٣ .

والآخر شافعي : وهو إمام المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إمام السنة ، ولد سنة ٢٢٦ ، وتبع أولاً الجبائي المعتزلي ، واستمر على الاعتزال أربعين سنة ، فلما ترك مذهب أهل الاعتزال إلى السنة اشتغل هو ومن تبعه بإبطال رأي المعتزلة وإثبات ما ورد به السنة ، ومضى عليه الجماعة ، وسموا أنفسهم أهل السنة والجماعة . وتوفي الأشعري رحمه الله تعالى سنة ٣٣٠^(١) .

وقال القاضي كمال الدين أحمد البيضاوي من قضاة وأعيان القرن الحادي عشر : إذا أطلق « أهل السنة والجماعة » ، فالمراد بهم الأشاعرة

(١) انظر : كتاب « التعريفات الفقهية » ، للشيخ المفتي محمد عيم الإحسان المجددي ، (١٩٧) .

والماتريدية .

وقال ابن السبكي في « شرح عقيدة ابن الحاجب » : اعلم أن أهل السنّة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجوز ويستحيل ، وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ المؤهلة لذلك .

مدارس عقيدة أهل السنة والجماعة

وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاث طوائف :

الأولى : أهل الحديث ، ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية من الكتاب والسنة والإجماع .

الثانية : أهل النظر العقلي وهم الأشعرية والحنفية الماتريدية ، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري ، وشيخ الحنفية ، أبو منصور الماتريدي ، وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه ، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط ، والعقلية والسمعية في غيرها ، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل .

الثالثة : أهل الوجدان والكشف وهم الصوفية ، ومبادئهم مبادئ أهل النظر في الحديث في البداية ، والكشف والإلهام في النهاية . اهـ^(١) .

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي الأثري : أهل السنة ثلاث فرق : الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي^(٢) .

وقال أيضاً : فالأئمة الأربعة ، والسفيانان ، والحمّادان ، وابن أبي شيبة ، والليث بن سعد ، وابن أبي ذئب ، وربيعه بن عبد الرحمن ،

(١) « إشارات المرام » . تعليقاً ص (٢٩٨) .

(٢) « لوائح الأنوار الإلهية البهية وسواطع الأسرار الأثرية » ، « شرح الدرر المضية في عقد الفرق الناجية » ، ص (٧٣) ، ص (٢٢) .

والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن ماجه ، وابن حبان ، وأبو ثور ، وابن جريج ، والأوزاعي ، وابن الماجشون ، وابن أبي ليلى ، وأبو عبيد بن سلام ، والمسعر بن كدام ، ومحمد بن يحيى الذهلي إمام أهل خراسان بعد إسحاق بلا مدافعة ، وأبو حاتم الرازي ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغير هؤلاء كلهم على عقيدة واحدة سلفية أثرية . اهـ .

أقول : كان الإمامان أبو الحسن وأبو منصور رحمهما الله تعالى رأسين في تقرير معتقد أهل السنة والجماعة ، في مسائل التوحيد أو علم الكلام كما يسميه بعضهم ، حتى أضحى الناس تابعين لهما ، وهما رضي الله عنهما لم يبتدعا شيئاً في الدين إنما وضّحا وضربا الأمثال ، وقعدا القواعد ، ثم بلغ مذهب كل منهما من التمهيص على تعاقب القرون بأيدي نوابغ أهل النظر والفقه في الدين . اهـ^(١) .

وجاء في « الدليل القويم على الصراط المستقيم » : فكان الأشعري وأبو منصور الماتريدي أوضحاً ما كان عليه السلف بتقرير الأدلة بطريق الجمع بين الاستدلال بالعقل والنقل معاً ، فهما إماما أهل السنة . اهـ .

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن عمر الأنصاري الشافعي ، في كتابه « مغني المحدث في الأسفار عن حمل الأسفار » ، ما لفظه :

ثانيهما : ما ينقل عن أحمد رحمه الله تعالى من شوب عقيدته السليمة بالتجسيم ، حاشاه من ذلك ، لم يصح ذلك عنه بطريق من الطرق ولا نقل عنه الآخذون عنه ، والمؤلفون في مذهبه شيئاً من ذلك .

(١) انظر : « مقدمة تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، تصنيف مؤرخ الشام حجة الحفاظ ابن عساكر ، ص (١٧ ، ١٠٣) .

وقد روينا عن الإمام أبي الفرج ابن الجوزي ، والعلامة ابن قدامة الحنبلي إنكار ذلك غاية الإنكار ، بل لم يشتهر أحد من الحنابلة بذلك ، ولم يُعرف عنه ، إلاّ لبعض متأخريهم يوجد في كلامه شيء لم يبلغ رتبة التصريح .

وقال الذهبي في « بيان زغل العلوم » ، وقد ذكر الحنابلة ، وما يُنقم عليهم ما لفظه : والعلماء يتكلمون في عقيدتهم ، ويرمونهم بالتجسيم ، وبأنهم يلزمهم ، وهم بريئون من ذلك إلاّ النادر . اهـ .

وهذا في حق المدعين أنهم على مذهبه لا في حقه ، فإن لم ينسبوا ذلك إليه على جهة الرواية عنه فلا إشكال ، وإن نسبوا مذاهبهم إليه على جهة الرواية لها عنه ، فلا شك أن رواية الجَمِّ الغفير عنه للتنزيه أولى من رواية النادر للتشبيه ، وكل ذلك على مقتضى الأدلة عقلاً وسمعاً في الظنيات التي يمكن العمل فيها بالترجيح ، فأما التكفير القطعي ، فلا يَلْتَفُتُ إليه مع مثل هذا الاختلاف في النقل مُمَيَّزٌ^(١) .

وقال الذهبي في آخر الطبقة الرابعة من « تذاكرته » ، وهي أول المائة الثانية إلى الخمسين ومائة : وفي هذا الزمان ظهر بالبصرة عمرو بن عُبيد العابد ، وواصل بن عطاء الغزال ، ودعوا إلى الاعتزال والقول بالقدر . وظهر بخراسان الجهم بن صفوان ، ودعا إلى تعطيل صفات الرب عز وجل ، وخلق القرآن ، وظهر في خراسان في مقابلته مقاتل بن سليمان المفسّر ، وبالع في إثبات الصفات حتى جَسَمَ ، وقام على هؤلاء التابعون وأئمة السلف ، وحذروا من بدعتهم . اهـ^(٢) .

(١) ص (٣٩) .

(٢) ص (١٥٩) .

وله أمثاله ، ولعلماء الحديث وأهل الجرح والتعديل منهم التصريحُ بدم المجسمة ، والوصم لهم من الحنابلة وسواهم ، وما علمت أحداً منهم نسب إلى أحمد بن حنبل شيئاً من ذلك لا من أهل السنة منهم من الشافعية والحنفية والمالكية ، ولا من أهل علم الكلام الجامعين بين العلمين العقلي والنقلي ، وأهل الاطلاع التام على معرفة الرجال ، ومن أراد معرفة براءة الجميع من ذلك فليطالع كتاب « الأسماء والصفات » للبيهقي رحمه الله تعالى ، فإنه نقل عنهم من التأويل لما يوهم البعض منه التشبيه ما يشهد لهم بذلك . . . الخ^(١) .

وقال علامة المعتزلة عبد الحميد بن أبي الحديد في شرحه « نهج البلاغة » : أما أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى فلم يثبت عنه تشبيه ولا تجسيم أصلاً ، وإنما كان يقول بترك التأويل فقط ، ويطلق ما أطلقه الكتاب والسنة ، ولا يخوض في تأويله ، ويقف على قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] . انتهى بحروفه .

وفيه الترحم عليه وتنزيه المحققين من أصحابه عن ذلك أيضاً . اهـ منه^(٢) .

وانظر أقوال الإمامين الحنبلين أبي الفرج بن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » بتعليق الكوثري . وقصيدة الإمام محفوظ بن أحمد الكلوذاني في قصيدة مثبتة في أول كتاب « التمهيد في الأصول » له .

وقال العلامة عبد الله بن قدامة المقدسي في مقدمة « الكافي » : الحمد لله

(١) « العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم » ، للشيخ محمد بن إبراهيم الوزير اليماني ، تحقيق الشيخ شعيب أرنؤوط (٣ / ٣٢٥-٣٢٧) .

(٢) المصدر السابق (٣ / ٣١٨) .

الواحد القهار . . . إلى قوله : الذي امتنع عن تمثيل الأفكار ، وارتفع عن الوصف بالحدّ والمقدار .

أما رسالة عقيدة الإمام أحمد لأحمد الإصطخري ، فقد نصّ الذهبي أنها خرافة موضوعة ، وقال : قاتل الله واضعها^(١) .

* * *

(١) انظر : ترجمة الإمام أحمد في « سير أعلام النبلاء » (١٥) .

الإمام الماتريدي

وهذه كلمة وجيزة في الإمام الماتريدي رحمه الله تعالى ، فإنه أظهر عقيدة الإمام الأعظم أبي حنيفة وصاغها كتباً ورسائل ، ثم سلك على منوالها من سلك من أبي معين النسفي وابن الهمام ، فسموا عقيدتهم عقيدة الإمام الماتريدي ، وعليها إلى الآن أكثر الحنفية في العالم .

ترجمة الماتريدي :

هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الحنفي المتكلم ، و« ماتريد » ، ويقال « ماتريت » بالمشناة الفوقية بدل الدال في آخره مَحَلَّة بسمرقند أو قرية بها ، ويلقب بإمام الهدى .

قال الإمام الزبيدي : وحاصل ما ذكر عن صاحب « الجواهر المضية » وصاحب « الأنساب » : أنه كان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدين موطداً لعقائد أهل السُّنَّة ، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظرتهم ، وخَصَمَهُم في محاوراتهم حتى أسكتهم .

تخرج بالإمام العياضي ، وكان يقال له إمام الهدى . وله مصنفات منها : كتاب « التوحيد » ، وقد طبع بتحقيق الدكتور فتح الله ، وكتاب « المقالات » ، وكتاب « أوائل الأدلة » للكجبي ، وكتاب « بيان وهم المعتزلة » ، وكتاب « تأويلات القرآن » وهو كتاب لا يوازيه كتاب ، وقد طبع محققاً بالعراق ، وله غير ذلك في أصول الفقه .

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري

بقليل ، وقبره بسمرقند ، كذا وجد بخط الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي الحنفي . ثم قال : ومن شيوخه أبو نصر العياضي الذي تخرج به .

وقد كان من أهل العلم والجهاد ، ولم يكن أحد يضاهيه لعلمه وورعه وجلادته وشهامته .

ومن مشايخ الماتريدي : نصير بن يحيى البلخي ، ويقال : نصر . ومن مشايخ الماتريدي مقاتل الرازي ، قاضي الري ، ترجمه الذهبي في « الميزان » ، وقال : حدث عن وكيع وطبقته . . ثم قال : فأما أبو بكر الجوزجاني وأبو نصر العياضي ونصير بن يحيى فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني ، وهو على الإمامين أبي يوسف ومحمد بن الحسن ، وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحيى أيضاً على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي ، وأخذ محمد بن مقاتل أيضاً عن محمد بن الحسن ، أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة . اهـ^(١) .

فالإمام الماتريدي تلميذ الإمام أبي حنيفة بواسطة اثنين رحمهم الله تعالى^(٢) .

وقال العلامة الكوثري بعد أن سرد الكتب المتوارثة عن أبي حنيفة في العقيدة - وذكر سابقاً - : فبنور تلك الرسائل سعى أصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب أصحابه ، في إبانة الحق في المعتقد في غير لبس ولا تعمية ، على

(١) « إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين » ، للإمام محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدي (٥ / ٢) .

(٢) المصدر السابق .

طبق ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فنشروا العقيدة الصحيحة مع الفقه في بقاع العالم ، مشكورين على هذه الخدمة المهمة .

وكانت بلاد ما وراء النهر سليمة من أهل الأهواء والبدع لسلطان السنّة على النفوس هناك من غير منازع ، بتناقل تلك الآثار بينهم جيلاً بعد جيل ، إلى أن جاء إمام السنّة فيما وراء النهر أبو منصور محمد بن محمد الماتريدي المعروف بإمام الهدى ، فتفرغ لتحقيق مسائلها وتدقيق دلائلها ، فأرضى بمؤلفاته جانبي العقل والنقل في آن واحد .

ثم سرد مؤلفاته نقلاً عن « تاج التراجم » للعلامة قاسم بن قُطْلوبُغا ، رحمه الله تعالى^(١) .



-
- (١) انظر : « مقدمة إشارات المرام » ، للإمام الكوثري ص (٤-٧) .
- « إتحاف السادة المتقين » ، للعلامة محمد مرتضى الزبيدي (١٤/٢) .
- « كتاب التوحيد » للماتريدي ، مقدمة الدكتور أحمد فتح الله خلف .
- « أبو منصور الماتريدي » ، للأستاذ منصور بلقاسم .
- « المذاهب الإسلامية » للعلامة محمد أبو زهرة (١/١٧٦-١٨٦) ، و « الفوائد البهية » ، للإمام اللكنوي ص (١٩٥) .
- وانظر مقدمة الأستاذ بسام الجابي على / المسائل الخلافية بين الأشاعرة والماتريدية ، فقد أطلال في ترجمة الإمام أبي الحسن الأشعري وعدّ مؤلفاته ، وكذا فعل في حق الإمام الماتريدي وعدّ مؤلفاته ص ٦ - ٢٤ .

الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة

والخلاف بين الماتريدية والأشاعرة يكاد يكون خلافاً لفظياً ، وهو خلاف محصور في مسائل مذكورة في كتب علم الكلام ، منها : « إشارات المرام » للبياضى ، وغيرها .

وخلاصة تلك الخلافات أنها :

- ١- خلافات لا ترتفع إلى مسائل أصول الإيمان وقواعده .
 - ٢- لا تقع في مسائل صفات الله تعالى بنفي الثابت منها أو التحريف فيها والعياذ بالله .
 - ٣- ليست خلافاً بين كون الإنسان مجبوراً لا خيرة له بحال ، ولا حراً يخلق أفعال نفسه ، ويفعل ما يشاء ، وإنما وسط بين ذلك والحمد لله ، فإن الخلق كله لله ، وهو سبحانه خالق للعبد ولعمله ، وللعبد خيرة في كسب الأفعال الاختيارية .
 - ٤- ليست خلافاً بين تعطيل الله تعالى عن بعض الصفات ولا تشبيهه له سبحانه بخلقه في بعض الصفات ، وإنما هو تحقق إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من الصفات ، مع تنزيهه سبحانه عن مشابهة أحد من خلقه له سواء سبحانه في الصفات .
- وخلاصة الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة هو ما قاله أحد العلماء الكبار : هو خلاف في فهم المراد ببعض النصوص أو في المأخوذ من بعض النصوص ، والله أعلم^(١) .

(١) انظر «الروضة البهية في بيان ما بين الأشاعرة والماتريدية»؛ للعلامة الحسن بن عبد المحسن الشهير بأبي عذبة . نشر وتحقيق الأستاذ بسام الجابري .

تفصيل وبيان مَنْ هم أهل السنة

قال العلامة عبد القاهر البغدادي ، وهو أول من أفرد الفرق بكتاب ، في كتابه النافع « الفَرْق بين الفِرَق » :

الفصل الأول من فصول هذا الكتاب : في بيان أصناف أهل السنة والجماعة

اعلموا - أسعدكم الله - أن أهل السنة والجماعة ثمانية أصناف :

١- صنف منهم أحاطوا علماً بأبواب التوحيد والنبوة ، وأحكام الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب ، وشروط الاجتهاد والإمامة والزعامة ، وسلوكوا في هذا النوع من العلم طرق الصفاتية من المتكلمين الذين تبرؤوا من التشبيه والتعطيل ، ومن بدع الرافضة والخوارج والجهمية والنجارية وسائر أهل الأهواء الضالة .

٢- الصنف الثاني : أئمة الفقه من فريقَي الرأي والحديث ، من الذين اعتقدوا في الدين مذاهب الصفاتية في الله تعالى ، وفي صفاته الأزلية ، وتبرؤوا من القدر والاعتزال ، وأثبتوا رؤية الله تعالى بالأبصار من غير تشبيه ولا تعطيل ، وأثبتوا الحشر من القبور مع إثبات السؤال في القبر ، ومع إثبات الحوض والصراط والشفاعة وغفران الذنوب التي دون الشرك . وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها ، ودوام عذاب النار على الكفرة .

وقالوا بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وأحسنوا الثناء على السلف

الصالح من الأمة ، ورأوا وجوب الجمعة خلف الأئمة الذين تبرؤوا من أهل الأهواء الضالة . ورأوا وجوب استنباط أحكام الشريعة من القرآن والسنة ، ومن إجماع الصحابة ، ورأوا جواز المسح على الخفين ، ووقوع الطلاق الثلاث ، ورأوا تحريم المتعة ، ورأوا وجوب طاعة السلطان فيما ليس بمعصية .

ويدخل في هذه الجماعة : أصحاب مالك ، والشافعي ، والأوزاعي والثوري ، وأبي حنيفة ، وابن أبي ليلى ، وأصحاب أبي ثور ، وأصحاب أحمد بن حنبل ، وأهل الظاهر ، وسائر الفقهاء الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية ، ولم يخلطوا تفهمهم بشيء من أهل الأهواء الضالة .

٣- الصنف الثالث : هم الذين أحاطوا علماً بطريق الأخبار والسنن المأثورة عن النبي ﷺ ، وميزوا بين الصحيح والسقيم منها ، وعرفوا أسباب الجرح والتعديل ، ولم يخلطوا علمهم بشيء من بدع أهل الأهواء الضالة .

٤- والصنف الرابع ، منهم : قوم أحاطوا علماً بأكثر أبواب الأدب والنحو والتصريف ، وجروا على سمت أئمة أهل اللغة ، كالخليل وأبي عمرو بن العلاء ، وسيبويه ، والفرّاء ، والأخفش ، والأصمعي ، والمازني ، وأبي عبيد ، وسائر أئمة النحو من الكوفيين والبصريين ، الذين لم يخلطوا علمهم بشيء من بدع القدرية أو الرافضة أو الخوارج ، ومن مال منهم إلى شيء من أهل الأهواء لم يكن من أهل السنة ، ولا كان قولهم حجة في اللغة والنحو .

٥- الصنف الخامس ، منهم : هم الذين أحاطوا علماً بوجوه قراءات القرآن ، وبوجوه تفسير آيات القرآن ، وتأويلها على وفق مذاهب أهل السنة دون تأويلات أهل الأهواء الضالة .

٦- الصنف السادس ، منهم : الزهاد والصوفية الذين أبصروا فأقصروا ،

واختبروا فاعتبروا ، ورضوا بالمقدور ، وقنعوا بالميسور ، وعلموا أن السمع والبصر ، والفؤاد كل أولئك مسؤول عن الخير والشر ، ومحاسب على مثاقيل الذر ، فأعدوا خير الإعداد ليوم المعاد ، وجرى كلامهم في طريقي العبارة والإشارة على سمت أهل الحديث دون من يشتري لهو الحديث ، لا يعملون الخير رياء ، ولا يتركونه حياء ، وفيهم التوحيد ونفي التشبيه ، ومذهبهم التفويض إلى الله تعالى والتوكل عليه ، والتسليم لأمره والقناعة بما رزقوا ، والإعراض عن الاعتراض : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

٧- الصنف السابع ، منهم : قوم مرابطون في ثغور المسلمين في وجوه الكفرة يجاهدون أعداء المسلمين ، ويحمون حمى المسلمين ، ويذبون عن حريمهم وديارهم ، ويظهرون في ثغورهم مذاهب أهل السنة والجماعة ، وهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] ، زادهم الله توفيقاً بفضله ومنه .

٨- والصنف الثامن منهم : عامة البلدان التي غلب فيها شعار أهل السنة ، دون عامة البقاع التي ظهر فيها أهل الأهواء الضالة ، وإنما أردنا بهذا الصنف العامة الذين اعتقدوا تصويب أهل السنة والجماعة في أبواب العدل والتوحيد ، والوعد والوعيد ، ورجعوا إليهم في معالم دينهم ، وقلدوهم في فروع الحلال والحرام ، ولم يعتقدوا شيئاً من بدع أهل الأهواء الضالة ، وهؤلاء هم الذين سمّتهم الصوفية (حشو الجنة) .

فهؤلاء أصناف أهل السنة والجماعة ، ومجموعهم أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم ، ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه

بالإجابة جدير ، وعليها قدير . اهـ^(١) .

وللإمام أبي جعفر الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ رسالة سماها : « بيان اعتقاد أهل السنة على مذهب فقهاء الملة » ، أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري ، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم .

وقد شرحها كثيرون ، ولعل أفضل الشروح شرح العلامة الفقيه أكمل الدين البابر تي صاحب « العناية شرح البداية » في الفقه الحنفي ، المتوفى سنة ٧٨٦هـ .

وثمة شرح صدر الدين بن أبي العز ، لكنه قد شط عن معتقد صاحب العقيدة الطحاوية وشيوخه في مواضع ، بل خرج في بعض المسائل عن معتقد أهل السنة تبعاً لشيخه ابن تيمية كما فعل في القول بفناء النار وحلول الحوادث بالله تعالى ، أولاً ومستقبلاً ، ونسبة الجهة العدمية إلى الله تعالى ، والعياذ بالله .

وهناك شرح للفقيه العلامة عبد الغني الغنيمي الميداني صاحب « الباب في شرح الكتاب » أي القدوري في المذهب الحنفي ، وقد طبعه محققاً الأستاذان محمد مطيع الحافظ وزميله رياض المالح ، وغيرها .

وقال الإمام الشاطبي في « الاعتصام » : يدخل في الجماعة مجتهدو الأئمة وعلماءها ، وأهل الشريعة العاملون بها ، ومن سواهم داخلون في حكمهم ، لأنهم تابعون لهم ، ومقتدون بهم ، فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا ، وهم أهل نُهبة الشيطان ، ويدخل في هؤلاء جميع أهل

(١) « الفرق بين الفرق » بتعليق العلامة الكوثري رحمه الله ، ص (٣١٣) .

البدع ، لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأئمة ، لم يدخلوا في سوادهم بحال . اهـ^(١) .

وقال الترمذي : وتفسير الجماعة عند أهل العلم ، هم أهل الفقه والحديث ، ثم ساق رواية ابن المبارك : سئل عن الجماعة فقال : أبو بكر وعمر ، قيل : مات أبو بكر وعمر ؟ قال : فلان وفلان ، قيل : مات فلان وفلان ، فقال : أبو حمزة العسكري جماعة^(٢) .

* * *

(١) « الاعتصام » (٢٦١ / ٢) .

(٢) « الجامع » للترمذي (٤٦٥ / ٤) .

السلف والخلف

من أهل السنة والجماعة في الجملة

السلف

هم المتقدمون ، وسلف الرجل : أبواه المتقدمان ، أي : من تقدمك من الآباء .

قال الكاشاني : السلف الصالح وهو الصدر الأول ، الراسخون في العلم ، المهتدون بهدي النبي ﷺ ، الحافظون سنته ، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ، وانتخبهم لإمامة دينه ، ورضيهم أئمة الأمة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وأفرغوا في نصح الأمة .

وقال أبو الحسن : هم الصحابة في أقوالهم وأفعالهم ، وفيما تأولوه استنبطوا من اجتهادهم . وقال الغزالي : السلف : أعني مذهب الصحابة والتابعين^(١) .

وقال الباجوري ، صاحب « جوهرة التوحيد » : والمراد بالسلف ، مَنْ تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم ، خصوصاً الأئمة الأربعة المجتهدين .

وقال الشيخ محمود الخفاجي : وليس التحديد الزمني كافياً في ذلك ، بل يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحها ، فمن

(١) كذا في « إجماع العوام » له .

خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي وإن عاش بين ظهراني الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين^(١) .

وقال الشيخ الدكتور سعيد رمضان البوطي حفظه مولاه موقفاً : إذا أُريد بكلمة السلف معناها اللغوي فهو معنى نسبي يمكن أن تتعاوره الأزمنة المتوالية كلها مثل كلمة (قبل) سواء بسواء .

والمعنى الاصطلاحي المستقر لهذه الكلمة هو القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية ، أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما مصدره قول رسول الله ﷺ ، فيما رواه الشيخان من رواية ابن مسعود رضي الله عنه : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »^(٢) .

ونقل كلام ابن عبد البر : إن الخيرية ثابتة لمجموع المسلمين في تلك العصور الثلاثة ، أما الأفراد فقد لا تنطبق الخيرية على بعضهم ، بل قد يأتي بعدهم من هو أفضل منهم^(٣) .

أقول : فهؤلاء الذين يلقبون أنفسهم سلفية ، ويأنفون أن ينسبوا إلى مذهب من المذاهب الأربعة المتفق عليها في الأمة المسلمة ، هؤلاء يقعون في بدعة جديدة حين ينفرون من بدعة المذهبية - كما يقولون - وقد عرفنا سابقاً من خلال ما نقلنا ، ومن خلال الحديث الشريف من هو السلف ، ولمعنى آخر أشد خطورة هي : أن المعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية ومرجئة البدعة

(١) « العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة » ، للشيخ محمود الخفاجي ، ص (٢١٣) .

(٢) أخرجه البخاري وغيره .

(٣) انظر : « فتح الباري » (٤ / ٧) عن السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي ،

ص (١٠٩) .

كلهم قد ظهوروا خلال القرون الثلاثة ، وهم من السلف تاريخاً ، ولغة ، وليسوا من السلف الصالح قطعاً .

فدعوى هؤلاء الذين يلقبون أنفسهم سلفية تضطربهم إلى أن يقولوا : إنهم سلفية صالحون ! وهي دعوى ، ولا بد للدعوى من دليل .

فيا حبذا الانتساب إلى مذهب من المذاهب الأربعة ، لما عُلِمَ أن أصحابها من أئمة السلف الصالح تاريخاً ، وواقعاً وشهرة وحقيقة ، والحمد لله لشهادة مسلمي القرون الثلاثة ، وفيهم علماء القرآن والسنة والعقيدة والفقه ، ولشهادة واقع تاريخهم وسلوكهم ، رحمهم الله تعالى ، وشهادة من بعد القرون الثلاثة من أئمة علماء القرآن والسنة والعقيدة والفقه وإلى يومنا هذا إلى ما شاء الله تعالى .

ومن بلغ منهم رتبة الاجتهاد في العلم بالكتاب والسنة ، واللغة وأقوال السلف الصالح وسَلَّم له أهل العلم بتلك الأهلية والرتبة ، فلا يتنسب إلى مذهب من المذاهب إن شاء ، والله الموفق .

* * *

الخلف

هم الطائفة الكثيرة الكبيرة من الأئمة ، والعلماء الثقات من الفقهاء والمجتهدين ، وعلماء أصول الدين وأعلام التفسير والحديث واللغة ، والذين جاؤوا بعد المائة الثالثة ، فقال الكثير منهم في آيات الصفات وأحاديثها ما يسمى تأويلاً تفصيلياً ، يعنون تفصيل ما أجمل السلف القول فيه من مثل قولهم : مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق ، فأضافوا قولهم : لعل المراد هو : كذا وكذا . مثل قولهم : لعل المقصود بالاستواء ، في قول الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] . هو الاستيلاء ، أو الانتهاء ، والكمال والتمام مثل : ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وهكذا ، مما تقبله اللغة ، ويتفق مع إثبات الصفة لله تعالى ، وتنزيهه سبحانه عن مشابهة الخلق .

وليس جميع من جاء بعد القرن الثالث يرى تأويل صفات الله تعالى تفصيلياً بل يرون الإمساك عن الخوض في صفات الله تعالى أسلم ؛ لأن التأويل قول بالظن ، وقد لا يصيب الظان عين الحق عند الله تعالى ، ثم إن التأويل تكلف لما لم نكلف به من الله تعالى ، وخوض فيما لم يخض فيه رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم إلا قليلاً قليلاً .

نعم قد لا يكون هناك مفر من التأويل التفصيلي عند مناقشة العامي وتعليمه ، إذا كان يعيش في مجتمع مادي مجسم للذات العلية كما هو الأمر عند اليهود والنصارى ، أو مجتمع مشبه لله تعالى بخلقه كالجهمية ومرجئة

الضلالة ، الذين زعموا أن الله تعالى أعلى من جبل ، أو أن طوله سبعة أشبار بأشبار نفسه ، والعياذ بالله ، حينئذ يكون التأويل هو المقدم وحده .

فكان التأويل التفصيلي علاج من داء ، والعلاج إنما يعطى في حالات مرضية ، فإذا زال المرض زال العلاج ، وعاد الأمر إلى أصله .

جاء في كتاب « المسامرة » ، للإمام الفقيه الأصولي كمال الدين بن الهمام ، و« شرحه » للعلامة ابن أبي شريف ، ما يلي : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] :

وحاصله وجوب الإيمان بأنه سبحانه استوى على العرش مع نفي التشبيه ، فأما كون المراد به - الاستواء - استيلاؤه على العرش ، فأمر جائز الإرادة إذ لا دليل على إرادته عينا^(١) .

وانظر : « استحالة المعية بالذات » ، للشيخ محمد الخضر الشنقيطي ، ص (١٦٩) ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا قَرَّرْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، وأن المراد كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما ضيَّعْتُ من ثواب الله تعالى .

وهذه نصوص من كتاب الله تعالى لا مفرَّ فيها من التأويل التفصيلي :

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة : ١٥] .

والله سبحانه لا يوصف بالاستهزاء ، إذ ليس ظاهر الاستهزاء صفة شريفة ، فالمراد : جازاهم على ذلك منهم .

وقال الله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَجَلَّ ﴾ [البقرة : ٩٣] .

(١) « المسامرة مع المسامرة » ص (٣٣) .

هو مَجَاز عن حب العجل ، والعياذ بالله .

وقال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة :

. [١١٥]

ما المراد بوجه الله تعالى ؟ هو جهة الصلاة .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

وَعَلِمَ اللهُ تعالى عند أهل السُنَّة قديم كسائر صفاته لا يسبقه جهل ،
فالمراد : ظهور علم الله تعالى .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمَيَّلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٢٧] .

إرادة الله تعالى لا ترد ، ولا تتخلف . فالمراد بالإرادة هنا : المحبة
والرضا .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

كيف تخلف مراد الله تعالى ؟ فإن أكثر الناس لا يؤمنون ! فالمراد هنا :
الأمر والمحبة .

كما قال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

ما تأويل هذه الآية ؟ مع قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ
إِلَهُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] .

وقوله : ﴿ مَا آمَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك : ١٦] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] .

وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] .

وقوله : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٥] .

التأويل ، كما ذكرت ، قدر مشترك بين السلف والخلف من حيث الجملة ، قال الإمام علي القاري رحمه الله تعالى في « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح »^(١) : إن السلف والخلف متفقان على التأويل ، وإن الخلاف بينهما لفظي لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره .

ولكن تأويل السلف إجمالي ؛ لتفويضهم إلى الله تعالى في المعنى المراد من اللفظ الذي هو غير ظاهره المنزه عنه تعالى .

وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه ؛ لكثرة المبتدعين ، فلا يريدون بذلك مخالفة السلف الصالح ، معاذ الله أن يُظنَّ بهم ذلك ، وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لكثرة المجسمة والجهمية وغيرها من أهل الضلالة واستيلائهم على عقول العامة ، فقصدوا بذلك ردعهم ، وبطلان قولهم ، ومن ثمة اعتذر كثير منهم ، وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد ، فالواجب علينا ما ذكرنا من الإيمان مع نفي التشبيه ، وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلاً باتصال ونحوه من لوازم الجسمية ، كالمحاذاة ، وأن لا ينفوه أي لا ينفوا ما ذكر من لوازم الجسمية ، فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء صيانة عن المحذور ، بأن يذكر أن الاستواء بمعنى الاستيلاء^(٢) .

* * *

(١) « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح » للقاري (١ / ١٦٠) طبعة باكستان .

(٢) « المسيرة مع المسامرة » ص (٣٣) .

التأويل

أصل التأويل لغة : المرجع والمصير ، من قولك آل الأمر إلى كذا إذا صار إليه ، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه ، وهذا هو معنى التأويل في اللغة .

ثم يسمى التفسير تأويلاً ، قال الله تعالى : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] .

وذلك أنه إخبار بما يرجع إليه اللفظ من معنى ^(١) .

قلت : ومنه تسمية الطبري تفسيره « جامع البيان من تأويل القرآن » ، وتسمية الشيخ جمال الدين القاسمي تفسيره « محاسن التأويل » .

والتأويل قدر مشترك بين السلف والخلف ، فإن السلف قالوا بالتأويل في الجملة في صفات الله تعالى : أمروها كما جاءت ، وقالوا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ، كما تقدم .

وقالوا في بعضها بالتأويل التفصيلي فضلاً عن الجملة ، فقالوا في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، أي بعلمه .

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

أي ذاته جل جلاله ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

أي سلك بها طريق السعداء ، كما في القرطبي .

(١) « تفسير الفخر الرازي » (١٧٦ / ١٢) .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَؤْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، قبله الله أينما توجهتم شرقاً وغرباً .

وقال البخاري في صحيحه ، قال طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت : ١١] ، اعطيا .

﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ، أعطينا .

قال تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي علمه ، كما في مختصر ابن كثير (٢٣١ / ١) .

وقال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] .

أي أمره وقضاؤه ، وظهرت آياته ، كذا في « تفسير الشوكاني » (٤٤٠ / ٥) .

وقال ابن عباس : أمره وقضاؤه . وقال الحسن مثل هذا .

أقول : وقد ذكرت أمثلة عديدة على هذا التأويل التفصيلي من السلف الصالح في (الإيمان بالله تعالى) ص (١٤٠) .

اعتذر كثير منهم وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف من صفاء العقائد ، وعدم المبطلين في زمانهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك .

وقد جاء التأويل التفصيلي عن السلف في بعض المواضع - كما يأتي قريباً في بحث المعية - وجاء عن كثير من محققي المتأخرين عدم التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها إلى الله تعالى . اهـ . وهذا مما يبين تقاربهما وعدم اختلافهما حقيقة^(١) .

(١) انظر : « استحالة المعية بالذات » ص (٧٢) .

قاعدة قبول التأويل :

قال العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى : التأويل : إخراج اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر يحتمله ، وليس هو الظاهر فيه .

وشروط التأويل ثلاثة :

١- أن يكون اللفظ محتملاً ولو عن بعدٍ للمعنى الذي يؤول إليه ، فلا يكون غريباً عنه كل الغرابة .

٢- أن يكون ثمة موجب للتأويل ، بأن يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة ، أو مخالفاً لنص أقوى منه سنداً كأن يخالف الحديث رأياً ويكون الحديث قابلاً للتأويل لا يؤول بل يردّ ، أو يكون النص مخالفاً لما هو أقوى منه دلالة ، كأن يكون اللفظ نصاً في الموضوع ، والذي يخالفه مفسر ، ففي كل هذه الصور يؤول .

٣- أن لا يكون التأويل من غير سند ، بل أن يكون له سند مستمد من الموجبات . اهـ^(١) .

وقال ابن دقيق العيد : إن كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر ، أو بعيداً ، توقفنا فيه ، وأما بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه ، وما كان من هذه الألفاظ مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف ، كما في قوله تعالى : ﴿ بَحَسَرْتُنَا عَلَىٰ مَا قَرَرْتُ فِي جَنِّ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، فنحمله على حق الله تعالى ، وما يجب له سبحانه^(٢) .

(١) « أصول الفقه » ص (١٦٤) ، والظاهر والنص والمفسر والمؤول والمحكم من موضوعات أصول الفقه ، فليراجع كتاب الشيخ أبو زهرة وغيره من يريد مزيد الشرح والبيان ١٢٦ .

(٢) « مناهل العرفان في علوم القرآن » ، للشيخ عبد العظيم الزرقاني (١٨٦/٢) .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي بعد كلام نافع : والأحاديث الصحيحة في هذا الباب - باب صفات الله تعالى - على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : ما ورد من الألفاظ هو كمال محض ، ليس للآفات والنقائص فيه حظ ، فهذا يجب اعتقاده .

الثانية : ما ورد وهو نقص محض ، فهذا ليس لله تعالى فيه نصيب فلا يضاف إليه إلاّ وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة ، كقوله في الحديث القدسي : « عبيد مرضت فلم تعذني » . وما أشبهه .

الثالثة : ما يكون كمالاً ولكنه يوهم تشبيهاً .

فأما الذي ورد كمالاً محضاً : كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع ، والإحاطة والتقدير والتدبير ، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ، ولا توقف .

وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً ﴾ [الحديد : ١١] .

وقوله [في الحديث القدسي] : « جُعت فلم تطعمني وعطشت » ، فقد علم المحفوظون والملفوظون والعالم والجاهل أن ذلك كناية ، وأنه واسطة عمن تتعلق به هذه النقائص ، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة ، تكرامة لوليه ، وتشريفاً ، واستلطافاً للقلوب ، وتلييناً ، وهذا أيها العاقلون تنبيه لكم على ما ورد من الألفاظ المحتملة ؛ فإنه ذكر الألفاظ الكاملة المعاني ، السالمة ، فوجبت له ، وذكر الألفاظ الناقصة ، والمعاني الدنيئة فتنزه عنها قطعاً .

فإذا جُعلت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه ، وللنقصان

بوجه ، وجب على كل مؤمن حصيف أن يجعله كناية عن المعاني التي تجوز عليه ، وينفي عنه ما لا يجوز عليه .

فقوله في اليد والساعد والكف والإصبع عبارات بديعة تدل على معان شريفة ، فإن الساعد عند العرب عليه كانت تعول في القوة والبطش والشدة . ألا ترى إلى قول الزبير وقد ضرب فأبان المضروب وفصله وتجاوز إلى ما تحته ، فقال له قائل : إن هذا السيف . . . فقال : ما هو السيف إنما هو الساعد .

ولهذا قال النبي ﷺ لأبي الأحوص عن أبيه : « فيجدع هذه » فيقول : ضرب ، وفي لفظ : فيقول : « ضربنا » ، ويقول بجيرة : فساعد الله أشد وموساه أحد^(١) ، تهديداً له على ما أتى من الفعل القبيح ، وتحذيراً له من النعمة والجزاء ، فأضاف الساعد إلى الله ؛ لأن الأمر كله لله ، كما أضاف موسى إليه .

وكذلك قوله : « إن الصدقة تقع في كف الرحمن » عبّر بها عن كف المسكين تكرمة له ، حتى لقد قال بعضهم : إن قوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، المراد باليد العليا يد السائل المعطى الآخذ ؛ لهذا المعنى ، وأضافها إليه تكرمة . كما قال : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ [الشمس : ١٣] ، وأمثاله كثير .

وقد بينا ذكر الأصابع وحكمته في ذكر التقليل به^(٢) . وما يقلب بالأصابع يكون أيسر وأهون ، ويكون أسرع . فأراد الباري أن يهون عند قدرته مقدار السموات والأرض والمخلوقات . وأراد في جعل القلب بين أصبعين الإشارة

(١) والحديث في « الأسماء والصفات » ص (٣٤٢) .

(٢) يشير إلى قوله ﷺ : « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ، رواه البخاري .

بذلك إلى سرعة تقليبه ، وخفائه وحقارته .

وهو والمخلوقات سواء في هوان ذلك عنده وحقارته بالإضافة إلى قدرته . وقيل : كُنَى (بين الإصبعين) عن اللَّمَّتَيْن ، لَمَّة من الملك له في الإيعاد بالخير وتصديق الحق ، ومن الشيطان لَمَّة في الإيعاد بالشر والتكذيب بالحق .

وأما الذراع ، فقد بينا بأنه إنما ورد مطلقاً غير مضاف إلى الله ، قال سبحانه : ﴿ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٢] . والذي فيه : « بذراع الجبار »^(١) لم يصح ، كما قدّمنا ص (٢٩٨) ؛ وإنما الصحيح في إسناده عن أبي هريرة « غلظ جلد الكافر أربعون ذراعاً » مطلقاً غير مضاف ، فلا يُلتفت إلى حديث الإضافة^(٢) .

* * *

وجه الحاجة إلى التأويل بعد العصور الأولى

عند أهل السنة والجماعة

قال الشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى :

١- التأويل : اتباع لما أمرنا به من التسليم بالمتشابه ، والأخذ بالمحكم ، وحمل المتشابه على المحكم لظهور معنى المحكم دون المتشابه .

٢- التأويل حق من أجل أن لا يقع المؤمن في متناقضات حين يقرأ من

(١) رواه أحمد ...

(٢) « العواصم من القواصم » ، تحقيق الأستاذ عمار الطالبي ، مواضع متفرقة في ج ٢ .

الآيات مثلاً وأنموذجاً من إضافة العين إليه سبحانه والأعين واليدين والأيدي .
وأنه سبحانه في السماء وفي الأرض ، وهو مع خلقه أينما كانوا ، إلى غير ذلك .

فأما إذا تركنا النصوص على ظاهرها وقعنا في التناقض ، وهو محال في القرآن الكريم : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢] .

ولكن حين ننزهه تعالى حيال جميع تلك النصوص وأشباهاها عن مشابهة خلقه ، ثم نكل معاني تلك النصوص إلى الله عز وجل نكون قد سلمنا من التناقض في الفهم ، وسلمنا القرآن الكريم من توهم أي تناقض فيه .

ثم سواء كان التأويل إجمالياً أو تفصيلياً فهو المخلص الوحيد من التناقض ، والتخالف في صفات الله تعالى وفي كتابه العظيم .

٣- التأويل سواء كان إجمالياً أو تفصيلياً هو مسلك السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم ، وهم أعظم الناس فهماً للإسلام بعد رسول الله ﷺ .

٤- التأويل المقول به عند أهل السنة والجماعة هو الأمر العاصم لل العامة خاصة ، من الوقوع في التشبيه والتجسيم بإذن الله تعالى .

٥- إنما يقصد إلى التأويل التفصيلي - كما تقدم - عند الحاجة إليه .

٦- ومن شروط التأويل أن يكون وفق أصول العربية ، وأساليب البيان عند العرب ، وأن ما خرج عن أصول العربية ، ووسائل البيان عند العرب ليس تأويلاً مشروعاً ولا مقبولاً^(١) .

أقول كتأويل الباطنية وأهل الأهواء - والعياذ بالله .

(١) « مناهل العرفان » .

التأويل لا يعني نفي صفات الله تعالى

يظن بعض طلاب العلم أن تأويل صفة الضحك لله تعالى بالرحمة - كما فعل البخاري في صحيحه - يعني نفي صفة الضحك عن الله تعالى والعياذ بالله ، وتأويل صفة الاستواء بالعلو أو الاستيلاء (لا بالاستقرار والجلوس) يعني نفي صفة الاستواء عن الله تعالى . وتأويل معية الله تعالى مع خلقه بمعية العلم والإحاطة يعني نفي صفة المعية عن الله تعالى ، والعياذ بالله . ومتى كان جماهير المسلمين من السلف الصالح ومن سار على منهجهم نفاة للصفات ، وهم الأئمة في تقبل العلم وتعليمه ونقله إلى من بعدهم ، والحمد لله .

قال العلامة المحقق الحجة الكوثري رحمه الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] : من أنكر أن الرحمن على العرش استوى ، فقد أنكر آية من الذكر الحكيم فيكفر ، لكن الاستواء الثابت له سبحانه استواء يليق بجلاله على مراد الله تعالى وعلى مراد رسول الله ﷺ ، من غير خوض في المعنى كما هو مسلك السلف ومنهم ابن مهدي ، ومسلك الخلف الحمل على الملك ونحوه ، على مقتضى اللغة ، وليس في ذلك إنكار للآية ، فحاشاهم من ذلك ، وأما حمله على الجلوس والاستقرار فهو الزيغ المبين^(١) .

فأين هذا من قول صاحب النونية :

والعرش أدخلوه من الرحمن

فهو - كأنه - جعل جلوسه سبحانه على العرش وملء الفراغ منه هو الحق ،

(١) « الأسماء والصفات » ، للبيهقي تعليقا ، ص (٢٤٩) .

والعياذ بالله ، إنه لشيء خطير .

وأخطر منه قول شيخه الذي نقله الحافظ أبو حيان المفسر الذي أعجب به حيناً ، ثم هجره وقلاه حين قرأ عنه الكلام التالي ، قال أبو حيان : « قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية ، هذا الذي عاصرناه ، وهو بخطه ، سمّاه : « كتاب العرش » : أن الله تعالى يجلس على الكرسي ، وقد أخلى منه مكاناً يُقعد فيه معه رسول الله ﷺ . تحيّل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارنباري ، وكان أظهر أنه داعية له ، حتى أخذه منه ، وقرأنا ذلك فيه^(١) .

(١) « النهر الماد » ، للمفسر أبي حيان الأندلسي ، صاحب « البحر المحيط » (٢٥٤ / ١) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ردود على شبهات وأخطاء علمية في أمر العقيدة يجب التحذير منها

مسألة الحدّ والصفات والأسماء :

١- قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الأكبر : سبحانه شيء لا كالأشياء ، ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ، لا حدّ له ولا نِدْلَه ... إلخ^(١) .

كان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول : لله تعالى يدان ، وهما صفة له ، ليستا بجارحتين ، وليستا بمركبتين ولا جسم ، ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاد والجوارح ، ولا يقاس على ذلك ، ولا له مرفق ولا عضلة ، ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم (يد) إلّا ما نطق القرآن الكريم به^(٢) .

وقال أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد : وأنكر أحمد على من قال بالجسم ، وقال : إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة ، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف ، والله سبحانه خارج عن ذلك ، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل . نقله الحافظ البيهقي في كتابه « مناقب الإمام أحمد » .

(١) « شرح الفقه الأكبر » ، لعلي القاري ص (٣٦) .

(٢) انظر « طبقات الحنابلة - عقيدة الإمام أحمد » (٣٩١ / ٢) .

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في « بيان السنّة والجماعة » تعالى الله عزوجل عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات ، ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات .

وقال ابن بطال عند قوله تعالى : ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] .

في هذه الآية : إثبات يدين لله تعالى ، وهما صفتان من صفاته ، وليستا بجارحتين خلافاً للمشبهة من المثبتة والجهمية من المعطلة . . . إلخ^(١) .

بينما قال عثمان بن سعيد الدارمي - غير صاحب السنن - : والله تعالى له حدّ لا يعلمه أحد غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن لحدّه غاية ، ولكن نؤمن بالحدّ ، ونكل ذلك إلى الله ، والمكان أيضاً حدّ ، وهو على عرشه فوق سمواته ، فهذا حدّان اثنان ، ثم قال : فمن ادعى أنه ليس له حدّ فقد ردّ القرآن^(٢) .

وبينما قال ابن تيمية : فمن المعلوم أن الكتاب والسنّة والإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة ، وأن الله تعالى ليس بجسم ، ولا قال بذلك إمام من أئمة المسلمين ، فليس في تركي لهذا القول خروج عن الفطرة ، ولا عن الشريعة . اهـ^(٣) .

وقال ابن تيمية في « موافقة المنقول »^(٤) : وقد اتفقت الأمة من المسلمين والكافرين أن الله تعالى في السماء ، وحدّوه بذلك ، إلّا المريسي الضال

(١) « فتح الباري » .

(٢) « النقص » ص (٢٤) .

(٣) « التأسيس في الرد على أساس التقديس » المحفوظ بظاهريّة دمشق ، ذكره الشيخ محمد زاهد الكوثري فيما علّقه على « المصعد الأحمد » لمحمد الجزري ص (٨٣٩) .

(٤) « الموافقة » (٢٩/٢) .

وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوا ذلك ، إذا حزن الصبي رفع يده إلى ربه ويدعوه في السماء دون سواها ، وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية ، وقال فيه : فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله ، وجحد آيات الله . اهـ .

وقد ردّ الذهبي قوله شيخه هذه فقال : وتعالى الله أن يحدّ أو يُوصف إلاّ بما وصف به نفسه ، أو علّمه رسله بالمعنى الذي أراد ، بلا مثل ولا كيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] (١) .

وقال ابن تيمية : وليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم ، وأن صفاته ليست أجساماً وأعراضاً ، فنفي المعاني الثابتة بالشرع بنفي ألفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال (٢) .

قلت : وقد تقدم نقل ما قال أبو حنيفة ، وأحمد ، والتميمي ، والطحاوي ، من نفي الحدّ والجسمية عن الله تعالى .

٢- قوله الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] .

قال ابن إسحاق الصبغي : استوى بلا كيف ، قال البيهقي : والآثار في هذا المعنى عن السلف في هذا كثيرة ، وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رحمه الله تعالى ، وإليها ذهب أحمد بن حنبل ، والحسين بن الفضل البجلي ، ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي ، كما في « الأسماء والصفات » للإمام البيهقي (٣) .

(١) « سير أعلام النبلاء » (٩٧ / ١٦) .

(٢) التأسيس في الرد على « أساس التقديس » (١٠١ / ١) .

(٣) « الأسماء والصفات » مفرقاً ص (٤٠٨ - ٤١٠) .

وحين سئل ربيعة الرأي شيخ الإمام مالك رحمهما الله تعالى عن قول الله تبارك وتعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى ؟ قال : كيف مجهول ، والاستواء غير معقول ، ويجب عليّ وعليك الإيمان بذلك^(١) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : نحن نؤمن بأن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حدّ ولا صفة يبلغها واصف ، أو يحده حادّ ، فصفاً الله منه وله ، وهو كما وصف نفسه : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣]^(٢) .

وقال الطحاوي في تقرير عقيدة الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى : والعرش والكرسي حق ، وهو عز وجل مستغن عن العرش ، وما دونه ، محيط بكل شيء ، وبما فوقه ، وأعجزَ عن الإحاطة به . اهـ . ما فوق عرش الرحمن أم الكتاب .

بينما قال ابن تيمية : وهو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ، ومع هذا فهو معهم أينما كانوا^(٣) .

وقال في نقد « أساس التقديس » : والباري سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ، وليست فوقية الرتبة^(٤) .

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين ، في كتابه « عقيدة أهل السنة » ، والذي قدم له الشيخ عبد العزيز بن باز : ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة ، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

(١) المصدر السابق (هو الموافقة لكتاب إسحاق) .

(٢) « رد تعارض النقل » لابن تيمية (٣٠ / ٢) ، وكتاب « السنة » للخلال .

(٣) « فتاوى ابن تيمية » (٣ / ٣٩٣-٣٩٠) .

(٤) « التأسيس » (١٠١ / ١) .

وقال في فتوى له : فعقيدتنا : أن الله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به
ويقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً ...
إلخ .

وقد ردّ عليه الشيخ عبد الله الحواس النجدي في رسالة سماها « النقول
الصحيحة الواضحة عن السلف الصالح في معنى المعية الإلهية الحقيقية » ،
فقد نفى فيها معية الله الذاتية لخلقه ، فانظرها .

وقال ابن تيمية في شرح حديث النزول ما نصه : والقول الثابت وهو
الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه : لا يزال فوق العرش ،
ولا يخلو العرش منه ، مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش
فوقه^(٢) ، بل قال : فقد حدث العلماء المرضييون والسادة المقربون أن
محمداً ﷺ يجلسه ربه على العرش معه^(٣) .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في فتوى له : إن القول بأن الله موجود في
كل مكان كفر أكبر ، ثم قال : لأن الله فوق عرشه ، فوق جميع خلقه^(٤) .

أقول : ما هو الفرق الظاهر الواضح بين قول ابن عثيمين : إن الله تعالى مع
خلقه حقيقة ، وبين قول من زعم : أن الله تعالى في كل مكان ؟ وقول الشيخ
عبد العزيز ؛ لأن الله تعالى فوق عرشه فوق جميع خلقه ؟

ويردُ عَلَيْهِ : أنه لم يجيء نص صريح يفيد فوقية الله تعالى ، والذي ورد

(١) رسالته « عقيدة أهل السنة والجماعة » ص (٩) .

(٢) « شرح حديث النزول » ص (٦٦) .

(٣) « فتاوى ابن تيمية » (٣ / ٣٧٤) .

(٤) « جريدة عكاظ » : ٢٧-١٢-٤١٢ .

﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ فما دليله ؟ ومن هم سلفه من الأوائل في هذا القول ، ثم إن جملة : (فوق خلقه) ، يشتم منه رائحة نسبة المكان لله تعالى . تعالى الله عن صفات المخلوقين ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

قال الشيخ ناصر الدين نوح الألباني : لم يرد نص أن الله تعالى فوق عرشه ، وإنما ورد ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ . فالفوقية ديدن مشبهة اليوم أخذوها من ابن تيمية لا من أحد من الصحابة أو التابعين فضلاً عن الكتاب والسنة . اهـ^(١) .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : وأما قولك غير بائن باعتزال ولا بفرجة بينه وبين خلقه ، فقد كذبت في قولك ، وضللت عن سواء السبيل ، بل هو بائن من خلقه فوق عرشه بفرجة كبيرة ، والسموات السبع فيما بينه وبين خلقه الذين في الأرض^(٢) .

قلت : قال العلماء : إن لفظ (بذاته - وبائن من خلقه) لم يرد في حق الله تعالى في آية أو حديث ، أو قال به صحابي ، وإنما هما لفظان اخترعهما بعضهم رداً على مخالفيتهم ، قاله الإمام الكوثري ، وكذا قال ناصر الألباني في مختصر العلو للذهبي ، فهؤلاء قالوا في حق الله تعالى ما لم يُقَلَّ فضلوا بحسن نية ، ولكن سوء قول .

قال الذهبي في ترجمة الحافظ الحجة أبي نصر السجزي صاحب « الإبانة » : أئمتنا كسفيان الثوري ، ومالك ، وحمام بن سلمة ، وحمام بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، والفضيل وابن المبارك ، وأحمد ، وإسحاق متفقون

(١) لا أذكر مصدر هذا النقل .

(٢) « النقض » ص (٧٩) .

على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش ، وعلمه بكل مكان وأنه ينزل إلى سماء الدنيا وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء . .

قلت : هو « الذهبي » نقله عنهم مشهور سوى كلمة (بذاته) فإنها من كيسه نسبها إليهم بالمعنى ليفرق بين العرش وبين ما عداه من الأمكنة^(١) .

٣- قال التابعي الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى : لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ، ولكن يصفه بما وصف به نفسه ، ولا يقول فيه شيئاً برأيه تبارك الله رب العالمين^(٢) .

أما ابن خزيمة الذي جمع آيات الصفات ، كل صفة في كتاب ، مما لم يسبق إليه من أحد من السلف . وحشر في كتابه « التوحيد » من الأحاديث ما لم يصح ، ولا يروى ، فقد قال : من لم يُقَرَّ بأن الله على العرش استوى فوق سمواته بائن من خلقه فهو كافر يُستتاب ؛ فإن تاب وإلاَّ ضربت عنقه ، وألقي في مزبلة لئلا يتأذى بريحته أهل القبلة وأهل الذمة . اهـ .

انظر العلو ، للذهبي ص(١٥٢)^(٣) ، دون تعليق أو إنكار ، مع أن الذهبي قرر أن لفظتي (بذاته ، وبائن) لم يردا في كتاب أو سنة ، ولا قال به صحابي ولا تابعي !! عجب ، من لا يؤمن بتلك البدعة الموهمة لتشبيه الله تعالى بخلقه يكفر ولا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ، بل لا يدفن ، ويلقى في مزبلة !!! العجب ، إنما يتحقق الأذى لو ترك . وألقي في مكان لا إذا دفن^(٤) !!!

(١) « العلو » ص(١٨٠) ، وانظر وصف الذهبي له بالحافظ الحجة . . وتعجب !

(٢) « الاعتقاد » ، لابن صاعد .

(٣) انظر : « سير أعلام النبلاء » (٩٨-٩٧/١٦) .

(٤) انظر في إنكار الغزالي جمع كلمات الصفات في موضع واحد . « إلجام العوام » ص(٢٣٩-٢٤٠) .

وقال أبو إسماعيل الهروي صاحب « منازل السائرين » ، القائل بما يشبه الاتحاد والعياذ بالله :

سمعت يحيى بن عمار الواعظ ، وقد سألته عن ابن حبان فقال : نحن أخرجناه من سجستان ، كان له علم كثير ، ولم يكن له كبير دين ، قدم علينا فأنكر الحدّ - أنكر أن يكون لله تعالى حدّ - فأخرجناه .

قال الحافظ الذهبي : إنكاركم عليه بدعة أيضاً ، والخوض في ذلك مما لم يأذن به الله تعالى ، ولا أتى نص بإثبات ذلك ولا نفيه ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

وتعالى الله أن يحدّ أو يوصف إلاّ ما وصف به نفسه أو علمه رسله بالمعنى الذي أراد ، لا مثل ولا كيف ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال الحافظ صلاح الدين بن خليل كيكليدي العلائي : يا للعجب من أحق بالإخراج وقلة الدين^(١) .

كان الهروي الذي يلقبه الذهبي بشيخ الإسلام يقول :

ما وَحَّد الواحد من واحد إذ كل من وَحَّده جاحِد
توحيد من ينطق من نعته عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لا حد^(٢)

قال الذهبي : كان شيخنا - يعني ابن تيمية - يرمي أبا إسماعيل الهروي

(١) انظر : « طبقات الشافعية » ، للإمام السبكي (١٤١/٢ - ١٤٢) .

(٢) انظر : « مدارج السالكين » (١٨/٣) .

العظام بسبب هذا الكتاب « منازل السائرين » ويقول : إنه مشتمل على الاتحاد^(١) .

قال الشيخ شعيب في تعليقه على شرح ابن أبي العز التيمي لعقيدة الطحاوي في شأن الهروي : وردّ فيه - ابن القيم - في هذا الشرح أي « مدارج السالكين » على ما ورد في « منازل السائرين » من آراء مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة ولما عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين . اهـ (٣٦ / ١) .

٤- قال الإمام الطحاوي في بيان السنّة والجماعة :

تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات . اهـ .

الحدّ معناه نهاية الشيء ، والأجرام كلها لها حدّ ، فالعرش ليس هو جرماً ممتداً إلى غير انتهاء ، وكذلك الكرسي والجنة والنار والسموات والأرضون لها مساحة ، لكن نحن البشر لا نعلم مساحة العرش كم هي ، ولا الكرسي ، ولا السموات السبع ولا الجنة ولا جهنم ، وليس معنى نفى الحدّ عن الله تعالى أنه ممتدّ إلى غير نهاية ، فليحذر هذا التوهم .

وقوله : الغايات ، جمع غاية ، والغاية ما ينتهي إليه الشيء .

وقوله : الأركان ، معناه الجوانب ، فالله تعالى منزّه أن يكون له جوانب ؛ لأنّ ذا الأركان محدود لا محالة .

وقوله : الأعضاء ، معناه أنه منزّه أن يكون له عضو ، كما أن للإنسان وغيره من ذوي الأرواح أعضاء .

(١) عن « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٧٢ / ٤) .

والأدوات : جمع أداة ، والأدوات هي الأجزاء الصغيرة كاللسان والأضراس ، وفسر بعضهم الأدوات بالآلات التي يستعين بها الإنسان في تحقيق أفعاله كآلات البناء وآلات النجارة ، وذلك لما علم من كلام أهل الحق أن الله تعالى فاعل بلا علاج .

ومعنى قولهم : بلا علاج : أي لا يحتاج إلى مزاوله الحركات والسكنات والآلات ، بل يخلق ما يشاء بدون ذلك ، فما أراد في الأزل أن يدخل في الوجود يوجدّه ويكونه بقدرته الأزلية .

لا تحويه الجهات الست : أي لا تحوي الله تعالى الجهات الست كما تحوي جميع المخلوقات إذ المخلوقات لا تخلو عن التحيز في إحدى الجهات ، لأن الحادث لا بد أن يكون بمكان^(١) .

قال العلامة الحجة الإمام الكوثري رحمه الله تعالى : ولم يرد لفظ (الجهة) في حديث ما ، بل قال أبو يعلى الحنبلي في «المعتمد في المعتقد» : ولا يجوز عليه تعالى الحدّ ، ولا النهاية ، ولا قبل ، ولا بعد ، ولا تحت ، ولا قدام ، ولا خلف ، لأنها صفات لم يرد الشرع بها ، وهي صفات توجب المكان^(٢) .

إن الذي يقول بالجهة لله تعالى يغفل عن المحكم من الآيات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] .

ويغض عن التنزيه الذي هو لب الاعتقاد ، وينص على أن الله تعالى كان قبل أن يكوّن الكون ، وقبل أن تكون هناك الجهات التي اقتضاها بروز الكون ،

(١) « إظهار العقيدة الشنّية شرح العقيدة الطحاوية » ص (١٢٩-١٣٠) .

(٢) « مقالات الكوثري » ص (١٠٢) .

فهذه الجهات حادثة بحدوث الكون ، وقد سئل علي رضي الله تعالى عنه : أين كان الله قبل خلق السموات والأرض ؟ فأجاب (أين) سؤال عن المكان ، وكان الله تعالى ولا مكان ، وهو اليوم على ما عليه كان^(١) .

وقال الإمام القرطبي ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ ءَأَمْنُم مِّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [تبارك : ١٦] .

المراد بالآية توقيره وتنزيهه تعالى عن السفلى والتحت ، ووصفه بالعلو والعظمة ، لا الأماكن والجهات والحدود ؛ لأنها صفات الأجسام ، ولأنه خلق الأمكنة ، وهو غير محتاج إليها وكان في أزله قبل خلق المكان والزمان ، ولا زمان ولا مكان ، وهو الآن على ما عليه كان^(٢) .

وقال الكمال ابن الهمام رحمه الله تعالى : الأصل السابع : أنه تعالى ليس مختصاً بجهة ؛ لأن الجهات حادثة بإحداث الإنسان ، ونحوه مما يمشي على رجلين ، فإن معنى الفوق ، ما يحاذي رأسه ، والباقي ظاهر ، ومعنى الفوق فيما يمشي على أربع أو على بطنه ما يحاذي ظهره ، ثم هي اعتبارية فإن النملة إذا مشت على سقف كان الفوق بالنسبة لها جهة الأرض ؛ لأنه المحاذي لظهرها ، ولو كان كل حادث مستديراً لم توجد واحدة من هذه الجهات ، وقد كان تعالى موجوداً في الأزل ولم يكن شيء من الموجودات ، فقد كان تعالى لا في جهة^(٣) .

(١) « إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات ورد شبهة الملحدة والمجسمة وما يعتقدونه من المفتریات » لناصر السنة وقامع البدعة محمود محمد خطاب السبكي ، ص (١٥) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٢١٦ / ١٨) .

(٣) « المسائرة » ص (٢٩) .

وقد تقدم قول السلف في التفويض في الآيات المتشابهات ، أسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري ، عن سفيان بن عيينة ، قال : كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه . ومن طريق أبي بكر الصُّبْغِي ، قال : مذهب أهل السنة في قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

٥- قال : بلا كيف .

وقال الترمذي في الجامع عقيب حديث أبي هريرة في النزول : وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه ؛ كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما أشبهه من الصفات . وقال في باب فضل الصدقة : قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ، ولا نتوهم ، ولا يقال : كيف ، كذا جاء عن مالك وابن عيينة ، وابن المبارك أنهم أمرؤوها بلا كيف . وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة . وأما الجهمية فأنكروها وقالوا هذا تشبيه^(١) .

بينما قال ابن تيمية : من أنكر الجهة لله فهو كمن أنكر وجوده ، فإن وجود الممكن كما لا يكون إلا في جهة وإنكار الجهة له يؤول إلى إنكار وجوده ، كذلك الله تعالى لا يكون إلا في جهة ، وإنكارها يجزّ إلى إنكار وجوده^(٢) .

إذن ، فالخالق مثل المخلوق ؟! والله تعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال الشيخ محمد صالح العثيمين ، في لمعة الاعتقاد تعليقا : وهو استواء حقيقي معناه العلو والاستقرار ، ص (٤١) .

(١) استحالة المعية بالذات ص (٧٠) .

(٢) « فيض الباري » ، للعلامة محمد أنور الكشميري (٥١٩/٤) .

وبينما قال الشيخ عبد العزيز بن باز عند قول الإمام الطحاوي : (لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) ، مراده : الجهات الست المخلوقة ، وليس مراده نفي علوّ الله واستوائه على عرشه ؛ لأن ذلك ليس داخلاً في الجهات ، بل فوق العالم ، ومحيط به ، وقد فطر الله عباده على الإيمان بعلوّه سبحانه وأنه في جهة العلوّ^(١) .

أقول : الشيخ عبد العزيز ينقل ما يقوله الشيخ ابن تيمية عن أبي سعيد الدارمي صاحب النقض : والله تعالى له حدّ لا يعلمه أحد غيره ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحدّه غاية في نفسه ، ولكن يؤمن بالحدّ ويكل علم ذلك إلى الله ولمكانه أيضاً حدّ ، وهو عرشه فوق سمواته ، فهذان حدان اثنان . ووافقه ابن تيمية وذلك في « الموافقة » (٢٩ / ٢) . وأنه يردّ على الإمام الطحاوي ، كما فعل ابن أبي العز في شرح الطحاوية .

يقال للشيخ : إنما يعرف الرجال بالحق ولا يعرف الحق بالرجال ، هو يقول ما لم يقله الحنفية أبداً واستدل بالحديث على من أثبت الجهة ، وقال : هي جهة العلو ، وأنكر ذلك الجمهور .

وبينما قال في تعليقه على قول ابن حجر ، قال شهاب الدين السهروردي : أخبر الله في كتابه ، وثبت عن رسوله الاستواء والنزول واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل ، إذ لولا إخبار الله ورسوله ، ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى .

وعلق الطيبي بقوله : وهذا هو المذهب المعتمد ، وبه يقول السلف الصالح ، فقال أي الشيخ عبد العزيز : إن مراد ابن حجر بالجمهور ، جمهور

(١) « تعليقه الوجيز على الطحاوية » ، طبعة دار الإفتاء في الرياض .

أهل الكلام ، وأن أهل السنة يثبتون لله تعالى الجهة .

أقول : لو أنه قرأ تمام كلام ابن حجر لبان له خطؤه ، لأن ابن حجر قال بعد ذلك : لأن القول بذلك يُفضي إلى التحيز ، تعالى الله عن ذلك . اهـ .

ولا شك أن القول بالجهة قول بالتحيز . . . والله أعلم^(١) .

وقال العلامة الجليل سعد الدين التفتازاني في كتابه « تهذيب الكلام » :
والقول بأنه تعالى جسم على صورة إنسان أو غيره ، وفي جهة العلو مماساً للعرش أو محاذياً له تمسكاً بأن كل جسم موجود أو جسماني ومتحيز ، أو حال فيه ومتصل بالعالم أو منفصل عنه جهالةً ، والنصوص مؤولة .

وقال محشيه محمد وسيم الكردستاني ص (١٤) تعليقاً عليه ، بعد ، كلام : وأما ما تقرر في فطرة العقلاء مع اختلاف آرائهم من التوجه إلى العلو في الدعاء ، ورفع الأيدي إلى السماء ، فليس من جهة اعتقادهم أنه سبحانه في تلك الجهة ، بل من جهة أن السماء قبلة الدعاء ، منها تتوقع الخيرات والبركات . وهبوط الأنوار ، ونزول الأمطار المحيي للأقطار .

كما أن القبلة جهة المصلي ، ولا يقال : إن الله في قبلة المصلي إلا على المجاز . كما هو معلوم^(٢) .

أقول : لعل قول الشيخ ابن تيمية بالجهة العدمية لله تعالى يعود إلى قوله بقديم العرش .

(١) ولينظر رسالة الشيخ المحدث أحمد بن يحيى بن إسماعيل في الرد على ابن تيمية القائل بالجهة ، وهي رسالة طويلة مشحونة بالأدلة ، وهي في « طبقات السبكي » ص (٩١-٣٤٩) ، توفي سنة ٧٣٣ .

(٢) انظر : « المسامرة على المسامرة » ص (٣٠) .

قال الشيخ محمد عبده عند قول الإمام الدواني : وقد رأيت في بعض تصانيف ابن تيمية ، القول به في العرش . ما نصه :

وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث ، القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً ، فلما رُدَّ عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً كما أن الله سبحانه أزلي فمكانه أزلي ، وأزلية العرش خلاف مذهبه ، قال : إنه قديم النوع أي أن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً ، ولننظر أين يكون الله بين الإيجاد والإعدام ، هل يزول عن الاستواء ؟ فسبحان الله ما أجهل الإنسان ، وما أشنع ما يرضى لنفسه ، ولست أعرف ، هل قال ابن تيمية شيئاً من ذلك على التحقيق ؟ وكثيراً ما نُقل عنه ما لم يقله^(١) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل في الفتح ، عند قول البخاري : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود : ٧] .

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] .

ذكر البخاري قطعتين من آيتين ، يعني : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ و﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وتلطف في الثانية عقب الأولى لردّ توهم من قوله في الحديث : « كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء » ، أن العرش لم يزل مع الله تعالى ، وهو مذهب باطل ، وكذلك من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع ، وما تمسك به بعضهم ، وهو أبو إسحاق الهروي بما أخرجه من طريق سفيان الثوري : حدثنا أبو هشام الرماني - بالراء والتشديد - عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : « إن الله كان

(١) عن « إتحاف الكائنات » ص (٩٣-٩٤) .

على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فأول ما خلق الله القلم » .

وهذه الأولية محمولة على خلق السموات والأرض وما فيهما ، بدليل ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ ، قال : هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماء ، ورجح ابن تيمية رواية البخاري : « كان الله ولم يكن شيء قبله » رجحها على رواية عمران بن حصين في البخاري ، بلفظ : « كان الله ولم يكن شيء غيره »^(١) .

وقد ردّ العلماء القول بالقدم النوعي ؛ لأن قدم النوع يعني قدم الجنس ، والله سبحانه وتعالى خالق كل شيء ، انظر في هذا ما علقته على « إيضاح الدليل » لابن جماعة ، وقول الشيخ شعيب الأرناؤوط فيما علقه على « شرح الطحاوية » ، طبعة دار البيان بدمشق .

وقال الشيخ ناصر الدين بن نوح الألباني : وقد أطال ابن تيمية الكلام في رده على الفلاسفة محاولاً إثبات حوادث لا أول لها ، وجاء في أثناء ذلك بما تحار فيه العقول ، ولا تقبله أكثر القلوب ، ثم قال بعد ثلاثة أسطر : فذلك القول منه غير مقبول ، بل هو مرفوض بهذا الحديث ، وكم كنا نودّ أن لا يلج ابن تيمية هذا المولج ؛ لأن الكلام فيه شبيه بالفلسفة ، وعلم الكلام . اهـ^(٢) .

(١) « فتح الباري » ، واقرأ اعتبار ابن حجر هذا القول من ابن تيمية من مستشنع الأقوال (١٥٠ / ١١) .

(٢) انظر : « مختصر شرح الطحاوية » ص (٣٥) ، و « صحيحته » (٢٠٨ / ١) ، تجد قول ابن تيمية في القدم النوعي في « منهاج السنّة له » ، وفي رد ابن تيمية على ابن حزم في « مراتب الإجماع » ، حين أثبت الإجماع على أن الله تعالى خالق كل شيء ، فأنكر عليه ابن تيمية . قال ابن تيمية : أما اتفاق السلف وأهل السنّة والجماعة على أن الله وحده خالق كل شيء فهذا حق ، ولكنهم لم يتفقوا على كفر من خالف ذلك فإن القدرية الذين يقولون إن أفعال الحيوان لم يخلقها الله تعالى أكثر من أن يمكن ذكرهم . يقال بل اتفقوا على إكفار من يثبت خالقاً =

ما أظفه مع ابن تيمية ، وما أقساه على كثير من الحنفية ، بما فيهم الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى .

ويلمزون الأحناف والمذهبيين بالتعصب لأنتمهم ، وينسون أنفسهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٦- أقول : بعض من يشتغل بالعقيدة ، ويهتم بها ، يعرض عن تحقيق روايات الأكابر إذا كان ذلك موافقاً لسالف آرائه ، وليس ذلك شأن طلاب العلم ، وأهل الاختصاص خاصة .

(أ) لقد ألف دكتور رسالة في « اعتقاد الأئمة الأربعة » أراد أن يثبت فيها أن الله تعالى في السماء أو أنه سبحانه في السماء دون الأرض ، وأن له سبحانه قدماً . . . إلخ . وقد علم أن السلف على التفويض في أسماء الله تعالى وصفاته ، حذراً من القول دون علم ، وحذراً من الوقوع في التناقض ، بل زعم أن في كتاب الله تعالى تناقضاً دون التصريح به ، حين تقول : إنه سبحانه في السماء ، بل على السماء ، لا في الأرض . . . إلخ مع أن ذلك ثابت بالقرآن الكريم ، وقد تقدم شيء من هذا فيما ذكر سابقاً .

قال الدكتور في حق الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى : إنه قال للمرأة التي قدمت من ترمذ فسألته : أين إلهك الذي تعبد ؟ فقال : إن الله سبحانه وتعالى في السماء دون الأرض ، فقال له رجل : رأيت قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَهُوَ

= سواء سبحانه بمعنى الموجد من العدم بقدرته مستقلة غير معتمدة كما هو المتبادر من الخلق . وَفَرَّقَ هذه الأمة براء من مثل هذا الإشراك . وأما عَدَّ فعل العبد أثراً للقدرة المودعة في العبد ، فلا يكون إلا بمعنى آخر للخلق وهو التقدير . اهـ . مراتب الإجماع والاستدراك عليه لابن تيمية . (نقد مراتب الإجماع) تعليق العلامة محمد زاهد الكوثري . رحمهم الله تعالى ص ١٦٧ وما بعدها .

مَعَكُ أَيَّنَ مَا كُثِمْتُ... ﴿[الحديد : ٤] . قال : هو كما تكتب للرجل : إني معك ، وأنت غائب عنه ، ص ١٣ .

أقول : هذا الخبر من رواته نوح بن أبي مريم ، الذي جمع كل علم إلا الصدق في الرواية ، على ما قاله بعضهم ومقاتل بن سليمان ، المجسم المتهم بالكذب . والبيهقي بعد أن أورد هذه الرواية في « الأسماء والصفات » ص ٤٢٨ أو ٥٣٩ قال : والله أعلم بصحة هذه الحكاية^(١) .

أما الذهبي فقد نقلها في « العلو » ص (١٠١) ، ولم يتذكر ما قاله هو في حق نوح في « ميزان الاعتدال » وفي حق مقاتل ، ولم يقل ما قاله البيهقي ، فإن كان نقله عن البيهقي فلم يكن إذن أميناً في النقل ، وقد قال البيهقي والله أعلم بصحة هذه الحكاية ، والله أعلم .

ومثله ما روي عنه رضي الله عنه أنه قال : (من قال : لا أعرف ، ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله تعالى يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، وعرشه فوق سبع سموات) ص (٣٠) .

تنسب رواية الخبر إلى أبي مطيع البلخي ، وقد ذكره الذهبي في « العلو » ص (١٠١) ، ولم يتذكر ما نقل هو عن أبي مطيع . وأنا أنقله هنا :

قال أحمد : لا ينبغي أن يُروى عنه شيء ، وعن يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال الحافظ ابن حجر في « الميزان » ، قال أبو حاتم الرازي : كان مرجئاً كذاباً . قال ابن حجر : وقد جزم الذهبي بأنه وضع حديثاً .

(١) قلت : وللعلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح دفاع بحق عن نوح بن أبي مريم ، ذكره ص (٥٧٣-٥٧٨) من « ظفر الأمانى » للشيخ المحدث عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى . أقول : فليكن الحمل في الوضع على مقاتل بن سليمان المجسم ، وكان يكذب . والله أعلم .

أقول : والمروى في كتبنا : (من قال لا أعرف ، ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر) ، لأنه نسب إلى الله تعالى مكاناً ولم يعرفه .

(ب) وقال في حق الإمام مالك رحمه الله تعالى : قال مالك : الله في السماء وعلمه في كل مكان . رواه أبو داود . . . إلخ ، ص (٣٠) . وذكر الخبر الذهبي في « العلو » . ولم يتذكر ما قاله هو في الراوي عبد الله بن نافع ، وأنا أنقل هنا بعض ما جاء في « الكاشف » له ، قال الذهبي في عبد الله بن نافع : ضعفه ، وقال ابن المديني : روى مناكير ، وقال البخاري : يخالف حديثه ، وقال أيضاً : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك^(١) .

وقال الدكتور : إن ذلك الخبر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ص (١١) من الطبعة القديمة .

أقول : كان الإمام الحجة الشيخ محمد زاهد الكوثري يقول عن كتاب السنة المنسوب إلى عبد الله ، ولا ينسبه حقاً إليه ، وقد حقق سند كتاب السنة الأخ المحقق الشيخ محمود سعيد ممدوح ، فقال في إسناد هذا الكتاب إلى المؤلف رجلان ، أحدهما أبو النصر محمد بن الحسين بن سليمان السمسار ، وشيخه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن خالد الهروي ، وهما مجهولان^(٢) .

ومع ذلك ففي الكتاب أخبار نُجِّلَ عبد الله بن أحمد أن ينقلها ، منها : جلوس الله على الكرسي ، ومنها تحريف الخطيب الذي جاء بعده ، فقد قال : قال الإمام أبو حنيفة : لو كان رسول الله ﷺ حياً لرجع عن بعض أقواله .

(١) « الكاشف » للذهبي مع حاشية سبط ابن الأعجمي ، تعليق العلامة الشيخ محمد عوامة ص (٦٠٣) .

(٢) انظر مجلة الضياء التابعة لأوقاف دبي ، والشيخ محمود هو صاحب كتاب « تنبيه المسلم » .

فحوره الخطيب إلى قوله لو كان النبي حيّاً ، فكان كذباً بارداً ، ثم حوره من تلاعب بالسنة إلى « لو كان رسول الله حيّاً » وكأنه نسي هو أو من افترى ثناء الإمام أحمد على الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى^(١) .

(ج) وقال في حق الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي رحمه الله تعالى ، وأن له قدماً ... إلخ ص (٤٥) .

وجاء في « مختصر العلو » للألباني عن الشافعي رضي الله عنه قوله : القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها ، وفيها : وإن الله على عرشه فوق سمواته يقرب من خلقه كيف شاء ، وذكر سائر الاعتقاد ... روى شيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد بإسنادهما إلى أبي ثور وأبي شعيب كلاهما عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي ص ١٧٦ .

قال الشيخ حسن السقاف الشافعي في جوابه على هذا الخبر : هذا الكلام كذب محض ، وهو مدسوس على الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ومختصر « العلو » المتناقض إما أن يعلم أو لا يعلم كلاهما مر أو حنظل معصور في فمه ، وإليك البيان .

أما الملقب بشيخ الإسلام الهكاري فهو أحد الكذابين الوضاعين ، قال عنه الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » (١١٢ / ٣) في ترجمته : قال الإمام أبو القاسم بن عساكر : لم يكن موثقاً به . وقال ابن النجار : متهم بوضع الحديث ، وتركيب الأسانيد .

(١) ليت هناك من ينشط لتحقيق روايات الذهبي في « العلو » وقد فعل هذا الشيخ حسن السقاف فجزاه الله خيراً ، وروايات السنة لعبد الله إنه يخدم العلم بحق .
انظر لزماماً « تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب » ص (١٧٤) وغيرها .

وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في « لسان الميزان » ص (١٩٥) من الطبعة الهندية : كان الغالب على حديثه الغرائب والمنكرات ، وفي حديثه أشياء موضوعة ، ورأيت بخط بعض أصحاب الحديث أنه كان يضع الحديث بأصبهان اهـ .

وأما أبو محمد المقدسي فهو ممن أباح العلماء دمه كما يجد ذلك من يطالع ترجمته ، لكونه مجسماً صرفاً . انظر « الذيل على الروضين » المسمى « تراجم رجال القرنين » للحافظ أبي شامة المقدسي ، ص (٤٦ - ٤٧) ، وأين إسناد أبي محمد المقدسي هذا حتى نحكم عليه أيضاً .

ثم اعلم أن أبا شعيب أحد من ادّعوا أنه روى تلك العقيدة عن الشافعي ، ولد بعد وفاة الشافعي بستتين ، كما تجد ذلك في « تاريخ بغداد » (٤٣٦ / ٩) ، وأما هذه العقيدة المروية عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فهي مدسوسة عليه ، كما نقل ذلك الذهبي نفسه في الميزان (٣ / ٣٧٦) في ترجمته العشاري ، فلا غرو أن يتناقلها الحنابلة المجسمة وأن يُعنوا بها .

وقال بعد أن ذكر حديثاً موضوعاً عنه : إنما العتب على محدثي بغداد كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل .

وقال ابن حجر في « لسان الميزان » (٣٠١ / ٥) نقلاً عن الذهبي : أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن ، منها : حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ، ومنها : عقيدة للشافعي . اهـ^(١) .

(د) قال : وذكر أبو يعلى الحنبلي ما ينسب التشبيه والتجسيم إلى الإمام

(١) نقلاً عن مقدمة الشيخ السقاف « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي الحنبلي ص (٧٣) .

أحمد ، والعياذ بالله ، فقال في ترجمة أحمد بن جعفر الإصطخري : قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنّة المتمسكين بعروتها المعروفين بها ، وفيه : (وكلم الله موسى تكليماً من فيه وناولته التوراة من يده إلى يده (٢٩ / ١) ، قال الإمام الذهبي في حق عقيدة الإمام أحمد بدعوى الإصطخري : لعن الله من وضعها .

قلت : وكيف لا ، وفي ذلك نسبة الكلام من الفم إلى الله تعالى ، ومناولة التوراة يداً بيد ، وغيرها ، والعياذ بالله .

٧ - فتنة القول بخلق القرآن :

قال اللالكائي في « شرح السنّة » : لا خلاف بين الأمة أن أول من قال : القرآن مخلوق : جعد بن درهم في سنة نيف وعشرين ومائة ، وقيل : قتل في تلك السنّة ، وقيل سنة اثنين وثلاثين بعد المائة . ولم يحل قتل جهنم دون ذبوع رأيته في القرآن ، فافتتن به أناس ، فشايعه مشايعون ، ونافره منافرون ، فحصلت الحيدة عن العدل إلى إفراط وإلى تفريط من غير معرفة كثير منهم لمغزى هذا المبتدع أناس جاروه في الكلام النفسي ، وأناس قالوا في معاكسته بقدم الكلام اللفظي .

ولما رأى أبو حنيفة ذلك تدارك الأمر وأبان الحق فقال : ما بالله غير مخلوق وما بالخلق مخلوق ، يريد أن كلام الله تعالى باعتبار قيامه بالله تعالى صفة له كبقية الصفات في القدم ، وأما ما في السنّة التالين وأذهان الحفاظ والمصاحف ، والأصوات والصور الذهنية ، والنقوش فمخلوقة كخلق حاملها . فاستقرت آراء أهل العلم والفهم على ذلك^(١) .

(١) « تعليق الإمام الكوثري على الاختلاف في اللفظ » ، لابن قتيبة ص (٥٧) ، و« تأنيب الخطيب » ص (١٠٧) .

قال الفقيه المحدث أبو الحسن الليثي الشافعي المتوفى سنة ٣٧٧ :

ومنهم : الجهمية : صنفٌ زعموا أن الله ليس بشيء ، وليس كالأشياء لا يقع له صفة ولا معرفة ولا توهم ولا نور ولا سمع ولا بصر ولا كلام ، ولا تكلم ، وأن القرآن مخلوق ، وأنه لم يكلم موسى قط ، وأن الله خلق قولاً وكلاماً فوق ذلك القول والكلام في مسامع من شاء الله من خلقه فبلغه السامع عن الله بعد ما سمعه ، فسمي ذلك قولاً وكلاماً ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً^(١) .

وقال الأشعري : قال جهم : إن علم الله سبحانه محدث ، فيما يحكى عنه ، ويقول : بخلق القرآن ، وأنه لا يقال : إن الله لم يزل عالماً بالأشياء ، قبل أن تكون^(٢) .

قال جهم : علم الله وقدرته وحياته محدثة^(٣) .

جهم بن صفوان الذي قتله سيف العدل كان يقول بحلول الحوادث في ذات الله تعالى ، كالعلم والكلام ، ومن هنا زعم أن كلام الله مخلوق ، تبعاً لرأيه الباطل بحلول الأشياء المخلوقة ، والصفات على ذات الله تعالى شيئاً بعد شيء . ومن هنا قال بخلق القرآن ، أي ذات القرآن باعتبار أنه حدث بعد أن لم يكن . وفي ذلك نسبة النقص إلى الله تعالى ، وذلك ضلال وكفر .

وهذا الذي كفر به العلماء جهماً ، ولأمر أخرى معها ، والعياذ بالله .

وقد كان بين الإمام أحمد بن حنبل وصاحبه الحسين بن علي الكرابيسي

(١) « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ص (٩٧) .

(٢) « مقالات الإسلاميين » (١ / ٣٣٨) .

(٣) « مقدمة المواقف » ص (٣٠) .

أحد من حمل العلم عن الإمام الشافعي صداقة وصحبة قوية ، فلما وقعت المحنة فرقت بينهما ، وأبدلت صداقتهما وأخوتتهما الوكيدة جفوةً وعداوة شديدة ، وذلك في مسألة القرآن .

قال ابن عبد البر : فلما خالفه في القرآن عادت تلك الصداقة عداوة ، فكان كل واحد منهما يطعن على صاحبه ، وذلك أن أحمد بن حنبل كان يقول : من قال : القرآن مخلوق فهو جهمي ، ومن قال : القرآن كلام الله ، ولا يقول غير مخلوق فهو واقفي ، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع .

وكان الكرايسي وعبد الله بن كلاب وأبو ثور وداود بن علي وطبقاتهم يقولون : إن القرآن الذي تكلم الله به صفة من صفاته ، لا يجوز عليه الخلق ، وإن تلاوة التالي وكلامه بالقرآن كسب له ، وفعل له ، وذلك مخلوق ، وإنه حكاية عن كلام الله ، وليس هو القرآن الذي تكلم الله تعالى به وشبهه بالحمد والشكر لله ، وهو غير ذلك ، فكما يؤجر في الحمد والشكر والتهليل والتكبير فكذلك يؤجر في التلاوة .

وهجرت الحنبلية أصحاب أحمد حسيناً الكرايسي وبدعوه وطعنوا عليه ، وعلى كل من قال بقوله في ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (٣٥٩ / ٢) في ترجمة الكرايسي بعد أن نقل جملة من كلام ابن عبد البر المتقدم ، وقال أبو الطيب الماوردي : كان الكرايسي يقول : القرآن غير مخلوق ، ولفظي به مخلوق ، وإنه لما بلغه إنكار أحمد بن حنبل عليه قال : ما ندري إيش نعمل بهذا الفتى إن قلنا مخلوق ، قال : بدعة ، وإن قلنا غير مخلوق ، قال : بدعة . . .

وقال الحافظ الذهبي في « الميزان » (٥٤٤ / ١) في ترجمة الكرايسي فإن عنى بقوله : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولفظي به مخلوق ، التلفظ فهذا

جيد ، فإن أفعالنا مخلوقة ، وإن قصد الملفوظ أنه مخلوق فهذا الذي أنكره أحمد والسلف وعدّوه تجهماً . ص (٢٤٥) .

وقال الذهبي في « تذكرة الحفاظ » ص (٨٩٥) في ترجمة الحافظ أبي الوليد حسان بن محمد النيسابوري : قال الحاكم : سمعت أبا الوليد يقول : قال أبي : أيّ كتاب تجمع ؟ قلت : أخرّج على البخاري ، قال : عليك ، بمسلم ، فإنه أكثر بركة ، فإن البخاري كان يُنسبُ إلى اللفظ ، قال أي الذهبي : ومسلم أيضاً منسوب إلى اللفظ ، والمسألة مشكلة^(١) .

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول : كلام الله الذي هو كلامه غير مخلوق ، ولا يتكلم في التلفظ به تورعاً ووقوفاً عنده .

قال أبو عمارة وأبو جعفر بن أحمد ، قالا : سمعنا أحمد بن حنبل يقول : اللفظ محدث ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ ﴾ [القيامة : ١٨] . ولم يقل فإذا لفظناه .

ولكن لم يصح نقل عنه أنه قال : كلام الخلق بالقرآن غير مخلوق ، وأن الورق والمداد غير مخلوق ، وقد نقل ابن تيمية كلاماً مختلفاً فيمن ينتسب إلى الإمام أحمد في أمر القرآن ، حتى ادعى بعضهم أن الكاغد والمداد والجلد قديم ، والعياذ بالله^(٢) .

ولم ينف المعتزلة صفة الكلام لله تعالى ، وإنها قديمة أزلية كما فعل

(١) انظر : « قواعد في علم الحديث » ، للمحدث الفقيه أحمد ظفر العثماني ، بتعليق العلامة المحقق عبد الفتاح أبو غدة ص (٢٢٨) وما بعد ، وانظر : « الأسماء والصفات » ص (٢٦٧) .

(٢) انظر : « المسامرة على المسامرة » ص (٨٠ ، ٨١) ، وكلام ابن تيمية في مواضع من فتاويه .

جهم ، لكنهم زعموا أن الله تعالى تكلم في غيره (من الشجرة) ولذلك بدّع أهل السنّة المعتزلة ، وفسّقوهم ولم يكفّروهم كما فعلوا في حق جهم وجماعته ، فلا يتعجلن بعض من يكتب في علم التوحيد فيتهم القائلين بأن تلاوة التّالي القرآن الكريم وكتابته وطباعته مخلوقة ، وأن كلام الله تعالى المتلّو أزلي قديم . فإنه على ما قد رأيت منقول عن أئمة من السلف الصالح ولم ينقل ما يعاكسه ويعارضه عن إمام بدليل ظاهر صريح ، والله أعلم .

٨- قال دكتور كان حنفي المذهب حتى في شهادة الدكتوراه ، ثم . . . قال في حق : قولي في « أركان الإيمان » بعد أن حوّر فيه ما شاء : صرحوا بأن القرآن مخلوق .

والحق في العبارة هو ما يلي : قال علماء أصول الدين : إن الكلام ينقسم إلى قسمين ، الأول اللفظي ، والثاني : الكلام النفسي .

فأما اللفظي فهو ذلك القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ وكذا سائر الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولا ريب في أن هذا اللفظ حادث مخلوق له تعالى لأن الألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها ، ونقلت كلام التابعي الجليل الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في « الوصية » : نُقِرَ بأن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله وصفته لا هو ولا غيره بل صفته على التحقيق مكتوب في المصاحف مقروء بالألسن محفوظ في الصدور غير حالّ بها ، والحروف والحركات والكاغد والكتابة عليها مخلوقة لأنها أفعال العباد ، وكلام الله غير مخلوق لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات كلها آلة القرآن لحاجة العباد إليها ، وكلام الله تعالى قائم بذاته ، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء . اهـ ص (٥١) . فهل يفهم من هذا النص أنني أنا وأمثالي نقول بخلق القرآن . سامحهم الله .

نقل البيهقي عن ابن المبارك أحد أتباع الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى : لا أقول : القرآن خالق ولا مخلوق ، ولكنه كلام الله ليس منه بيائن . ثم قال : هذا هو مذهب السلف والخلف من أصحاب الحديث إن القرآن كلام الله عز وجل وهو صفة من صفات ذاته ، ليست ببائنة منه . وإذا كان هذا مذهبهم في القرآن . فكيف يُتوهم من الدكتور ما ذكرنا في تلاوتنا إنها مخلوقة ، وكتابتنا وحفظنا وإنها مخلوقة . اهـ .

٩ - كلام الله تعالى ليس بصوت :

تقدم قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الأكبر : [ويتكلم لا ككلامنا ، ونحن نتكلم بالآلات والحروف ، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف ، والحروف مخلوقة ، وكلام الله تعالى غير مخلوق] .

الألفاظ المستعملة فيما يتعلق بالقرآن : القراءة والمقروء والقرآن .

فالقراءة فعل العبد أي جبريل والنبي ﷺ وسائر المؤمنين الذي يقرأونه .

وأما المقروء فهو كلام الله تعالى الذي هو صفته ، والمراد بأنه مقروء : قراءة الألفاظ التي هي عبارة عنه .

وأما القرآن فهو لفظ مشترك ، فتارة يطلق على القراءة التي هي مخلوقة ،

قال الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٨] .

وتارة يطلق ويراد به المصحف دون القراءة ، قال النبي ﷺ : « لا تسافروا

بالقرآن إلى أرض العدو » رواه مسلم ، والطحاوي ، وآخرون . ثم إن إطلاق

القرآن على الكلام الذاتي لله تعالى حقيقة شرعاً وعقلاً ، وإطلاق القرآن على

اللفظ المنزل حقيقة شرعية فقط .

لا يوصف كلام الله تعالى بأنه ذو صوت ، وما كان لموسى عليه السلام

فتلك معجزة سمع بها كلام الله تعالى .

ورواية البخاري من حديث جابر رضي الله عنه بصيغة التمریض : ويُذكر ، وفيه فينادى بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه من قَرَبَ ، (أنا الملك أنا الديان) . وإنما ذكره البخاري بصيغة التمریض من أجل راويه عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال الإمام ابن حجر : لأن لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب ، ويحتاج إلى تأويل ، فلا يكفي فيه مجيء الحديث من طرق مختلف فيها ، ولو اعتضدت^(١) .

ورواية البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يقول الله يوم القيامة ، يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » . هذا اللفظ رواه رواة البخاري على وجهين بعضهم بكسر الدال (ينادي) ، وبعضهم بفتح الدال (ينادى) ، قال الحافظ ابن حجر : ووقع فينادي مضبوطاً للأكثر بكسر الدال ، وفي رواية أبي ذر بفتحها ، على البناء للمجهول ، ولا محذور في رواية الجمهور ، فإن قرينة قوله : (إن الله يأمرك) ، تدل ظاهراً على أن المنادي مَلَك يأمره الله بأن ينادي بذلك . وليس الحديث صريحاً في إثبات الصوت^(٢) .

ورواية أبي داود : « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجَرِّ السلسلة على الصفوان »^(٣) ولا حجة في الحديث لإثبات الصوت لكلام الله تعالى ؛ لأن الصوت خارج من السماء .

(١) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (١٤٢ / ١) .

(٢) « فتح الباري » (٣٩٣ / ١٣) .

(٣) أبو داود في كتاب « السنة » ، باب في القرآن .

ومن المعلوم أن في أحاديث الصفات مذهبين :

أحدهما : اشتراط أن يكون في درجة المشهور ، وهو ما رواه ثلاثة وأكثر ، وهو ما عليه الإمام أبو حنيفة وأتباعه من الماتريدية .

والثاني : ما ذهب إليه أهل التنزيه من المحدثين ، وهو : اشتراط أن يكون الراوي متفقاً على ثقته^(١) .

جاء في « الكاشف » للإمام الذهبي : عبد الله بن محمد بن عقيل الطالبي عن ابن عمر ، وجابر ، وعنه معمر وزائدة وبشر بن المفضل ، قال أبو حاتم : وعده لين الحديث ، وقال ابن خزيمة ، لا أعتد به^(٢) .

قال الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » له ، حين أخرج حديث عبد الله بن محمد بن عقيل : واختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات عبد الله بن عقيل لسوء حفظه ؛ ولم تثبت صفة الصوت في كلام الله عز وجل في حديث صحيح غير حديثه وليس بنا ضرورة إلى إثباته . اهـ^(٣) ، والله أعلم .

وقد نقل العلامة الكوثري رحمه الله تعالى فتاوى عدة من العلماء يقولون : إن كلام الله تعالى ليس بصوت . منهم : عز الدين بن عبد السلام ، فقد قال في جواب سؤال : القرآن كلام الله ، صفة من صفاته ، قديم بقدمه ، ليس بحروف ، ولا أصوات . إلخ . ومنهم جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب المالكي ، ومنهم علم الدين أبو الحسن علي السخاوي ، ومحمد الطوسي ، ويوسف الأرموي ، ومحمد بن إبراهيم الحموي ، وظافر بن حسين الأزدي ،

(١) « إظهار العقيدة السنية في شرح الطحاوية » ص (٩٥) وما بعد .

(٢) « الكاشف » (١ / ٥٩٤) .

(٣) « الأسماء والصفات » ص (٢٧٣) ، وانظر تعليق العلامة الشيخ شعيب على شرح ابن

أبي العز في « شرح الطحاوية » ، طبعة دمشق ، ص (١٥٢ - ١٥٣) .

وأبو إسحاق العراقي شارح « المذهب » ومحيي الدين محمد بن أبي بكر الفاسي ، وآخرين^(١) .

* * *

١٠- قال الله تعالى : ﴿ بَحَسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنْ السَّخِرِينَ ﴾ [الزمر : ٥٦] .

أ- قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى ﴿ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ قال الحسن : في طاعة الله ، وقال الضحاك : أي في ذكر الله عز وجل والعمل به ، وقال أبو عبيدة ﴿ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ أي في ثواب الله ، وقال الفراء : الجنب القرب والجوار ، أي على ما فرطت في طلب جواره وقربه أي الجنة ، وقال ابن عرفة : تركت أمر الله ، وكذا قال مجاهد أي ضيعت أمر الله (الجامع لأحكام القرآن ٣١٧/١٨) .

ب- وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى : لثلاث تقول نفس يا ندماً على ما ضيعت من العمل وقصرت في الدنيا في طاعة الله تعالى وأمره (مختصر الطبري ٢٨٣/٢) .

ج- وقال ابن كثير رحمه الله تعالى ﴿ بَحَسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾ أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويودّ لو كان من المحسنين المخلصين لله عز وجل (٦٢/٤) .

بينما قال ابن القيم أن الله تعالى جنباً حقيقة ، ثم يزيد من عنده جنباً آخر لله تعالى فقال في (الصواعق المرسلّة) الأصل السابع أن يقال : أن القرآن دلّ ظاهره على أنه جنب واحد هو صفة له فمن أين يدلّ ظاهره على أنه جنب واحد

(١) « السيف الصقيل » ص (٤٤) تعليقا .

وشتق واحد ، ومعلوم أن إطلاق مثل هذا لا يدل على أنه شق واحد ، ثم قال ونظير هذا اللفظ (القدم) إذا ذكر مفرداً لم يدل على أنه لا ينسب إليه إلا قدماً واحداً ، كما في الصحيح (حتى يضع عليها رب العزة قدمه ١ / ٢٥١) .

أقول : أليس هذا تشبيهاً لله جل جلاله بخلقه بنسبة أشياء إليه سبحانه وتعالى هي في خلقه وعباده ؟ ما أجمل قول الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى (لا ينبغي أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته ، ولكن يصفه بما وصف به نفسه ولا يقول فيه شيئاً برأيه تبارك الله رب العالمين . انظر إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل لابن جماعة ص ٢١) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : (لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الروية والفكر (ذكره أبو حاتم في مناقب الشافعي رضي الله عنه رواية يونس بن عبد الأعلى) .

١١- مسألة الصورة :

جاء في فتح الباري في كتاب أحاديث بدء الخلق (خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً ثم قال : اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم . فقالوا السلام عليكم ورحمة الله . فزادوا : ورحمة الله . فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن (قال ابن حجر : هذه الرواية على قول من قال : إن الضمير لآدم . والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلق عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ، ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته بل خلقه الله تعالى رجلاً كاملاً سوياً أول ما نفخ فيه الروح ، ثم عقب ذلك بقوله : (ستون ذراعاً) فقال : الضمير على آدم وقيل : معنى قوله : (على صورته) أي لم يشاركه في

خلقه أحد إبطالاً لقول أهل الطبائع وخص بالذكر تنبيهاً بالأعلى على الأدنى ،
ثم قال : فكل من يدخل الجنة على صورة آدم أي على صفته (١٣٤ / ٨) .

وجاء في كتاب الاستئذان قوله (على صورته) تقدم بيانه في (بدء الخلق) واختلف إلى ماذا يعود الضمير ؟ فقيل : إلى آدم أي خلقه الله تعالى على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط ، وإلى أن مات دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى أو ابتداء خلقه كما وجد لم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة ، وقيل للرد على الدهرية أنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك ، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة ، وقيل : للرد على القدرية الزاعمين أن الإنسان يخلق بفعل نفسه ، وقيل : إن لهذا الحديث سبباً حذف من هذه الرواية وأن أوله قصة الذي ضرب عبده فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وقال له : (إن الله خلق آدم على صورته) وقد تقدم بيان ذلك في كتاب (العتق) .

وقيل : الضمير لله ، وتمسك قائل بذلك في ما ورد في بعض طرقه (على صورة الرحمن) .

والمراد بالصورة : الصفة ، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك ، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء ، والمضاف إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ ﴾ [الشمس : ١٣] كما يقال (بيت الله) ، وله نظائر والله أعلم (فتح الباري ٦ / ١٤) .

قال العلامة عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي : ت (٥٧٩) بعد ذكر الحديث في (دفع شبه التشبيه) : (خلق الله آدم على صورته) قلت للناس في هذا مذهبان : أحدهما السكوت عن تفسيره والثاني الكلام على معناه ،

واختلف أرباب هذا المذهب في (الهاء) على من تعود ؟ على ثلاثة أقوال :

- أحدها تعود على بعض بني آدم وذلك أن الرسول ﷺ مرّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال : (إذا ضرب أحدكم فليترك الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته) رواه أحمد في مسنده ٤٣٤ / ٢ (والبخاري بنحوه في الأدب المفرد) ، وقال العلامة إبراهيم بن جماعة : الضمير عائد إلى المضروب أو المشتوم وهو أقرب (١٥٣) ، قالوا وإنما اقتصر بعض الرواة على بعض الحديث فيحمل المقتصر على المفسر قالوا : فوجه من أشبه وجهك يتضمن سب الأنبياء والمؤمنين . . . الخ .

- القول الثاني في أن (الهاء) كناية عن اسمين ظاهرين فلا يصح أن يضاف إلى الله عز وجل لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة فعاد إلى آدم ، ومعنى الحديث أن الله تعالى خلق آدم على صورته التي خلق عليها تماماً لم ينقله من نطفة إلى علقه كبنيه ، هذا مذهب أبي سليمان الخطابي ، وقد ذكره (ثعلب) في أماليه ، ثم قال : وقد روي هذا الحديث من طريق ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : (لا تقبح الوجه فإن آدم خلق على صورة الرحمن) الطبراني في معجمه الكبير ٤٣٠ / ١٢ (وابن أبي عاصم في سننه ٢٢٩) وقد ضعفه الشيخ ناصر في تعليقه على السنن^(١)

قلت « ابن الجوزي » : هذا الحديث فيه ثلاث علل :

أحدها : أن الثوري والأعمش اختلفا فيه فأرسله الثوري ورفع الأعمش .

الثاني : أن الأعمش كان يدلّس فلم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي

ثابت .

الثالث : أن حبيب كان يدلّس فلم يعلم أنه سمعه من عطاء ، قلت : وهذه

(١) انظر صحيحة الشيخ ناصر / ١٠٧٧ .

أدلة توجب وهناً في الحديث ، ثم هو محمول على إضافة الصورة إليه ملكاً (١٤٤ - ١٤٦) .

وقال العلامة ابن جماعة بعد كلام : ومن قال بأن الله تعالى صورة وخلق آدم عليها فمردود عليه لما فيه من التجسيم ص ١٥٥ وانظر (الأسماء والصفات للإمام البيهقي تعليق الكوثري ٢٩٠ - ٢٩١) وانظر مشكل الحديث لابن فورك ص ١٦ وقد ردّ على ابن قتيبة في هذا الباب بالعلم والحجة ، وانظر (النووي على مسلم عند حديث) إذا قاتل أحدكم (كتاب البر والصلة ٤١٣ / ٨) وعمدة القاري على صحيح البخاري (كتاب السنن لابن أبي عاصم تعليق الشيخ ناصر فقد قال بعد رد عود الضمير إلى الله : وإنما يصح بلفظ) صورته (ص ٥١٦) وكتاب محمد بن إسحاق بن خزيمة (التوحيد ص ٣٧) وعبارته (توهم بعض من لم يتحرّ العلم أن قوله : « على صورته » يريد صورة الرحمن عز وجل تعالى أن يكون هذا المعنى الخبر ، بل معنى قوله : « على صورته » الهاء في هذا الموضع كناية عن اسم المضروب . . . ثم قال : فتفهّموا رحمكم الله معنى الخبر لا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلّوا السبيل وتحملوا على القول بالتشبيه الذي هو ضلال) .

بينما قال علماء الحديث ما قالوا قال الشيخ حمود التويجري في رسالة (عقيدة أولي الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن » طبعة دار اللواء في الرياض ، قال ابن تيمية في رده على الرازي « فخر الدين الرازي صاحب كتاب أساس التقديس » : إن هذا الحديث مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأنه لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله تعالى وأن سياق الأحاديث كلها تدل على ذلك ، وقال أيضاً أن الأمة اتفقت على تبليغه ﷺ وتصديقه ، ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير عائداً إلى غير الله تعالى ص ٥) .

قلت : هذا من إلقاء الكلام دون حجة ، إن السلف كانوا يفوضون ولم يقل

أحد منهم « فيما نقل » الكلام على المراد صورة الرحمن ، وإنما تكلم العلماء بذلك لما ظهر تأثير اليهود المجسمة على بعض رواة الحديث فيدل على أن المراد صورة سيدنا آدم فقد ثبت أن للحديث سبباً وهو ضرب رجل من بني آدم ، والله أعلم .

وقال مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه ت ١٧٩ وهو من السلف الصالح لعبد الرحمن بن القاسم وقد سأله عمن يحدث بالحديث الذي قالوا : (إن الله خلق آدم على صورته) فأنكر مالك ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يتحدث به فقيل له : أن أناساً من أهل العلم يتحدثون به فقال : من هم ؟ قيل : محمد بن عجلان عن أبي الزناد فقال : لم يكن يعرف ابن عجلان لهذه الأشياء ولم يكن عالماً . . . الخ ص ٩ .

وقال الذهبي تلميذ ابن تيمية في (حديث الصورة) : أما معنى الصورة فردّ علمه إلى الله تعالى ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء . ص ١٠) .

وتقدم أن لفظ (صورة الرحمن) ضعيفة ذكرت له علل ومتى جاز أن يستدل بالضعيف في العقائد وخاصة في صفات الله تعالى ؟

وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع ، مثال ما هو مخالف للمنقول أن يكون خارجاً عن دواوين الإسلام ، ومثال ما هو مخالف للمعقول ما قيل أن سفينة نوح عليه السلام طافت بالبيت سبعاً (انظر تدريب الراوي ١ / ٢٧٧)^(١) .

(١) وقال محمد بن خزيمة في كتاب « التوحيد » في حديث الصورة : فإن في الخبر عللاً ثلاثة . وذكر مثل الذي ذكر ابن الجوزي وقد تقدم . ثم قال : فإن صح الخبر مستنداً فمعنى الخبر عندنا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه (- هذا خلق الله - هذه ناقة الله) ص ٣٦ - ٣٩ .

قال ابن عقيل الحنبلي : قوله : (رأيت ربي في أحسن صورة) يحتمل أن يكون رآه في أحسن صورة ، ويحتمل أن يكون في أحسن حال من الإكرام والتبجيل ، قال : وإنما دعانا إلى ذلك أن إطلاق الصورة عليه سبحانه تصريح بتكذيب القرآن ، وكفى بذلك محوجاً إلى التأويل ، وليس هذا يمكننا أن نقول فيه صورة لا كالصور لأنه عزاها إلى صورة محسوسة هي صورة آدم ، فلو كان على صورة الله في نفسه لكان كل آدمي على صورة الله ، والله سبحانه على صورته ، وقد كذب الله من قال ذلك وأطلقه عليه بقوله سبحانه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وآدم شيء فلا يكون مثلاً لله تعالى ص ١١٠ «إيضاح الدليل» .

قال ابن جماعة هذا الحديث « رأيت ربي في أحسن صورة » ضعيف جداً ، وقال الإمام أحمد أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة ص ٢٢٠ «إيضاح الدليل» و«دفع شبه التشبيه» ص ١٤٨ .

١٢- قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

قال العلامة القرطبي : قوله تعالى ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] اختلف في المقام المحمود على أربعة أقوال :

الأول : وهو أصحابها الشفاعة للناس يوم القيامة قاله حذيفة بن اليمان ، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال : (إن الناس يصيرون يوم القيامة جماعات كل أمة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي فذلك يوم الشفاعة يوم يبعثه الله المقام المحمود) . وفي صحيح مسلم عن أنس حدثنا أن محمداً ﷺ قال : (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم فيقولون له : اشفع لذريتك فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم

عليه السلام فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كلیم الله فيؤتى موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأؤتى فأقول: أنا لها) وذكر الحديث ، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] لما سئل عنها قال : (هي الشفاعة) قال : هذا حديث حسن صحيح . . . الخ .

ثم قال القول الثاني : أن المقام المحمود إعطاؤه لواء الحمد يوم القيامة . . . الخ .

القول الثالث : ما حكاه الطبري عن فرقة منها مجاهد أنها قالت : المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى محمداً ﷺ معه على كرسیه ، وروت في ذلك حديثاً ، وعضد الطبري ذلك بشطط من القول وهو لا يخرج إلا على تلطف في المعنى وفيه بعد . . .

وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال : من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا من أنكر جوازه على تأويله ، قال أبو عمر : ومجاهد وإن كان أحد الأئمة يتأول القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما هذا والثاني في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] قال تنتظر الثواب وليس من النظر . . . الخ .

القول الرابع : إخراجهم من النار بشفاعته من يخرج ، قاله جابر بن عبد الله ذكره مسلم ، وقد ذكرناه في (كتاب التذكرة) والله الموفق (٣٠٩/١٠ - ٣١٢) . وقال العلامة إسماعيل بن كثير تلميذ ابن تيمية قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] أي افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمذك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى .

قال ابن جرير : قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام المحمود الذي يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس . . . ثم قال : قال ابن عباس : المقام المحمود الشفاعة ، وكذا قال مجاهد والحسن البصري . . . وأطال الكلام رحمه الله تعالى ولم يشر إلى زعم الجلوس مع الرب على العرش والعياذ بالله (٢٩٢-٢٩٥) .

وقال العلامة الصالح إسماعيل حقي رحمه الله تعالى : ﴿ مَقَامًا تَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] عندك وعند جميع الناس وهو مقام الشفاعة العامة لأهل المحشر . . . الخ (٣٥٨ / ٢) .

وقال العلامة المفتي الآلوسي رحمه الله تعالى بعد أن رد ما نسب إلى ابن عباس من مثل قول مجاهد ونقل كلاماً جيداً للواحدي في الباب انظره في « روح المعاني » للآلوسي ج ١ / ١٤٢ .

قال الإمام الكوثري رحمه الله تعالى : لا يصح نسبة القول إلى أبي داود فإنه من طريق النقاش صاحب شفاء الصدور وهو كذاب .

وقال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن مصعب العابد : قال الإمام أحمد ابن مصعب : فأما قضية قعود نبينا على العرش فلم يثبت في الأصل نص بل في الحديث حديث واه ، وما فسّر به مجاهد الآية كما ذكرناه فقد أنكره أهل الكلام .

وقال الذهبي في (العلو) بسنده عن ابن مسعود : بينما أنا عند رسول الله ﷺ أقرأ عليه حتى بلغت ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا تَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قال (يجلسني على العرش) ثم قال الذهبي هذا حديث منكر لا يُفْرَحُ به وسلمة هذا متروك ، وأشعث لم يلحق بابن مسعود (العلو بتعليق الشيخ حسن السقاف ٣٠٦) ، وقال الشيخ ناصر في (مختصر العلو) ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائراً أن يفتي بعض العلماء من المتقدمين بأثر مجاهد هذا

كما ذكره الذهبي عن خبر واحد منهم ، بل غلا بعض المحدثين فقال : لو أن حالفاً حلف بالطلاق ثلاثاً أن الله يقعد محمداً ﷺ على العرش واستفتاني لقلت : صدقت وبررت (انظر العلو تعليقاً ص ٣٠٥) . أقول وأعجب كيف بيني بعضهم حكماً شرعياً على ما ينسب إلى تابعي ، وليس حديثاً ولا قول صحابي وقد أورد الذهبي حديث عبد الله بن سلام : (إذا كان يوم القيامة جيء بنبىكم فأقعد بين يدي الله تعالى ! الحديث) قال الذهبي هذا موقوف ولا يثبت إسناده .

حديث جوير عن الضحاك عن ابن عباس في ذلك سيأتي وليس بصحيح وروي مرفوعاً (وهو باطل) وإنما هذا شيء قاله مجاهد كما سيأتي . فالله أعلم (ص ٣٠٨-٣٠٩) .

قال أبو بكر الخلال (٣١١) في كتابه (السنة) ذكر المقام المحمود أخبرنا أحمد بن أصرم المزيني قال : حدثنا عباس بن عبد العظيم قال : حدثنا يحيى بن كثير العنبري قال مسلم بن جعفر وكان ثقة عن الحريري عن سيف السدوسي عن عبد الله بن سلام : (أن محمداً ﷺ يوم القيامة بين يدي الرب عز وجل على كرسي الرب تبارك وتعالى) قال المعلق : إسناده ضعيف لجهالة السدوسي ، ولم يضعف الخبر من قول عبد الله بن سلام وكان عالماً من علماء اليهود قبل أن يسلم ، ثم قال بعد كلام والمقام المحمود هو المقام الذي يحمد به كل من علم به (فتح القدير ٢٥١/٣) الخ .

وقال الخلال : وأخبرني محمد بن عبدوس والحسن بن صالح وبعضهما أتم من بعض قالوا :

حدثنا أبو بكر المروزي قال : قال أبو بكر بن حماد المغربي : من ذكرت عنده هذه الأحاديث ؛ أحاديث إقعاد النبي ﷺ فسكت فهو متهم على الإسلام فكيف من طعن فيها ، وقال أبو جعفر الدقيقي من ردها فهو عندنا جهمي ،

وحكم من ردّ هذا أن يتقيأ . وقال ابن عباس الدوري : لا يردّ هذا إلّا متهم ،
وقال إسحق بن راهويه : الإيمان بهذه الأحاديث والتسليم له ، وقال إسحق
لأبي علي القوهستاني : من ردّ هذا الحديث فهو جهمي .

وقال عبد الوهاب الوراق للذي ردّ فضيلة النبي ﷺ : يقعده على العرش
فهو متهم على الإسلام .

وقال إبراهيم الأصبهاني : هذا الحديث حدّث به العلماء منذ ستين ومائة
سنة اهـ كلام الخلاص ص ٢١٧ .

أقول : فانظر يا رعاك الله إلى رجال يتهمون من يرد ما لم يصح من
الحديث بأنهم متهمون على الإسلام وأنهم جهمية عاملهم الله بما يستحقون .
وهذا يدل على أن التشبيه والتجسيم تسلل إلى بعض الحنابلة منذ القرن
الثالث ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

قال العلامة عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي رحمه الله تعالى في (دفع شبه
التشبيه بأكفّ التنزيه) الحديث التاسع والثلاثون : روي عن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال : (وعدني ربي
بالقعود على العرش) قلت : هذا حديث مكذوب لا يصح عن رسول الله ﷺ .
قال أبو حامد : يجب الإيمان بما ورد من المماساة والقرب من الحق لنبه من
إقعاده على العرش ، قال : وقال ابن عمر : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لُزْفَى ﴾ [ص : ٢٥]
ص ٤٠ قال ذكر الله الدنو منه حتى يمسّ بعضه .

قلت : وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعض الذات كفر بالإجماع
(٢٤٥) .

قال ابن القيم تلميذ ابن تيمية مؤكداً خبر الإقعاد بما لا يصح فقال : وهو

قول ابن جرير الطبري وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني ومن شعره قوله وذكر أبياتاً .

(بدائع الفوائد ٤/ ٤٠) وغفل ابن القيم عن رواية هذا الكلام وعن الدارقطني فإن راويه أبو العز بن كادش قال فيه الذهبي في (الميزان) : أقر بوضع أحاديث وتاب وأناب (١١٨/١) .

وقال الحافظ ابن النجار عن ابن كادش كما في (لسان الميزان لابن حجر) كان مخطئاً كذاباً لا يحتج بمثله (٢١٨/١) .

وقال ابن عساكر : قال لي أبو العز بن كادش وسمع رجلاً قد وضع في حق علي حديثاً ووضعت أنا في حق أبي بكر حديثاً بالله أليس فعلت جيداً؟! لا والله .

قال الذهبي معلقاً على قوله ذلك : وهذا يدل على جهله ، يفتخر بالكذب على رسول الله ﷺ (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٩) .

والثاني أبو طالب العشاري قال فيه الذهبي : أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة باطن !!! منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ، ومنها عقيدة الشافعي (٦٥٦/٣) ، وقال بعد أن ذكر حديثاً في سنده العشاري هذا ما نصه : قبح الله من وضعه والعتب إنما هو على محدثي بغداد كيف تركوا العشاري يروي هذه الأباطيل (٦٥٦/٣) وقد ردّ هذا الخبر والشعر المنسوب إلى الدارقطني الشيخ ناصر الألباني في سلسلة الضعيفة (٢٥٦) ، قلت : وقول ابن القيم هو قول شيخه أحمد بن تيمية ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال صاحب تفسير (البحر المحيط) أبو حيان الأندلسي رحمه الله تعالى قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه (كتاب

العرش) إن الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكاناً يقعد فيه معه رسول الله ﷺ تحيل عليه التاج محمد بن عبد الحق البارنباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه (النهر المادّ مختصر البحر المحيط ٢٥٤ / ١) ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أقول : إن هؤلاء الناس يتعلقون بأقوال لا تصح موقوفة ولا مرفوعة ؟ من أجل ماذا ؟

من أجل مشابهة الله بخلقه وهو القائل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] حسبنا الله ونعم الوكيل .

وانظر إن شئت (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التبطل) لإبراهيم بن جماعة تعليقاً ص ٣٠ وقول الشيخ ناصر في تعليقه على السنن ، وقوله في الضعيفة ، قال في تفسير أبي هريرة للمقام المحمود أنه الشفاعة ، وقال في (مختصر العلو) وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم ، وما عزاه الدارقطني لا يصح إسناده كما بيّنا في (الضعيفة) وقال خلاصة القول أن قول مجاهد هذا وإن صح لا يجوز لأن يتخذ ديناً وعقيدة ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة ، فيا ليت المصنف إذ ذكر عن جزم يرده لعدم صلاحيته للاحتجاج به ، ولست أدري ما منع المصنف يعني « الذهبي » عفا الله عنه من الاستقرار على هذا القول على جزمه بأن هذا الأثر منكر كما تقدم عنه فإنه يتضمن نسبة القعود على العرش لله عز وجل وهذا يستلزم الاستقرار عليه وهذا مما لم يرد فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل (مختصر العلو ١٤٠) .

١٣- لا يجوز إطلاق الجسم على الله تعالى :

قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله تعالى (٣٣٣) من كلام : ثم القول بالجسم يخرج على وجهين :

أحدهما : في مائة الجسم في الشاهد ، وأنه اسم ذي الجهات أو اسم محتمل النهايات أو اسم ذوي الأبعاد الثلاثة فغير جائز القول به في الله سبحانه وتعالى على تحقيق ذلك لما هي أدلة الخلق وأماراة الحدث ، إذ ذلك معنى الأجزاء والحدود التي هي آيات الحدث ، وقد بينا أنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وفي ذلك إيجاب جعله كأكثر الأشياء .

وإن كان على التسمية به بلا تحقيق ما ذكرنا ، خرج الاسم من المعروف به فبطل تعرف ذلك من جهة العقل والاستدلال ، وحقه السمع عن الله أن الجسم ليس من أسمائه ولم يرد عنه ولا عن أحد ممن أذن لأحد تقليده ، فالقول به لا يسع ولو وسع بالنحت من غير دليل حسي أو سمعي أو عقلي لوسع القول بالجسد والشخص وكل ذلك مستنكر بالسمع ، وليسع القول بكل ما سمي به الخلق ، وذلك فاسد .

وثانيها : أن الجسم ليست لمائة تعرف سوى الإثبات فيجوز القول به لو لم يرد به غيره ، ولكن لا أحد يجعل الجسم من أسماء الإثبات ، إذ لا يسمى به الأعراض والصفات على احتمالها اسم الإثبات ولذلك بطل القول به . . . الخ (التوحيد للماتريدي ص ٣٨) .

وقد نقلت ص ٤٦ من رسالتنا هذه وما بعد كلام السلف الصالح في نفي الجسمية عن الله تعالى فانظره ، وقال الإمام الأشعري في اختلاف أهل القبلة : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : إن الله تعالى ليس بجسم ولا يشبه الأشياء .

قال ابن تيمية في (التأسيس في الرد على أساس التقديس للفخر الرازي رحمه الله تعالى) : وقد بلغنا أنهم « الملائكة » حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم

« الملائكة لهم ركب عنده » حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا به بقدره الله وإرادته ، ولولا ذلك ما استقل به العرش ولا الحملة ، ولا السموات والأرض ومن فيهن ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقامت بقدرته ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض (٥٦٨ / ١) .

قال ابن تيمية لفظ الجسم والحيز والجهة ألفاظ فيها إجمال وإبهام ، وهي ألفاظ اصطلاحية . . ولم يرد في الكتاب ولا سنة في هذه الألفاظ بنفي ولا إثبات (فتاوى ابن تيمية ٢٩٨ / ٥) .

أقول : وقد تقدم عن الإمام أبي حنيفة وأحمد وغيرهما أنه لا يجوز إطلاق اسم الجسم على الله تعالى .

قال الدكتور سامي النشار : لقد تأثر الهروي (٤٨١) باتباع محمد بن كرام المجسم (وقد كتب كتابه) ذم الكلام وحشاه بالتشبيه الخالص . . ثم قال يعني التشبيه في بيت المقدس وفي دمشق في حران ، وفي هذا الأخير نشأ ابن تيمية (٦٦١) وقد نشأ في أسرة حنبلية يحيط بها التشبيه والتجسيم وقد وقع فيهما ابن تيمية وقوعاً كاملاً ، ومن المؤكد أن مذهب ابن تيمية خليط من مذاهب الصفاتية التالية ممتزجة بسالمية وبربهارية وكرامية .

توفي ابن تيمية (٧٢٨) نشأة الفكر الإسلامي ، أقول : ودفن ابن تيمية في مقبرة (الصوفية) في دمشق .

يحدث الرحالة ابن بطوطة فيقول كشاهد عيان ما يدل على أن ابن تيمية كان مجسماً قال : وكنت إذ ذاك بدمشق فحضرت يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم فكان من جملة ما قاله : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء وأنكر ما تكلم به ، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً

كثيراً (رحلة ابن بطوطة ص ٩٥-١١٠ الرسالة) وابن بطوطة كان قاضياً في بلاده وطاف في العالم سنين طويلة .

ثبت أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى سئل عن الحديث : (أن الله ينزل في الليل إلى السماء الدنيا) فقال الإمام مالك : ينزل أمره ، قال العلامة ابن عبد البر : ويحتمل أن يكون كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى على أنه تنزل رحمته وقضاؤه بالعفو والاستجابة وذلك من أمره « أي أكثر ما يكون في ذلك الوقت والله أعلم » ولذلك جاء فيه الترغيب في الدعاء (التمهيد لابن عبد البر ١٤٣-١٤٤) .

وقد جاءت رواية أخرى في (السير للذهبي ١٠٥/٨) ولكن في إسناده متروك ، وقد ذكر الإمام النووي هذا التأويل عن الإمام مالك في شرحه على صحيح مسلم ، وذكره الحافظ في الفتح (٣٠/٣) .

وقد أنكر بعضهم هذه الرواية عن مالك لأن فيها (محمد بن علي الجبلي) فقال فيه : لا يعرف ! قيل أن ابن عبد البر نفسه قال عنه : وكان من ثقة المسلمين بالقيروان ، فهو معروف عند أهل العلم .

١٤- رد ما لا يصح من نسبة الجسمية إلى الله تعالى :

١- قال ابن القيم في (النونية) وروى ابن ماجه مسنداً عن جابر : شاهده ففي القرآن

وبناهم في مشيهم وسرورهم	ونعيمهم في لذة وتهان
وإذا بنور ساطع قد أشرقت	فيه الجنان قصيها والداني
وإذا بربهم تعالى فوقهم	قد جاء للتسليم بالإحسان

ثم قال :

من ردّ هذا فعلى رسول الله
في هذا الحديث علوه ومجيئه
فحقيقة التجسيم أن يك عندكم
بصفاته العليا التي شهدت بها
فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا
أنا مجسمة بفضل الله
رد وسوف عند الله يلتقيان
وكلامه حتى يُرى بعيان
وصف الإله الخالق الديان
آياته ورسوله العدلان
في كل مجتمع وكل مكان
ويشهد بذلك معكم الثقلان

شرح النونية (٨٤ / ٢)

أقول : قال الشيخ الصالح صالح معتوق : والحديث رواه ابن ماجه في
كتاب (المقدمة باب ما جاء فيما أنكرت الجهمية ٦٦ / ١ حديث رقم ١٨٤)
حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، حدثنا أبو عاصم العباداني
حدثنا الفضل الرقاشي ، عن محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله قال : قال
رسول الله ﷺ : (بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم
فإذ الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، قال
وذلك قول الله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] قال فينظر إليهم وينظرون
إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم
ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم) .

قال السيوطي في (مصباح الزجاجة) والذي رأيته أنا في كتاب (العقيلي)
ما نصه عبد الله بن عبيد الله أبو عاصم العباداني منكر الحديث . . وكان الفضل
يرى القدر كاد أن يغلب على حديثه الوهم ، وقال العقيلي بعد أن ساق
الحديث : لا يتابع عليه ولا يعرف إلاّ به (الضعفاء ٢ / ٢٧٤) وقال الذهبي
فيه : واه وهو واعظ زاهد إلاّ أنه قدرّي (الميزان ٢ / ٤٥٨) وأورده الزبيدي في
(إتحاف السادة المتقين ٩ / ٦٤٥) وعزاه إلى القشيري في الرسالة وابن ماجه .

وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة وابن مردويه ولم يتكلم في رتبة الحديث .

أما الفضل الرقاشي ، فقال البخاري : كان يرى القدر وليس أهلاً أن يروى عنه .

وقال سلام بن أبي مطيع : لو أن فضلاً الرقاشي ولد أخرس كان خيراً من أن يتكلم ، وقال ابن عدي الضعف بين على ما يرويه ، عن الكامل لابن عدي (٢٣٩/٦) .

وفي (تهذيب التهذيب ٨/٢٨٣) وضعفه أحمد بن حنبل ، وابن معين وقال : كان قاصاً رجل سوء قدري خبيث ، وقال أبو حاتم : أبو زرعة منكر الحديث ، وضعفه النسائي ، وقال يعقوب بن سفيان : معتزلي خبيث ، هذا وذكره ابن حبان في الثقة وفي (الميزان ٣/٣٥٦) قال أبو سلمة التبوذكي : لم يكن أحد ممن يتكلم في القدر أخبث قولاً من الفضل الرقاشي ، ولم يورد الذهبي الحديث المذكور فيما ساقه من أحاديثه .

وقال ابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/٣٨٤) : أخرجه ابن عدي في (الكامل) من حديث جابر وفيه الفضل الرقاشي وتعقب بأن الحديث من هذا الطريق أخرجه ابن ماجه والبيهقي في (الشعب) .

وفي (الموضوعات لابن الجوزي ٣/٢٦٠-٢٦٢) أورد ابن الجوزي ثلاث روايات لهذه الأحاديث بأسانيدھا ثم قال عقب ذلك هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ، ومدار طرقه كلها على الفضل بن عيسى الرقاشي ، قال يحيى : كان رجل سوء ، ثم في طريقه الأول والثاني عبد الله بن عبيد الله قال العقيلي : لا يعرف إلا به ولا يتابع عليه ، وفي طريقه الثالث محمد بن يونس الكديمي وقد ذكرنا أنه كذاب ، وقال ابن حبان كان يضع الحديث .

أفبهذا الخبر التالف ينسب إلى الله تعالى التجسيم والانتقال واتخاذ سكن ؟
لا والله .

٢- قال ابن القيم في (النونية ٢/ ٥٠٣) ولقد روى حقاً أبو الدرداء ذلك
عويماً أثراً عظيم الشأن :

فيه النزول ثلاث ساعات فأحدهن ينظر في الكتاب والثاني
يمحو ويثبت ما يشاء بحكمه وبعزة وبرحمة وحنان
والساعة الأخرى إلى عدن ما ما أهله صفوة الرحمن
والساعة الأخرى إلى هذي السماء ويقول : هل نائب من نائب ندمان
أقول : قال الشيخ الصالح صالح معتوق قال العقيلي في (الضعفاء ٢/ ٩٣) :

حدثني يحيى بن صالح قال حدثنا أبو صالح قال حدثني الليث قال حدثني
زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب عن فضالة بن عبيد عن أبي
الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : (ينزل الله تبارك وتعالى في آخر ثلاث
ساعات بقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر
فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ، وينظر في الساعة الثانية في عدن وهي مسكنه
التي يسكن فيها لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم
يره أحد ولم يخطر على قلب بشر ، ثم يهبط في آخر ساعة من الليل فيقول ألا
من مستغفر يستغفرني فأغفر له ألا سائل يسألني فأعطيه ، ألا داع يدعوني
فأستجيب له حتى يطلع الفجر) .

قال العقيلي والحديث في نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيه أحاديث
صحاح ، إلا أن زيادة هذا في حديثه أتى بالفاظ لم يأت بها الناس ولا يتابعه
عليها منهم واحد .

وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٢٥) هذا الحديث من عمل زيادة بن محمد لم يتابعه عليه أحد . قال البخاري : هو منكر الحديث ، وقال ابن حبان : هو منكر الحديث يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، وقال الذهبي في (الميزان ٢/ ٩٨) بعد أن أورد الحديث : فهذه ألفاظ منكرا لم يأت بها غير زيادة ، وقد انفرد بحديث الرقية (ربنا الذي في السماء) بالإسناد .

وأورد الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ١٦٤) وقال : منكر . وأورده ابن عدي في (الكامل) في ترجمة زيادة (١/ ٥٤٣) .

أقول : ألا ترى نسبة الجسمية (الجسم) إلى الله تعالى بدليل أحسن ما يقال فيه أنه قول صحابي وقد ذكرت بطلان الخبر ، ألا ترى أن نسبة جنة عدن إلى الله تعالى وأنها مسكنه ، فكيف يقول ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] وأن الله يأخذ إلى جنة عدن جماعات من الناس بينما ذكر الله تعالى من دعاء الملائكة في حق المؤمنين عامة ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [غافر : ٨] .

٣- قال العلامة ابن كثير تلميذ ابن تيمية رحمه الله تعالى : وما أحسن الحديث الذي رواه الطبراني عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ : (يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادته : إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم) ثم قال إسناده جيد ، وثعلبة بن الحكم هو الليثي نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة صحابي جليل (٢/ ٤٦٨) .

جاء في (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكتاني (٩٦٣) عند ذكر خبر ابن كثير قلت : فيه العلاء بن مسلمة الرواسي فكيف يكون جيداً والله أعلم (١/ ٢٦٨) .

أقول : قال ابن حجر في العلاء متروك ورماء ابن حبان بالوضع
(التقريب ٤٣٦) .

وقال الذهبي في (الكاشف ١٠٦/٢) متهم .

أفبهذا الخبر التالف ينسب إلى الله تعالى القعود على الكرسي للقضاء بين
عباده ؟ وقد قال سبحانه : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وهو
جل جلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] .

٤- وقال العلامة المحقق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى وهو
يتحدث عن المتساهلين في الحديث فيذكر الذهبي والسيوطي مع نماذج من
مروياتهم في كتبهم ، ثم يقول أما ابن القيم فمع جلالة قدره ونباهة ذهنه ويقظته
البالغة فإن المرء ليعجب منه كيف يروي الحديث الضعيف والمنكر في بعض
كتبه (مدارج السالكين) من غير أن ينبه عليه ، بل تراه إذا روى حديثاً جاء على
(مشربه) المعروف بالغ في تقويته وتمتينه كل المبالغة ، حتى يخيل للقارئ
أن الحديث من قسم المتواتر في حين أنه قد يكون ضعيفاً أو غريباً أو منكراً ،
ولكن لما جاء على (مشربه) جمع له جراميزه وهب لتقويته وتفخيم شأنه بكل
ما أوتي من براعة بيان وقوة لسان ، واكتفى على سبيل المثال بالإشارة إلى
حديث واحد من هذا النمط ، رواه رحمه الله تعالى في كتابه (زاد المعاد في
هدي خير العباد) أثناء كلامه عن وفد بني المنفتق (٥٧-٥٤ / ٣) فقد ساق
هناك حديثاً طويلاً جداً جاء فيه من قول النبي ﷺ (ثم تلبثون ما لبثتم ثم تبعث
الصائحة فلعمرؤ إلهك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات ، تلبثون ما لبثتم ثم
يتوفى نبيكم والملائكة الذين مع ربك فأصبح ربك يطوف في الأرض وخلت
عليه البلاد . . .) .

وبعد أن ساق الحديث المشار إليه أتبعه بكلام طويل بتقويته استهله تقوله

هذا حديث جليل كبير ينادي بجلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة المدني ، ثم استرسل في توثيق (عبد الرحمن) ومن رواه عنه استرسالاً غريباً ، كما أنه سرد الكتب التي روى الحديث فيها وهي كتب معروفة بشيوع الحديث الضعيف والمنكر والموضوع فيها وهو أعلم الناس بحالها ، ولكن غلبته عادته ومشربه فذهب يسردها ويطيل ويفخم بمؤلفيها تهويلاً بقوة الحديث وصحته مع أن الحديث حين رواه صاحبه ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية ص ٨٠-٨٢) أعقبه بقوله : هذا حديث غريب جداً وألفاظه فيها نكارة ، وكذلك قال الحافظ ابن حجر في (تهذيب التهذيب) في ترجمة « عاصم بن لقيط بن عامر بن المنفتق العقيلي » (٥ / ٥٧) بعد أن أشار للحديث ومن رواه من المؤلفين : وهو حديث غريب جداً .

فحينما يقول الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر في الحديث المشار إليه غريب جداً وألفاظه في بعضها نكارة ترى الشيخ ابن القيم يطنب في دعمه وتصحيحه حتى نقل مرتضياً قول من قال : (ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل أو مخالف للكتاب والسنة !) .

فصنيع ابن القيم هذا يدعو إلى البحث والفحص عن الأحاديث التي يرويها من هذا النوع ويشيد بها في تأليفه ، وهي كتب يوجد فيها الحديث الضعيف والمنكر والموضوع (الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة) للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى (١٣٠٤ بتعليقات الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ص ١٣٠-١٣٢) ثم علق رحمه الله تعالى على ما جاء هنا بقوله : وتجد نماذج كثيرة من هذا النوع في (نونيته) المسماة الكافية الشافية ، وقد استوفى نقد ما فيها الإمام تقي الدين السبكي في كتابه

السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (وشيخنا الإمام الكوثري في تعليقه الذي سماه) : (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم ص ٣٠١) .

٥- قال العلامة عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه) الكلام على ما جاء في الكتاب العزيز من الآيات وتأويلها بما يليق بجلال الله تعالى من الصفات :

الآية الأولى : قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ورد في خمس آيات ، وفي سادس في طه ﴿ أَلَرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] فنقول قد تقدم القول أن القرآن نزل بلغة العرب ومعاني كلامهم ، وما كانوا يتعقلونه في خطابهم ، أما العرش لغة : فهو سرير الملك ، وسقف البيت ، ومنه قولهم : ثل عرش فلان أي زال سلطانه وجاهه ، ويقال لسقف البيت : عرشه ، ومنه قوله تعالى : ﴿ مَعْرُوشَتِي وَمَعْرُوشَتِي ﴾ [الأنعام : ١٤١] ، والعرش : سقف العالم بأسره ص ١٠١ .

قال العلامة ابن كثير تلميذ ابن تيمية في تفسير آية الأعراف : للناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى ، فالله لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] بل الأمر كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسول الله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الذي يليق بجلال الله ، ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى (مختصر ابن كثير ٢/ ٢٥) .

وقال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها أقوال بلغت أربعة عشر قولاً والأكثر من المتقدمين والمتأخرين على أنه إذا وجب تنزيه الله تعالى عن الجهة والحيّز فمن ضرورة ذلك عند عامة العلماء تنزيه الله عن الجهة ، وليس بجهة فوق عندهم لأنه يلزم من ذلك أنه متى اختص بجهة أن يكون في مكان وحيّز ، ويلزم من المكان والحيّز الحركة والسكون والتغير والحدوث ، وهذا كلام المتكلمين ، وحكى أبو عمر بن عبد البر في قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] : علا ، قال الشاعر :

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلّق النجم اليماني واستوى
« أي علا وارتفع » وقال : وعلو الله وارتفاعه عبارة من علو مجده وصفاته وملكوته ، أي ليس فوقه فيما يجب له من مباني الجلال أحد ، ولا معه من يكون العلو مشتركاً بينه وبينه ، لكنه العلي بإطلاق سبحانه (الجامع لأحكام القرآن بإيجاز ٢١٩/٧) .

وتقدم كلام الإمام النووي في أخبار الصفات (٤١٣/٨) في تقرير مذهب السلف ، وانظر كلام ابن الجوزي في أخبار الصفات أن الناس فيه على ثلاث مراتب :

إحداها إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل . . . الخ .

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة (٢١٠) من لم يقرّ بأن الله تعالى على عرشه استوى فوق سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه وأُلقي في مزبلة لئلا يتأذى به أهل القبلة (التوحيد له) أقول إنه يتأذى به أهل القبلة لو ترك على ظهر الأرض ، ولكنه الخذلان من الله تعالى .

قال الذهبي بعد نقل كلمة ابن خزيمة . . (من لم يقر بأن الله على عرشه . .) .

قلت : من أقر بذلك تصديقاً لكتاب الله تعالى ولأحاديث رسول الله ﷺ وآمن به مفوضاً معناه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ ولم يخض في تأويل ولا عمق فهو المسلم المتبع ومن أنكر ذلك فلم يدر ثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر ، والله يعفو عنه ، وقفاً غير سبيل السلف الصالح وغفل عن النص فأمره إلى الله ، نعوذ بالله من الضلال والهوى فليعذر من تأول بعض الصفات ، وأما السلف فما خاضوا في التأويل بل آمنوا وكفوا وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله ﷺ ، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوحيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقل من يسلم من الأئمة (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٧٣) .

أقول : ومقالة ابن خزيمة ليس تفويضاً ولا تأويلاً لكن دعوى دون دليل من الكتاب والسنة ، ولفظه (فوق سمواته) لا تحمل دليلاً خاصاً ، والذي ورد ﴿ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي ﴾ [طه : ٥] ولم يرد أن الله تعالى على عرشه ، ولا يقال في حق الله تعالى إلا ما ورد ، ولفظة (بائن) لم ترد في الكتاب ولا في السنة ، ولا روي عن أحد من الصحابة ، فأين يُذهب به والتكفير شيء خطير ! من قال ذلك في مسلم إن كان كذلك وإلا عادت عليه والعياذ بالله .

قال الذهبي في كتابه (العلو) في ترجمة يحيى بن عمار أنه قال في رسالته : ولا نقول كما قال الجهمية ، أنه تعالى مداخل الأمكنة وممازج لكل شيء ، أو لا نعلم أين هو بل نقول بذاته على العرش . . الخ ، قال : قلت : (قولك) : بذاته من كيسك وليس لها محل ولا حاجة إليها ص ٥٤٧ .

وقال في ترجمته لأبي نصر السجزي في قوله في (الإبانة) : أثمتنا

كسفيان الثوري وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة والفضيل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق عرشه ، قال : قلت : هذا الذي نقله عنهم مشهور ومحفوظ سوى كلمة (بذاته) فإنها من كيسه نسبها إليهم بالمعنى . . الخ ص ٥٥١ .

وقال الإمام الكوثري رحمه الله تعالى : ولفظ بائن من خلقه لم يرد في كتاب ولا سنة وإنما أطلق من أطلق من السلف بمعنى نفى الممازجة رداً على جهم لا بمعنى الابتعاد والمسافة . تعالى الله عن ذلك كله كما صرح بذلك في (الأسماء والصفات ٤١٣-٤١٥) وأما لفظ فوق العرش فلم يرد مرفوعاً إلا في بعض طرق حديث (الأوعال) من رواية ابن منده في التوحيد ، عبد الله بن عميرة في سنده مجهول الحال ، ولم يدرك الأحنف ، فضلاً عن العباس . التعليق على السيف الصقيل ١٧ ويأتي الكلام على حديث (الأوعال) في موضعه إن شاء الله تعالى .

بل إن الشيخ ناصرأ قال في مقدمة (مختصر العلو) بعد كلام ومن هذا العرض تبين أن هاتين اللفظتين (بائن - بذاته) لم تكونا معروفتين في عهد الصحابة رضوان الله عليهم (قلت : ولا عهد التابعين لهم) ولكن لما ابتدع جهم وأتباعه القول بأنه في كل مكان اقتضى ضرورة البيان أن يتلفظ هؤلاء الأئمة الأعلام بلفظ (بائن) دون أن ينكره أحد منهم .

أي ضرورة تلك سوى ما يقصدون من نسبة المكان إلى الله تعالى ، تعالى جلّ جلاله عن الجهة والمكان ، ويقال : ليس لما سوغوا لأنفسهم ذلك أثارة من دليل ، أما الإنكار فهذا الذهبي أنكره عليهم فما بال قول أئمة السنة المنزهين لله تعالى عن المكان والجهة أي مكان وأي جهة .

١٥ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] .

قال العلامة المحقق الكمال بن الهمام من كلام : (وقال سلفنا في جملة المتشابهة نؤمن به ونفوض تأويله إلى الله تعالى مع تنزيهه عما يوجب التشبيه والحدّ ، بشرط ألاّ يذكر إلّا ما في القرآن ، ولا نبذله بلفظ آخر (حكاه التكساري وغيره) وهذا ما قاله ابن الجوزي في (زاد المسير) .

وأجمع السلف على أن لا يزيدوا على تلاوة الآية فقولهم لا يشتق منه الاسم ، يعنون . . . والله أعلم أن لا يقولوا مستو على العرش . . . ولا يبدلون لفظه (على) بلفظ (فوق) ونحو ذلك ، تمسك سلفنا بقوله تعالى ﴿ وَمَا يَقْلُمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] الخ (المسامرة شرح المسامرة ص ٢٢) .

وقال العلامة النووي في مقدمة (المجموع شرح المذهب) اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها هل يخاض فيها بالتأويل أم لا ؟ فقال قائلون تُتأول على ما يليق بها وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين ، وقال آخرون لا تُتأول بل يمسك عن الكلام في معناها أو يوكل علمها إلى الله تعالى ، ويعتقدون مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحادث عنه فيقال مثلاً : (نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى) ولا نعلم حقيقة معنى ذلك والمراد به ، مع أننا نعتقد أن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وأنه منزّه عن الحلول وسمات الحدوث .

وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم وهي أسلم ، ولا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك فإذا اعتقد التنزيه لا حاجة إلى الخوض في ذلك والمحاضرة فيما لا ضرورة ، بل لا حاجة إليه (١٩/١ - ٢٠) .

وقال الإمام محمد بن الحسن الشيباني « تلميذ أبي حنيفة » رحمهما الله

تعالى : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق والمغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه ، وقال ما وصف الله به فيه بشيء نفسه فقراءته تفسيره . ذكره اللالكائي في (شرح السنة) انظر مقدمة إيضاح الدليل ص ٤٠ وما بعد .

ذكر الشيخ محمد أبو زهرة : لما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال : (نؤمن بها ونصدق بها ، ولا كيف ولا معنى) وقال أيضاً حين سألوه عن الاستواء فقال : (استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) على ما ذكره الخلال في (السنة) بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد (مقدمة دفع شبه التشبيه ص ٣٢) .

وقال الإمام الغزالي في كتابه النافع (الاقتصاد في الاعتقاد ٥٢-٥٣) فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] و (ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) قلنا : الكلام على الظواهر الواردة في هذا الباب طويل ، ولكن نذكر منهجاً في هذين الظاهرين يرشد إلى ما عده ، وهو أن نقول : الناس في هذا فريقان عوام وعلماء ، والذي نراه هو اللائق بالعوام هو أن لا يخاض في هذه التأويلات بل ننزع من عقائدهم كل ما يوجب التشبيه ويدل على الحدوث ، ويحقق عندهم أنه موجود و ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ! .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في (الفقه الأكبر) : اعلموا أن الباري لا مكان له ، قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] يقال هذه الآية من المتشابه يمر بها كما جاءت ولا يبحث عنها ولا يتكلم فيها ، ويجب عليه أن يعتقد في صفة الباري ما ذكرناه وهو أنه لا يحويه مكان

ولا يجري عليه زمان ، ومنزه عن الحدود والغايات مستغن عن المكان والجهات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ .

قال عبد الملك بن وهب كنا عند مالك بن أنس رحمه الله تعالى فدخل عليه رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه : ٥] كيف استواؤه ؟ قال : فأتى مالك وأخذته الرضاء ، ثم رفع رأسه فقال : ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه : ٥] كما وصف نفسه ولا يقال : كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه . وفي لفظ له بطريق يحيى بن يحيى « الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعا فأمر به فأخرج » .

نسب إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه : ٥] استقرّ على العرش وقد امتلأ به ، قال الإمام البيهقي : فذلك من رواية أبي صالح ومحمد بن مروان الكلبي ، قال البيهقي كلهم متروكون عند أهل الحديث لا يحتجون بشيء من روايتهم لكثرة المناكير فيها وظهور الكذب في رواياتهم (الأسماء والصفات) انظر ص ٤١٣ .

وقال ابن تيمية في شرح حديث النزول ما نصه : والقول الثابت وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه ، مع دنوه ونزوله إلى السماء ولا يكون العرش فوقه (فتاوى ابن تيمية ٣ / ٣٧٤) .

إنه على هذا القول الخطير لا يذكر شيئاً من أسماء الأئمة ليعرف الناس من هم أولئك الأئمة ، والرجال يعرفون بالحق ولا يعرف الحق بالرجال .

وقال : إن الله تعالى على العرش وحملة العرش أقرب إليه ممن دونهم وملائكة السماء العليا أقرب إلى الله عز وجل من ملائكته السماء الدنيا ،

والنبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد قرباً إلى ربه بعروجه وصعوده وكان عروجه إلى الله لا إلى مجرد خلق من خلقه (٦-٧) .

تعليق على قول ابن تيمية أن المعراج كان إلى الله ص ١٩ .

حديث شريك : حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال سمعت ابن مالك يقول : ليلة أُسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام . وفيه حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك وفي آخره قال : واستيقظ وهو في المسجد الحرام (البخاري كتاب التوحيد رقم ٧٥١٧) .

قال عبد الحق في الجمع بين الصحيحين زاد فيه - يعني شريكاً - زيادة مجهولة وأتى بالفاظ غير معروفة - ولقد روى حديث الإسرائاء مجموعة من الحفاظ فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك . وشريك ليس بالحافظ . وقال ابن حزم لم نجد للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين ثم غلبه في تخريجه الوهم مع إتقانهما وصحة معرفتهما فذكر هذا الحديث . وقال فيه ألفاظ معجمة والآفة من شريك من ذلك قوله : (قبل أن يوحى إليه) وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة قال : وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم أنه إنما كان قبل الهجرة بسنة وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتي عشر سنة . ثم قوله أن الجبار ﴿ دَنَا فَنَدَلَى ﴾ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٩٨] وعائشة رضي الله عنها تقول : إن الذي دنا جبريل ! اهـ الخ ثم قال بعد كلام ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك .

الأول : أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات وقد أفصح بأنه

لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر كما سبق في أول الصلاة .

الثاني : كون المعراج قبل البعثة وقد سبق الجواب عن ذلك الخ .

الثالث : كونه مناماً وقد سبق الجواب عنه بما فيه غنية .

الرابع : مخالفته في سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله . والمشهور أنها في السابعة أو السادسة كما تقدم .

الخامس : مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما تحت سدرة المنتهى . . .

السادس : شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره .

السابع : ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا والمشهور في الحديث أنه في الجنة كما تقدم التنبيه عليه . . .

الثامن : نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل والمشهور في الحديث أنه جبريل كما تقدم التنبيه عليه . . .

التاسع : التصريح بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه كان عند الخامسة . الخ .

العاشر : قوله فعلا به إلى الجبار فقال : وهو مكانه ، وقد تقدم ما فيه الخ وقال وقد جزم ابن القيم بأن في رواية شريك عشرة أوهام . (تمام الكلام في فتح الباري ١٧/٤١٦) طبعة المكتوم .

قوله سبحانه وتعالى : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿١﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم :

[٩٨] .

قال إسماعيل بن كثير تلميذ ابن تيمية : ﴿ فَاسْتَوَى ﴾ [النجم : ٦] يعني جبريل عليه السلام ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾ [النجم : ٧] يعني جبريل استوى في الأفق الأعلى . قال عكرمة : ﴿ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾ [النجم : ٧] الذي يأتي منه الصبح قال مجاهد : هو مطلع الشمس . قال ابن مسعود : إن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين - أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فسدّ الأفق وأما الثانية فكان معه حيث صعد فذلك قوله : ﴿ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴾ [النجم : ٧] وهذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها ورسول الله ﷺ في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله تعالى عليها (له ستمائة جناح) ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [النجم : ٩] أي اقترب جبريل إلى محمد ﷺ لما هبط إلى الأرض حتى كان بينه وبين محمد ﷺ ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ [النجم : ٩] أي بقدرهما إذا مُدّا . . . ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] معناه : فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحى أو فأوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى بواسطة جبريل وكلا المعنيين صحيح الخ (مختصر ابن كثير) ٣/ ٣٩٧-٣٩٨ (وانظر للتوثيق) القرطبي (١٧/ ٨٨) وما بعد وجاء في (صفوة التفاسير) مثلما نقلنا . ثم قال والجمهور على أن المرثي مرتين هو جبريل عليه السلام . وقال عند قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] أي والله لقد رأى محمد ﷺ ليلة المعراج عجائب ملكوت الله ؛ رأى سدرة المنتهى والبيت المعمور والجنة والنار . رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناح ورأى ررفراً أخضر من الجنة قد سدّ الأفق وغير ذلك من الآيات العظام . قال الفخر : وفي الآية دليل على أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آيات الله ولم ير الله كما قال البعض ووجهه أن الله تعالى ختم قصة المعراج برؤية

الآيات وقال في الإسراء : ﴿ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا ﴾ [طه : ٢٣] ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن ولأخبر تعالى به (الفخر الرازي) ٧ / ٧٤٠ (عن صفوة التفاسير) ٣ / ٢٧٤ هـ .

أقول : قال الله تعالى في بيان الإسراء به ﷺ والحكمة منه ﴿ لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٣] وقال الشيخ أحمد بن جهبل : لم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش ولا كلمة واحدة من ذلك ، وما روي أنه ﷺ قال لسعد بن معاذ حين حكم على يهود بني قريظة : « وقد خانوا العهد » بالقتل فقال ﷺ : (لقد حكمت عليهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة) قال ابن العربي : لا يصح .

قال الشيخ الدكتور محمد بن أحمد بن مسكة : فقد ورد الاستواء في سبع آيات فقط ، وورد ما يوهم أنه تعالى في السماء في بضع آيات ، وليس في الاستواء تصريح بجهة ولم يرد في القرآن ولا في سنة مشهورة توجب اليقين أنه تعالى فوق العرش ، فأما السلف فآمنوا بهذه الآيات كلها وسلموها وأمرّوها كما جاءت ، وأما ابن تيمية والحشوية فأخذوا بعضها وجعلوه هو المحكم الذي يجب أن يفهم على ظاهر ما يتبادر إلى الذهن منه وجعلوا الباقي متشابهاً يجب أن يؤول ، وهم بذلك قد صاروا في عداد من ذمهم الله تعالى بقوله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا شَغَبَهُ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٧] وهم يدعون أن ذلك كله مذهب السلف ودعواهم باطلة فإن النبي ﷺ وأصحابه وكبار التابعين لم يؤولوا شيئاً من ذلك . الخ (فتاوى ابن تيمية في الميزان ٢٤٠) .

أقول : قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره الاستواء : في كلام العرب منصرف على وجوه منها انتهاء شباب الرجل وقوته ، ومنها استقامة ما كان فيه من الأمور والأسباب يقال استوى لفلان أمره أي استقام له بعد أود

ومنه قول الطرماح بن حكيم :

طال على رسم مهدد أبده وعفا واستوى به بلد
ومنها الإقبال على الشيء كما يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه
ويسوءه بعد الإحسان إليه ، ومنها الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على
المملكة بمعنى حازها واحتوى عليها ، ومنها العلوّ والارتفاع كقول القائل
استوى فلان على سريره (تفسير سورة البقرة ١/ ١٩١) .

وقال الإمام أبو بكر بن العربي في (العواصم والقواصم) فلما قال
﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] كان المطلوب ههنا ثلاثة معان معنى
﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ومعنى ﴿ اسْتَوَى ﴾ ومعنى ﴿ الْعَرْشِ ﴾ ، أما معنى ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ فمعلوم
لا خلاف فيه ولا كلام ، وأما ﴿ الْعَرْشِ ﴾ فهو في العربية لمعان فأياها يريدون
ولفظ ﴿ اسْتَوَى ﴾ محتمل لخمس عشرة معنى في اللغة فأياها يريدون ، وأياها
تدعون ظاهراً منها ، ولم قلت أن العرش المراد به ههنا مخلوق مخصوص بعينه
فادّعيتموه على العربية والشريعة !

ولم قلت أن معنى ﴿ اسْتَوَى ﴾ قعد أو جلس فتحكمون باتصاله به ، ثم
تقولون أنه أكبر أجزاء منه بأربع أصابع تحكّم لا معنى له ، ولفظة ﴿ عَلَى ﴾ تأتي
لعدة معان ، قال ابن هشام في (مغني اللبيب) لها تسعة معان أحدها الاستعلاء
والثاني المصاحبة كقوله تعالى ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد : ٦] والثالث المجاوزة والرابع التعليل ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٥] الخامس النظر فيه ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوْا الشَّيَاطِينُ عَلَى
مُلْكٍ سَلِيتَنَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] والسادس موافقة من ﴿ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾
[المطففين : ٢] السابع موافقة الباء (حقيق على أن لا أقول) الثامن أن تكون زائدة
« للتعويض أو نحوه » التاسع الاستدراك والإضراب . . الخ (انظرها مع

الأمثلة في مغني اللبيب ١/ ١٦٣) .

أقول : قد تقدم قول السلف في (الصفات) فلا تقول : إن المراد معنى معين في ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] لأن إطلاقات اللغة للكلمات كما تقدم ولم يرد تخصيص لها ممن يملك ذلك كالقرآن وصحيح السنة (وانظر مقدمة إيضاح الدليل للتوثق) .

١٦- خطر نسبة الجهة إلى الله تعالى :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت ٣٢٤) في بيان السنة والجماعة : (تعالى الله عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات) .

لا تحويه الجهات الست أي لا تحويه سبحانه الجهات الست كما تحوي جميع المخلوقات ، إذ المخلوقات لا تخلوا عن التحيز في إحدى الجهات لأن الحادث لا بد أن يكون بمكان .

وقال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى : لم يرد لفظ الجهة في حديث ما ، بل قال أبو يعلى الحنبلي في (المعتمد في المعتقد) : ولا يجوز عليه تعالى الحد ولا النهاية ، ولا قبل ولا بعد ولا تحت ولا قدام ولا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها وهي صفات توجب المكان .

وقال العلامة القرطبي في (التذكار في أفضل الأذكار) : ويستحيل على الله تعالى أن يكون في السماء أو في الأرض إذ لو كان في شيء لكان محصوراً أو محدوداً ولو كان ربك كذلك لكان محدثاً ، وهذا مذهب أهل التحقيق ص ١٣ (ثم قال : ثم متبعو المتشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقادهم ظواهر المتشابه كما فعله المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره حتى اعتقدوا أن الباري جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وغير

ذلك من يد وعين وجنب وإصبع ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والصحيح القول بتكفيرهم « أي المجسمة » إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد ص ٢٠٧) .

قال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى : لم يرد ذكر الجهة في حق الله سبحانه في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في لفظ صحابي أو تابعي أو في كلام أحد ممن تكلم في ذات الله تعالى وصفاته من الفرق سوى أقحاح المجسمة ، وأتحدى من يدعي خلاف ذلك أن يسند هذه اللفظة إلى أحد منهم بسند صحيح ، فلن يجد إلى ذلك سبيلاً فضلاً عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة (السيف الصقيل تعليقاً ص ١٠١) .

أقول : ولو رجع القارىء الكريم إلى تفسير ابن كثير تلميذ ابن تيمية لما يدل على فورية الله تعالى لرأى أنها فورية القدر والقهر ، انظر مثلاً ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٨] قال ابن كثير : وهو القاهر فوق عباده أي الذي خضعت له الرقاب وذلت له الجبابرة وعنت له الوجوه وقهر كل شيء . . الخ (١ / ٣٢١) وقال عند قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام : ٦١] أي هو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله وعظمته وكبريائه كل شيء (١ / ٨٤) ﴿ يَدْبِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] أي يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة . . (٣ / ٧٣) وهكذا انظر (الإيمان بالله تعالى) لكاتب السطور ص ١٤٠ .

١٧- ابن تيمية والتأويل :

قول أهل السنة في صفات الله تعالى (التفويض) أي إمرار الآيات المتشابهات في الصفات وتوكيل بيانها إلى الله تعالى مع اعتقاد تنزيهه سبحانه عن مشابهة خلقه .

وقال بعض الخلف والمتكلمين بل تؤول تلك الآيات لدفع شبهة التشبيه والتجسيم لله تعالى على المتفق عليه في اللغة واستعمال العرب المتقدمين .

قال العلامة ابن دقيق العيد : إن كان التأويل قريباً من لسان العرب لم ينكر أو بعيداً توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذي أريد به مع التنزيه ، وما كان من هذه الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالى : ﴿ بَحَسَرْتُ عَنْكَ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] فنحمله على حق لله تعالى يجب له ، كما في (مناهل العرفان في علوم القرآن ١٨٢ / ٢) وانظر (فتح الباري ١٣ / ٢٤٠) .

أخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال : كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف ، قال أبو داود : وهو قولنا وقال البيهقي : وعلى هذا مضى أكابرنا .

وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءت بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب سبحانه من غير تشبيه ولا تفسير . . الخ .

أما ابن تيمية فينفي مذهب التفويض ويسميه مذهب التجهيل فقال من كلام : والذين ينتحلون مذهب السلف يقولون أنهم لم يكونوا يعرفون معاني النصوص . . وهذا القول من أبطل الأقوال ، ومما يعتمدون عليه في ذلك ما فهموه من قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ويظنون التأويل هو الذي يسمونه تأويلاً وهو مخالف للظاهر (الفتاوى ٦٦ / ٤) وقال في موضع آخر وهو يصف أهل التفويض فيقول : فصار الأولون أي أهل التفويض أقرب إلى السكوت والسلامة بنوع من الجهل (الفتاوى ١٣ / ٢٨٦) .

وهو يشبه صفات الأجسام بصفات المعاني الثابتة لله تعالى ، مما اضطره إلى إنكار المجاز في القرآن فقال مقالة عجبية (انظر الجهاز على منكري المجاز وأقوال أهل اللغة والعربية في إثبات اللفظ المجاز في اللغة من أوائل القرن الثالث للشيخ الدكتور عيسى بن مانع حفظه الله تعالى)

وكذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن الكريم لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله تعالى وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله عن طريق المجاز ، وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً وأما إذا فعلت بمن فعلها فعلى المجني عليه عقوبة بمثل فعله كانت عدلاً . الخ (الإيمان ٦٩ وما بعد) .

وقال في الفتاوى مساوياً بين صفات الأجسام وصفات المعاني المنسوبة إلى الله تعالى وفوض السلف الصالح وأمروها كما جاءت ، ثم أن من المعلوم أن الرب جل جلاله لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم يقل المسلمون : ظاهر هذا غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا ، وكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيده لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد ، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا بل بصفة تناسبه (الفتاوى ٤٧/٣) .

جاء في (تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية) في ردّ هذه الشبهة [ووجه تخليطه أن صفات المعاني كصفات العلم والإرادة والقدرة يمكن للمخلوق أن يشارك الخالق في التسمية بها دون ما في نفس الأمر ، أي أن صفات الله تعالى صفات كمال غير محدودة وصفات المخلوق صفات قاصرة محدودة والقصور لا في نفس الصفة الإلهية بل في المجلس (أي في المخلوق) بخلاف الجوارح لأن صفات المعاني لا تقتضي التجسيم كما هو معلوم ضرورة بخلاف اليد والعين إن حملناها على الحقيقة ، أما الصفات

المعنوية لو حملت على الحقيقة في حق الله تعالى لا يتصور منها الجسمية المحالة على الله تعالى كما أنه لم يؤثر عن العرب أنهم جعلوا الجوامد صفات كاليد والعين ! إذ ذلك مما يستحيل فعلاً ، لأن الصفات تكون في المعاني ، فجعل الأخبار الإضافية من الصفات تخليط آخر حيث رأى أن نفي الجوارح عن الله تعالى نفي ما أثبت سبحانه لنفسه ، كما رأى أن التوقف في ذلك إنما هو تعطيل] .

وهذا مما يشعر منه أنه يقيس الخالق بالمخلوق حيث يقول في (التأسيس) في ردّ أساس التقديس (للفخر الرازي رحمه الله تعالى) : فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ، ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين ، فليس في تركنا لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة ، وقال في موضع آخر : قلت ليس هو بجسم ولا جوهر ولا متحيز ولا في جهة ولا يشار إليه بحسّ ولا يتميز منه شيء من شيء وعبرتم عن ذلك بأنه ليس بمنقسم ولا مركب وأنه لا حدّ له ولا نهاية ، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حدّ ولا قدر أو يكون قدر لا يتناهى فكيف ساغ لكم هذا النص بلا كتاب ولا سنة (١٣٤ - وانظر ص ٤٦ من مسائل في علم التوحيد الطبعة الأولى) .

وأحب أن أنقل هنا كلام ابن كثير وهو تلميذ لابن تيمية (وقد ناله شيء مما نال شيخه من النكال لآرائه) من تفسير سورة الأعراف ما نصه : فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جداً ليس هذا موضوع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مسلك السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث ابن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يشبهه شيء ❀ لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الشورى : ١١﴾ .

ثم إن ابن تيمية بعد ذلك يؤول ! نعم يؤول جميع ما يدل على أن الله تعالى مع خلقه بذاته مثلاً وأنه قريب من عباده إلى الميت أكثر من قرب أهله إليه ، وأن المراد بوجه الله تعالى في الصلاة الجهة التي يرضاها الله تعالى . . الخ ، وذلك حق كله ولكنه يصّر على إثبات الفوقية لله تعالى ولا يؤول فيها ، ويتحامل على مخالفه وبشدة ، قال مثلاً : إنا لا ندّم كل ما يسمى تأويلاً بل ندّم تحريف الكلم عن مواضعه ومخالفة الكتاب السنة والقول في القرآن بالرأي .

أقول : فيقال له كما أولت قوله سبحانه ﴿ءَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك : ١٦] أن المراد بنص (علا) أي على السماء فما هو المانع أن يؤول : من في السماء أمره وسلطانه .

قال الشيخ الدكتور محمد بن أحمد بن مسكة : وقد تجرد ابن تيمية لتأويل جميع الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها غير جهة الفوقية ، فأول المعية في كل موضع حسب ما يقتضيه بساط الكلام وأول القرب أيضاً حسب المقام ، فأول قوله تعالى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة : ٨٥] بأنهم الملائكة أو العلم أو غير ذلك من التأويلات (فتاوى ابن تيمية في الميزان ٢٤٥) .

أقول : هل من الإنصاف أن يضرب كتاب الله تعالى بعضه ببعض فيؤول قوله سبحانه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ - وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ - مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ - إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ﴾ ولا يؤول قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ؟

وقد علمت ما قاله السلف الصالح في الصفات المتشابهات ! قال العلامة محمد أبو زهرة : لما سئل أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم

ونحوها قال : (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) وقال أيضاً يوم سأله عن الاستواء : (استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) ذكره الخلال في (السنة) وقال ابن حزم : وقد روينا عن أحمد أنه قال : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما معناه وجاء أمر ربك . . ، ثم قال أبو زهرة : وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف وأما ما ينقل عنه مما يخالف ما تقدم فهو من صديق جاهل وسوء فهم لمذهب الإمام (مقدمة دفع شبهة التشبه ص ٣٢) .

وما أجمل كلام أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وأولاه أن يكون عمدة كل مسلم في تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ، أو مشابهة خلقه له ، قال علي رضي الله تعالى عنه : (سبحانه كلم موسى تكليماً بلا جوارح ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات ، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات ، ومن زعم أن إلهاً محدود فقد جهل الخالق المعبود ومن ذكر أن الأماكن تحيط به لزمته الحيرة والتخليط ، بل هو محيط بكل مكان ، فإن كنت صادقاً أيها المتكلف بوصف الرحمن بخلاف التنزيه والبرهان فصف لي جبريل وميكائيل وإسرافيل . . وهيئات ! أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود من لم تأخذه سنة ولا نوم الذي له ما في الأرضين والسموات وما بينهما وهو رب العرش العظيم) حلية الأولياء لأبي نعيم ٧٣ / ١ .

وتقدم قول علي رضي الله تعالى عنه وقد سئل أين كان الله تعالى قبل أن يخلق السموات والأرض فأجاب (أين) سؤال عن المكان ، كان الله تعالى ولا مكان وهو اليوم على ما هو عليه كان .

لقد حشا الذهبي كتابه (العلو) بروايات لا سند لها ولا خطام في إثبات جهة الفوقية والعلو لله تعالى ، وذكر أحاديث أشار إلى أنها موضوعة ومقالات

أنها منكورة ، وأخرى أنها ضعيفة أو مرسل ، فقال مثلاً في قول رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ لما حكم في بني قريظة : (لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة) هذا مرسل ، قال الشيخ حسن السقاف : [(الذي نشر العلو) هذا حديثاً وله تعليقات علمية جيدة على روايات الذهبي فخدم بذلك أهل السنة خدمة جُلى تعرف بها كيف تقرأ (كتاب العلو) وأمثاله من مثل كتاب (السنة) المنسوب إلى عبد الله بن أحمد ولا يصح نسبته إليه ، وكتاب (السنة) للخلال و (الرد على بشر المريسي) لعثمان بن سعيد الدارمي (غير المحدث) والإبانة لابن بطة ، والتوحيد لابن خزيمة وغيرها . . الخ (انظر مقدمة دفع شبه التشبيه ص ٧٥)] قال : وفقه المولى للصواب على كل حال : فإن هذا الخبر مرسل رواه ابن إسحق كما في سيرة (ابن هشام ٢٥٦/٣) وهذه الرواية منقوضة برواية الإمام أحمد في (المسند ١٤١/٦) والطحاوي في (مشكل الآثار ٢٠٧/٩) من طريق عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال أخبرني عائشة فقال رسول الله ﷺ : (لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى وبحكم رسوله) فهذه رواية علقمة ليس فيها ذكر (فوق سبعة أرقعة) وهذا مما يجعل المرسل الذي فيه هذا اللفظ باطلاً لا محالة . . والحمد لله رب العالمين (١٧٣) .

وذكر حديثاً نسب رفع ابن عمر له إلى رسول الله ﷺ (ما بال أقوال تبليغي عن أقوام أن الله تعالى خلق سموات سبعاً فاختر العلياً فسكنها . .) الخ ثم قال وهو حديث منكر رواه جماعة في (كتب السنة) وأخرجه ابن خزيمة في (التوحيد ص ١٤٣) وذكر عن أبي مالك الأشعري مرفوعاً أنه ﷺ قال : (ويجعل وجوههم نوراً يوم القيامة قدام الرحمن يفرح الناس ولا يفرعون . . الخ ثم قال في إسناده : صالح .

قال الشيخ حسن : باطل ؛ قال ابن معين كل حديث يحدث به صالح المري بن ثابت باطل . قلت : وصالح هذا واهي الحديث . قال البخاري : منكر الحديث وقال النسائي : متروك الحديث . انظر في تهذيب الكمال ١٨/١٣ . الخ والله أعلم ، فكن أيها القارئ على حذر من (العلو) وإذا أردت قراءة (العلو) فاقرأه مع تعليقات الشيخ حسن السقاف وفقه المولى إلى الصواب على كل حال ، وقد طبع في (دار الإمام النووي) عمان سنة ١٤١٩ هـ .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : الأصل السابع : العلم بأن الله تعالى منزّه عن الاختصاص بالجهات ، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف ، وهذه الجهات الذي خلقها الله وأحدثها بواسطة الإنسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس ، واسم الأسفل لما يلي جهة الرجل ، إن النملة التي تدبّ منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً ، وإن كان في حقنا فوقاً ، وخلق الله تعالى للإنسان يدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً ، وخلق له جانبيين وبصرين أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها ، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يُخلق الإنسان بهذه الخلقة ، بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة ، أو صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن له بأن خلق العالم فوقه ؟ تعالى أن يكون له جهة فوق إذ يتعالى أن يكون له رأس ، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس ، أو خلق العالم

تحتة فتعالى أن يكون له تحت إذ تعالى أن يكون له رجل ، والتحت عبارة عما يلي الرجل ، وكل ذلك مستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أن يختص بحيز اختصاص الجواهر ، أو يختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرأ أو عرضأ فاستحال كونه سبحانه مختصاً بالجهة وإن أُريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الاسم مع المساعدة على المعنى .

ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له وكل محاذ لجسم إما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر ، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدّر وتعالى الخالق الواحد المدبر .

فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء ، فهو لأنها قبلة الدعاء ، كما أن البيت قبلة الصلاة ، وفيه أيضاً وصف للمدعو من الجلال والكبرياء وتنبيهها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء (قواعد العقائد ١٦٢) .

وقال الإمام ناصر الدين بن المنير المالكي في كتابه (المنتقى في شرف المصطفى ﷺ) حين تكلم عن الجهة وقرر نفيها في حق الله تعالى فقال : ولهذا أشار الإمام مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ : (لا تفضلوني على يونس بن متى) فقال مالك إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه ، لأن الله تعالى قد رفعه ﷺ إلى العرش ويونس عليه السلام هبط به إلى قاع البحر ، ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل لما نُهي عن ذلك ، ثم أخذ ناصر الدين يُبدي أن الفضل بالمكانة لأن العرش في الرفيق الأعلى فهو أفضل من السفلى ، فالفضل بالمكانة لا بالمكان (المصدر السابق تعليقا ١٦٥) وانظر

في نفي الجهة عن الله تعالى والعياذ بالله كلام العلامة الأيجي الذي كان على مذهب المجسمة ثم تاب ولذا يتحامل عليه أولئك ويلقبونه بما شاءوا ، انظر (المقاصد له ص ٣٧١) .

وأفضل وأجمع ما يقرأ في نفي الجهة عن الله تعالى ما كتبه معاصر ابن تيمية في الرد عليه لما بلغه أن ابن تيمية ينسب الجهة إلى الله تعالى . والرسالة في الرد مطبوعة مستقلة وهي ضمن طبقات الشافعية للسبكي ٣٤ / ٩ والشيخ أحمد معاصر ابن تيمية هو أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جهيل الحلبي ٦٧١ وكان ورعاً عالماً ، مات في جمادى الآخرة سنة ٧٣٣ رحمه الله تعالى (طبقات الشافعية والدرر الكامنة ١ / ٣٥٠) .

١٨- نفي القول بحلول الحوادث بذات الله تعالى :

قال العلامة الغزالي رحمه الله تعالى الأصل السابع قدم الكلام والصفات والتنزه عن حلول الحوادث . اعلم أن الكلام القائم بنفسه سبحانه وتعالى قديم وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن يكون سبحانه محلاً للحوادث ، داخلاً تحت التغير ، بل يجب للصفات من نعوت القديم ما يجب لله سبحانه ، فلا تغيره التغيرات ولا تحله الحادثات ، بل لم يزل في قدمه موصوفاً بمحامد الصفات ، ولا يزال في أبده كذلك منزهاً عن تغير الحالات ، لأن ما كان محلاً للحوادث لا يخلو عنها ، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ، وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من حيث تعرضها للتغيير وتقلب الأوصاف ، فكيف يكون خالقها مشاركاً في قبول التغيير ، ويبنى على هذا أن الكلام قائم بذاته ، وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه (المصدر السابق ص ١٨٥) .

وجاء في رسالة (العقيدة الطحاوية) للإمام أبي جعفر الطحاوي : قال الإمام « أبو حنيفة » وبه قال الإمامان المذكوران رحمهما الله تعالى « يعني أبا

يوسف ومحمد » نقول في توحيد الله تعالى معتقدين بتوفيق الله تعالى أن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه ولا إله غيره قديم بلا ابتداء ، دائم بلا انتهاء ، لا يفنى ولا يبید ، ولا يكون إلا ما يريد ، لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام ولا تشبهه الأنام ، حي لا يموت قيوم لا ينام ، خالق بلا حاجة ، رازق بلا مؤنة ، مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة ، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفاته ، ولما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ، ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري ، له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالقية ولا مخلوق ، وكما أنه يحيي الموتى بعد ما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم ذلك لأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير ، وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى : ١١] .

وجاء في كتاب (الإرشاد لإمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى) : ونقول أيضاً الدال على استحالة قيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى أنه لو قامت به لم يخل منها ، وذلك يفضي لحدته ، فإذا جوز الخصم عزل الجواهر عن الحوادث مع قبوله لها صحة وجوازاً فلا يستقيم مع ذلك دليل على استحالة قبول الباري تعالى للحوادث .

معنى حلول الحوادث بالله تعالى ! يذكرها المجسم عثمان بن سعيد في كتابه (النقض) فقد قال فيه : الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء وينزل ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أماره ما بين الحي والميت التحرك كل حي متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة ص ٢٠ . وقال : ولو لم يكن له يدان خلق بهما آدم ومسّه بهما مسياً كما ادّعت لم

يجز أن يقال بيدك الخير ص ٢٩ .

وقال معنى تأويل قول رسول الله ﷺ (أن الله ليس بأعور) أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور ص ٤٨ . أقول : مع أن الله تعالى قال لموسى ﴿ وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْفٍ ﴾ [طه : ٣٩] وقال سبحانه ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] ولم يرد في القرآن ولا في السنة نسبة عينين إلى الله تعالى ، وقال : ولو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته « أي حملته جل جلاله » ولطف ربوبيته فكيف على عرش عظيم ص ٧٤ .

بل قال لا نسلم أن مطلق المفعولات مخلوقة وقد أجمعنا واتفقنا على أن الحركة والنزول والمشي والهرولة والاستواء على العرش وإلى السماء قديم ص ١٢١ .

ولا ندري من أجمع معه ومن اتفق معه إلا أن يكون مجسماً يجعل الله تعالى جسماً كالأجسام !

وقال العلامة عبد القاهر البغدادي في كتابه (الأسماء والصفات) وهو مطبوع أن الأشعري وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفراً أو أدت إلى كفر كمن زعم أن لمعبوده صورة أو أن له حداً أو نهاية ، أو أنه يجوز عليه الحركة والسكون . . ولا إشكال لذي لب في تكفير الكرامية مجسمة خراسان في قولهم : إنه تعالى له حدّ ونهاية من تحته ، وأنه مماس لعرشه وأنه محل الحوادث وأنه يحدث فيه قوله وإرادته (عن السيف الصقيل تعليقا ص ٢٩) .

أما ابن تيمية فإنه يجعل الله تعالى محلاً للحوادث مما ذكرنا بعض أمثلتها ، فقد قال في فتاويه : وهكذا يقال لهم في أنواع الفعل القائم به كالإتيان والمجيء والنزول وجنس الحركة إما أن يقبل ذلك وإما أن لا يقبله ، فإن لم يقبله كانت الأجسام التي تقبل الحركة ولم تتحرك أكمل منه ، وإن قيل ذلك

ولم يفعله كان ما يتحرك أكمل منه فإن الحركة كمال للمتحرك (٢٢٣/٦)
وانظر تعارض العقل والنقل ٧/٢ .

وقال في موضع آخر من فتاويه : وأما إتيانه ونزوله ومجيئه بحركة منه
وانتقاله فهذا فيه قولان لأهل السنة من أصحابنا وغيرهم ص ١١ .
قال الشيخ محمد بن أحمد وأية سنة هذه التي تصف الله تعالى بما يلزم
المخلوقين والحدوث ما هذه إلا بدعة ضلال . . قلت : ومن عادة ابن تيمية أن
ينسب إلى السلف « ولا يصفه بالصالح » أقوالاً ولا يذكر اسم واحد من
أولئك ، كما ينسب « وهو أعظم » إلى الصحابة والتابعين أقوالاً ولا يذكر
أسماء ، وهذا عجب قد يحمل على سوء الظن فيه !

ابن تيمية ينسب القول بحلول الحدوث بذات الله تعالى معتمداً على
ما يحكى عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، قال ابن تيمية قال أحمد بن
حنبل : إن الله يتكلم إذا شاء . . من هذه الجملة نسب ابن تيمية إليه القول
بحلول الحوادث بذات الله تعالى من الحركة والقيام والقعود مع أن الحنابلة
المتقدمين قالوا معنى كلام الإمام أحمد على ما نقله ابن تيمية عن القاضي أبي
يعلى أن معنى قول الإمام أحمد لم يزل متكلماً إذا شاء معناه [إذا شاء أن
يسمعه] ، وطريقة القاضي هذه طريقة أصحابه وأصحابهم وغيرهم كابن عقيل
وابن الزاغوني .

كلام ابن تيمية وهو يعزو إلى القاضي أبي يعلى من أئمة الحنابلة ، وغيرهم
أن حنبلاً روى في كتاب (المحنة) أن الإمام أحمد لما احتجوا عليه يوم المحنة
بقوله ﷺ (تجيء البقرة وآل عمران) قالوا المجيء لا يكون إلا لمخلوق
فعارضهم أحمد بقوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ أو يأتي ربك وقال المراد تجيء البقرة
وآل عمران ثوابهما كما في قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] أي أمره
وقدرته . . وهذا تصريح في نفي اتصافه بالحوادث ، وأن ابن تيمية تأكيداً لرأيه

ينسب إلى الإمام أحمد أن الله لم يزل إن شاء تكلم وإن شاء سكت وليس له على فهمه دليل لا من كلام أحمد ، ولا أحد من السلف الصالح .

قال الدكتور أحمد عطية الغامدي : هذا الذي اختاره ابن تيمية وذكر أنه مذهب السلف وأنه الحق الذي يؤيده الدليل الشرعي والعقلي هو بعينه مذهب الكرامية (عن كتابه البيهقي وموقفه من الإلهيات ص ١٨٣) أقول : وزاد ابن تيمية فزعم حلول الحوادث بالله تعالى في الماضي وفي المستقبل ، وقال الشيخ شعيب في تعليقه على شرح الطحاوية (ابن أبي العز - طبعة عيون) : جمهور المتكلمين من أشاعرة وماتريدية ومعتزلة وفلاسفة اتفقوا على منع قيام الحوادث بذاته سبحانه وجوز قيامها الكرامية ، ثم قال : وقد انتهى به « ابن تيمية » القول إلى أن كلام الله قديم الجنس حادث الأفراد ، وكذلك فعله وإرادته ونحو ذلك من الصفات غير اللازمة للذات ، وبما أن القول بذلك يستلزم التسلسل فقد جوزه في الماضي والمستقبل جميعاً وادعى أن مثل هذا التسلسل ليس ممتنعاً ، وغير واحد من العلماء يعدون هذا المذهب الذي ذهب إليه شيخ الإسلام من جملة ما ندّ به عن الصواب وينكرونه ويقولون كيف يقول بقدم جنس الصفات والأفعال مع حدوث آحادهما ، وهل الجنس شيء غير الأفراد مجتمعة وهل يتركب الكلّي إلّا من جزئياته ، فإذا كان كل جزيء من جزئياته حادثاً فكيف يكون الكلّي قديماً (وانظر السيف الصقيل للسبكي بتعليق الكوثري والفتاوى الحديثة لابن حجر ص ٢٦٩ فقد أفاد وأجاد) .

١٩- الله تعالى خالق كل شيء من العدم :

قال ابن حزم اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء وأن النفس مخلوقة ، والعرش مخلوق والعالم كله مخلوق وأن النبوة حق وأنه كان

أنبياء كثير منهم من سمي الله تعالى في القرآن ومنهم من لم يسم لنا وأن
محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي المبعوث بمكة المهاجر إلى المدينة
رسول الله ﷺ إلى جميع الجن والإنس إلى يوم القيامة . . الخ (الإجماع لابن
حزم ص ١٦٧) .

وهذا كلام لا شك في إجماع المسلمين على اختلاف فرقهم عليه ، لكن ابن
تيمية حين زعم حلول الحوادث بالله تعالى نسب القدم النوعي إلى الحوادث
فجعلها قديمة النوع حادثة الفعل ، فضاهى الفلاسفة القائلين بقدم العالم في
بعض الحالات لا في جميعها ، قال في فتاويه من كلام : قالت هذه الطوائف . .
ما لم يسبق الحوادث فهو حادث ثم من هؤلاء من ظن أن هذه قضية ضرورية ولم
يتفطن لإجمالها ، ومنهم من تفطن للفرق بين ما لم يسبق الحوادث المحصورة
المحدودة ، وما سبق جنس الحوادث المتعاقبة شيئاً بعد شيء . أما الأول فهو
حادث بالضرورة « بالبداية » لأن تلك الحوادث لها مبدأ معين ، فما لم يسبقها
يكون معها أو بعدها وكلاهما حادث ، وأما جنس الحوادث شيئاً بعد شيء فهذا
شيء تنازع الناس فيه ، فقيل : إن ذلك يمنع في الماضي والمستقبل كقول الجهم
وأبي الهذيل (قلت : بل هو قول أهل السنة) وقيل : بل هو جائز في المستقبل
دون الماضي (وهو قول محمد بن كرام) لأن الماضي دخل في الوجود دون
المستقبل ، وقيل بل هو جائز في الماضي والمستقبل وهذا قول أئمة أهل الملل
وأئمة السنة كعبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما ممن يقول بأن الله لم
يزل متكلماً إذا شاء ، وهو أيضاً قول الفلاسفة (٢٠ / ٨) وما بعد .

ثم قال في الجزء نفسه ص ١٩١ فإن قلت : إن كل فرد من أفرادها محدث لم
ينفعكم ، وإن قلت بل النوع محدث لا متنازع حوادث لا تتناهى ، قيل لكم هذا
مما ينازعكم فيه جمهور أهل الحديث مع جمهور الفلاسفة وينازعكم فيه أئمة

أهل الملل وأئمة النحل ، وينازعكم فيه الأئمة من أهل التوراة والإنجيل والقرآن والأئمة من الصابئة والفلاسفة والمجوس وغيرهم ، وإنما ابتدع هذا القول في الإسلام طائفة من أهل الكلام الذين ذمهم أئمة الدين وأعلام المسلمين ، وهذا القول ليس معلوماً بالكتاب والسنة والإجماع ولا قاله أحد من السلف والأئمة ، وإنما هو قول مبتدع ومبتدعه يزعم أن العقل دل عليه ، ويثبت به حدوث العالم والعلم بإثبات الصانع ، وهؤلاء يقولون أن العقل يدل على نقيضه وأنه مناف مصاد لحدوث العالم ولإثبات الصانع .

وهكذا يصيح ابن تيمية ويغالط ويكابر ويستغيث بأئمة المجوس واليهود والصابئة ليثبت أن العالم قديم ، وأن من ادعى غير ذلك فهو مبتدع (فتاوى ابن تيمية في الميزان ص ٣٦٥) .

أقول : لقد اتفق المسلمون وأجمعوا على أن الله تعالى خلق كل شيء من العدم كما نقلنا عن ابن حزم ، ومتكأ من زعم بقدم شيء غير الله تعالى حديث البخاري في كتاب التوحيد (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض . .) قال العلامة العيني في شرح البخاري قال العلامة الطيبي : لفظ (كان) في الموضعين بحسب حال مدخولهما ، فالمراد بالأول التنزيه والقدم (كان الله) وبالثاني الحدوث بعد العدم (وكان عرشه على الماء ٢٥ / ١١٢) .

وقال ابن حجر في حديث الباب (كان الله ولم يكن شيء قبله) تقدم في بدء الخلق (ولم يكن شيء غيره) وفي رواية أبي معاوية (كان الله قبل كل شيء) وهو بمعنى كان الله ولا شيء معه وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية ، ووقفت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في الباب على

غيرها مع أن قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق لا العكس ، والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق .

لقد رجح ابن تيمية رواية (ولا شيء قبله) ليثبت مدعاه أنه كان مع الله تعالى شيء وهو يوافق المجسم الهروي الذي يلقيه الذهبي (بشيخ الإسلام) والرويانى وأمثالهما لا علماء السلف الصالح ، فضلاً عن أن يكون له دليل من كتاب أو سنة أو قول صحابي . وانظر بحث الكلام على حديث (كان الله ولم يكن شيء غيره) وتفضيله هذه الرواية بالرواة وهو بحث جيد للشيخ الدكتور صلاح الدين الإدلبي حفظه مولاه .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى : الأصل الرابع يشتمل على إيضاح استحالة حوادث لا أول لها والاعتبار بهذا الركن حتم ، فإن إثبات الغرض منه يزعزع حملة المذاهب الملحدة فأصل معظمهم أن العالم لم يزل على ما هو عليه ، ولم تزل دورة الفلك قبل دورة إلى غير أول ، ثم لم تزل الحوادث في عالم الكون المتعاقب والفساد تتعاقب كذلك إلى غير مفتتح فكل ذلك مسبوق بما قبله ، وكل ولد مسبوق بوالد وكل نوع مسبوق ببذر وكل بيضة مسبوقة بدجاجة . . فنقول : موجب أصلكم يقتضي بدخول حوادث لا نهاية لأعدادها ولا غاية لآحادها على التعاقب في الوجود ، وذلك معلوم بطلانه في بدائه العقول فإننا نفرض الدورة التي نحن فيها ونقول من أصل الملحدة أنه انقضى قبل الدورة التي نحن فيها دورات لا نهاية لها ، وما انتفت فيه النهاية يستحيل أن ينصرم بالواحد على أثر الواحد ، فإذا انصرمت الدورة التي قبل هذه الدورات إذن انتهاؤها وانقضاؤها بتناهيها ، وهذا القول كاف في غرضنا فإن قيل أن مقام أهل الجنان سرمد فإذا لم يبعد إثبات حوادث لا آخر لها لم يبعد إثبات آحاد لا أول لها ، المستحيل أن يدخل في الوجود ما لا يتناهى آحادا على التوالي وليس في

توقع الوجود في الاستقبال والمآل قضاء بوجوب مالا يتناهى ، ويستحيل أن يدخل في الوجود من مقدورات الباري تعالى مالا يحصره عدد ولا يحصيه أمد ، والذي يحقق ذلك أن حقيقة الحادث ما له أول ، وإثبات الحوادث مع نفي الأولية تناقض ، وليس من حقيقة الحادث أن يكون لا آخر له ، وضرب المحصلون مثلين في الوجهين فقالوا إثبات حوادث لا أول لها قول القائل لمن يخاطبه لا أعطيك درهماً إلاّ وأعطيك قبله درهماً ، ولا أعطيك ديناراً إلاّ أعطيك قبله درهماً ، فلا يتصور أن يعطي على حكم شرطه ديناراً ولا درهماً ، ومثال ما ألزموا أن يقول القائل لا أعطيك ديناراً إلاّ وأعطيك بعده درهماً ولا أعطيك درهماً إلاّ وأعطيك بعده ديناراً ، فيتصور منه أن يجري على حكم الشرط ، فإذا ثبت بما ذكرناه الأعراض وحدوثهما واستحالة تحري الجواهر عنها واستنادها إلى أول فيخرج من مضمون هذه الأصول أن الجواهر لا تسبقها ، وما لا يسبق الحوادث حادث على الاضطرار من غير حاجة إلى نظر واعتبار (ص ٤٧-٤٨) .

وجاء في (الدليل القويم) لو وجدت حوادث لا أول لها للزم أن يوجد متغيران وليس أحدهما أكثر من الآخر ولا مساوياً له ، فإننا لو نظرنا عدد الحوادث منذ الطوفان مثلاً إلى الأزل مع عددها من الآن إلى الأزل لكان عددين متباينين قطعاً ، ويستحيل بينهما المساواة لتحقيق الزيادة في أحدهما أكثر من الآخر لعدم تناهي كل أفراد منها ، فلا يفرغ أحدهما قبل الآخر وحقيقة الأقل ما يصير عند العدّ فانياً أحد العددين بالعدّ قبل الآخر ، ونحن لو فرضنا شخصين يعد أحدهما الحوادث من الطوفان إلى الأزل والآخر يعدّها إلى الآن لاستحال على مذهب أرسطو وابن سينا أن يفني وذلك بطريق التطبيق وهو جعل الشيء في شيء فيمتنع أن يكون أحدهما أكثر من الآخر .

فقد اتضح لك أنه يلزم على وجود حوادث لا أول لها أن يوجد عدداً ليس بينهما مساواة ولا مفاضلة ، وهناك دليل آخر وهو أن نقول لو وجدت حوادث لا أول لها للزم إما أسبقية الأزلي على الأزلي أو صيرورة ما يتناهى لا يتناهى بزيادة واحد ، لكن صيرورة ما يتناهى لا يتناهى باطل فبطل وجود لا حوادث لها (١٦-١٧) .

ولنقرأ ما كتبه ابن تيمية في (٣٨٦ / ١٦) التسلسل الممتنع هو وجود المتسلسلات في آن واحد بخلاف ما إذا قيل كان قبل هذا الكلام كلام ، وقبل هذا الفعل فعل جاز عند أكثر العقلاء وأئمة الفلاسفة وغيرهم . .

وقال ما هو أصرح فيما ينقل منه من القول بقدم العالم أنه سبحانه أخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وتلك الأيام مقدرة بحركة أجسام موجودة قبل خلق السموات والأرض ، وقد أخبر سبحانه أنه خلق السموات والأرض في مدة ومن مادة ، ولم يذكر القرآن خلق شيء من لا شيء ، بل ذكر أنه خلق المخلوق بعد أن لم يكن شيئاً ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴾ [مريم : ٩] مع إخباره أنه خلقه من نقطة (٢٣٥ / ١٨) .

وأبادر فأقول : ذكر الشيخ محمد أحمد مسكة فرقاً دقيقاً بين قول ابن تيمية بالقدم النوعي وقول الفلاسفة بالقدم الذاتي فنقل عن ابن تيمية قوله (وإذا قيل هو موجب بالذات فإن أريد بذلك أنه يوجب بمشيئته وقدرته ما شاء فهذا لا ينافي فعله بمشيئته وقدرته ، وإن أريد بذلك ما يقول الدهرية والفلاسفة كابن سينا ونحوه من أن ذاتاً مجردة عن الصفات أوجدت العالم فهذا من أفسد الأقوال) والحمد لله .

ذلك بأن القول بقدم العالم على قول الفلاسفة كفر مخرج عن الملة .

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى :

بثلاثة كفر الفلاسفة - « العدا » في نفيها وهي حقيقة مثبتة - علم بجزئي حدوث عوالم - حشر لأجساد وكانت ميتة .

- قال ابن تيمية في نبذه العلامة حجة الله الغزالي : وأبو حامد يميل إلى الفلسفة لكنه أظهرها في قالب التصوف والعبارات الإسلامية ولهذا ردّ عليه علماء المسلمين (١٦٤ / ٤) .

أقول : لو قال بعض علماء المسلمين لكان صحيحاً .

يقال أن الغزالي قد قرأها وعرف أسرارها ودخائلها وعيوبها وكفرياتها ، لذا ردّ عليها بكتابه (تهافت الفلاسفة) ولكن هل فعل هذا ابن تيمية ؟ وهو الذي حشى كتابه (منهاج السنة) بالنقل عن أرسطو وغيره . . ؟ وقال فيه تلميذه الذهبي : إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي رسول الله ﷺ (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم أفضوا إلى ما قدموا . .) ثم قال : وقد صرنا ضحكة في الوجود إلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لترد عليها بعقولنا يا رجل ، لقد بلعت سموم الفلاسفة وتصنيفاتهم مرات ، وكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن . . ويقول : (كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما) . . وتعد النصارى مثلنا ، والله في القلوب شكوك إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد . . الخ انظر كلمته كاملة في (السيف الصقيل تعليقا ص ١٩٧) .

وقريب من اتهام ابن تيمية ما نسب الذهبي إلى إمام الحرمين من الكفر حين زعم أن إمام الحرمين الجويني ينفي عن الله تعالى العلم بالجزئيات . أنه يقول : قال المازري في شرح البرهان في قول إمام الحرمين : (إن الله يعلم الكلّيات لا الجزئيات) ووددت لو محوتها بدمي ، أوردها الذهبي من رواية السمعاني

يذكر محمد بن طاهر المقدسي قال سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب يقول قال إمام الحرمين : إن الله لا يعلم الجزئيات (١٨ / ٤٦٨ السير) .

قال العلامة السبكي : يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة عليه ، وابن الطاهر المقدسي عنده تحامل على إمام الحرمين ، والقيرواني المشار إليه مجهول ، ثم هذا الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه إلا رجل مجهول ، ولا يعرف من غير طريق ابن الطاهر ؟ ! .

إن هذا لعجيب وأغلب ظني أنها مكذوبة انتقلها من لا يستحيي ، وقال تعقيباً على قول المازري عن الإمام : (إن الله يعلم الكلّيات لا الجزئيات) . قلت : هذه لفظة ملعونة ، وقد نص إمام الحرمين في كتبه الكلامية على كفر من ينكر العلم بالجزئيات .

قال في كتابه (الشامل) في القول في إقامة الدليل على الحياة والعلم بعد أن قرر إجماع الأئمة على بطلان قول من يثبت علمين قديمين قال ما نصه : (فلم يبق إلا ما صار إليه أهل الحق من ثبات علم واحد قديم متعلق بجميع المعلومات) .

وقال في كتابه (البرهان في أصول الفقه) في كتاب النسخ ، فإن الرب تعالى كان عالماً في أزله تفاصيل ما يقع فيما لا يزال (٢ / ٣٠١) وانظر طبقات الشافعية (١٨٧ / ٥) ومسألة المازري شارح البرهان بعد صفحات وقول السبكي فيها والله أعلم ، ويلحق به بالمناسبة خبر آخر نقله الذهبي حول إمام الحرمين ، والذهبي معروف بالتحامل على الأشاعرة والمناصرة للحنابلة بما فيهم بعض المجسمة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الذهبي : أخبرنا يحيى بن أبي منصور في كتابه عن عبد القادر الحافظ أخبرنا أبو العلاء الهمداني أخبرني أبو جعفر الحافظ سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] فقال كان الله ولا عرش

وجعل يتخبط ، فقلت : هل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما معنى هذه الإشارة ! قلت : ما قال عارف قطّ يا رباه إلّا قيل أن يتحرك لسانه قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة « يقصد الفوق » فهل لهذا المصدر الضروري عندك من حيلة ؟ فنبئنا نتخلص من الفوق والتحت ؟ وبكيت وبكى الخلق ، فضرب بكعبه على السرير وصاح بالحيرة ، ومزّق ما كان عليه وصارت قيامة في المسجد .

ونزل يقول : يا حبيبي إنها الحيرة الحيرة والدهشة الدهشة (٤٧٧ / ١٨) .

وقال الإمام السبكي بعد ذكر خبر الذهبي هذا : قلت : وقد تكلف لهذه الحكاية وإسنادها بإجازة على إجازة مع ما في إسنادها ممن لا يخفى تحاطه على الأشعري ، وعدم معرفته بعلم الكلام .

ثم أقول : يا لله ؛ يا للمسلمين ؛ أيقال عن الإمام أنه يتخبط عند سؤاله إياه هذا المحدث وهو أستاذ المناظرين وعلم المتكلمين ؟ أو كان الإمام عاجزاً عن أن يقول له : كذبت يا ملعون فإن العارف لا يحدث نفسه بفوقية المجسمة ، ولا يحدد ذلك إلّا جاهل يعتقد الجهة ، بل نقول لا يقول عارف يا رباه إلّا وقد غابت عنه الجهات ، ولو كانت جهة فوق مطلوبة لما منع المصلي من النظر إليها وشدد عليه في الوعيد فيها ، وأما قوله صاح الحيرة وكان يقول حيرني الهمداني فكذب ممن لا يستحيي وليت شعري أي شيء أورده وأي دليل اقترحه حتى يقول حيرني الهمداني !

وقال يا ليت شعري من أبو جعفر الهمداني في أئمة النظر والكلام ومن هو من ذوي التحقيق من علماء المسلمين . . الخ (طبقات الشافعية ٥ / ١٩٠) .

٢٠- تعالى الله وتنزه عن المكان :

قال الإمام الشافعي في كتابه (الفقه الأكبر) كما في كتاب (الدين

الخالص للسبكي) ص (٢٦) فصل : (واعلموا أن الباري لا مكان له) ، فإن قيل : قال الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] يقال أن هذه الآية من المتشابه يمرّ بها كما جاءت ولا يُبحث عنها ولا يتكلم فيها . . ويجب عليه أن يعتقد في حق الباري ما ذكرناه وأنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان منزّه عن الحدود والنهايات ، ومستغن عن المكان والجهات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] ولهذا زجر مالك السائل حين سأله عن هذه الآية فقال : « الاستواء مذكور وكيفيته مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة » ثم قال : فإن عدت إلى ما سألت أمرت بضرب رقبتك أعاذنا الله وإياكم من التشبيه ، ومثله كلام الإمام الأكبر أبي حنيفة في الفقه الأكبر (عن الدين الخالص للعلامة السبكي) .

وقال العلامة الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] : فيه إشارة إلى أن جميع العالمين مفتقرة إليه سبحانه في حال بقائها ، ولفظ العالمين يشتمل ويتناول كل ما سوى الله من السموات والأرضين والنور والظلمة . . ويتناول كل موجود سوى الله تعالى وأن من جملة ما سوى الله تعالى الزمان والمكان ، فإن المكان عبارة عن الفضاء والحيز والفراغ الممتد والزمان عبارة عن المعنى الذي يحصل بسببه القبلية والبعدية ، فالله تعالى خالق الزمان والمكان فكيف يكون الله تعالى داخل الزمان والمكان وهما من خلقه جل جلاله ؟

ثم قال هذا اللفظ يدل على أن ذاته منزّهة عن الحلول في المحل كما تقول النصراني والحلولية ، لأنه لما كان رب العالمين كان خالقاً لما سواه ، والخالق سابق على المخلوق فكانت ذاته غنية عن كل محل فبعد وجود المحل انتفى احتياجه إلى المحل (انظر تفسير سورة الفاتحة ص ١٧٨) .

أقول : جاء في تقرير موظفي إدارة البحوث والإفتاء والإرشاد في (الرياض) تعليقاً على كتاب (من نسيمات القرآن) والذي انتهى به القول إلى رفض الكتاب المذكور من التداول ، جاء في ذلك التقرير :

أ- فإني قريب ، علماً وإجابة . . ينفي المكان عن الله تعالى .

ب - ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] تعالى عن كل

مكان سبحانه .

ج - سبحانه منزّه عن الجوارح وصفات الأجسام . . الخ . وقال التقرير أخيراً :
ومما تقدم يتضح لسعادتك أن هذا المفسر المذكور من المؤولة في الأسماء والصفات فيؤولها بخلاف ما أثر عن السلف الصالح وحيث أنه سلك هذا المسلك ، ولأن هذا التأويل شامل لأغلب الصفات مما يستوجب عدم تداوله ديناً وهو على وصفه الحالي (رقم الكتاب ٥/٣٢٥ ، ٥/٢١٥٣) تاريخ ١٤٠٨/٣/٢٠ .

أقول : هذا عالم معاصر يكتب لمكتب الشيخ عبد العزيز مندداً بمن ينفي عن الله تعالى المكان ، وهل يثبت المكان لله تعالى وهو خالق الزمان والمكان . . وهل القول بالمكان إلا قولٌ بحلول الله تعالى في بعض خلقه ، عياداً بالله تعالى ، وقد تقدم الكلام على الاستواء والمراد به .

فإن قيل : كيف يتم الإيمان بما لا يحيط به من يدعي الإيمان به علماً بحقيقته ؟

فالجواب كما يصح الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار ، ومعلوم أنه لا نحيط علماً بشيء من ذلك على جهة التفصيل وإنما الإيمان بذلك في الجملة ، ألا ترى أنا لا نعرف عدد الأنبياء وكثيراً من الملائكة ولا نحيط بصفاتهم ثم لا يقدح ذلك بإيماننا بهم (المجد بن تيمية جد ابن تيمية) .

أقول : وقد تقدم ذكر بطلان ما نسب إلى ابن مسعود وعبد الله بن سلام من إقعاد النبي ﷺ مع ربه على العرش ، وبطلان ما نسب من ذلك إلى التابعي مجاهد من قول الشيخ ناصر وغيره والله أعلم ، ويورد الذهبي ما لا يصح حتى عنده من أجل نسبة المكان إلى الله عز وجل ، فقد روى عن وهب بن منبه عن أبي هريرة أن يهودياً قال : يا محمد ما يصنع ربك اليوم ؟ قال : هو على عرشه يدبر الأمر يفصل الآيات . ثم قال هذا منكر ومعناه حق ، لكن عبد المنعم « أحد الرواة » كذبه أحمد وغيره .

وروى الذهبي عن ثابت البناني « التابعي » قال : كان داود عليه السلام يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول : إليك رفعت رأسي يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها ، يا ساكن السماء ، وقال : إسناده صالح ، قلت : أعجب كيف يكون صالحاً وهو كلام تابعي بينه وبين سيدنا داود عليه السلام قرون وقرون ، وحق هذا الكلام المنافي لتنزيه الله تعالى عن المكان أن يهجر ولا يؤخذ به . والله أعلم .

وذكر خبراً عن الحسن ، قال : سمع يونس عليه السلام تسبيح الحصى وتسبيح الحيتان فجعل يسبح ويهلل ويقدس ويقول : سيدي في السماء مسكنك ، وفي الأرض قدرتك وعجائبك ، سيدي ؛ من الجبال أهبطني ، وفي البلاد سترتني ، وفي الظلمات حبستني ، فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغم ﴿ فَكَادَنِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٧] أبو حذيفة كذاب ، انظر لسان الميزان في ترجمة أبي حذيفة (٣٩٢ / ١) قل معي يا ذهبي : ماذا دعاك إلى ذكر هذه الأكذوبة منسوبة إلى الحسن وبينه وبين يونس عليه السلام قرون وقرون .

٢١- نظرة علمية إلى كتاب (السنة) المنسوب إلى عبد الله بن أحمد بن

حنبل رحمهما الله تعالى وفيه تشبيه وتجسيم وكذب :

كان قد طبع هذا الكتاب قديماً سنة ١٣٤٩ هـ ، وقد طبعه متأخراً الدكتور محمد سعيد القحطاني محققاً ونال به درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى ، وأضاف إلى الطبعة السابقة ضغثاً من الأكاذيب المكشوفة على الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

كان العلامة المحقق الثقة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى يقول : لا يصح نسبة الكتاب إلى الإمام عبد الله بن أحمد بن حنبل .

ولقد حقق متأخراً الشيخ محمود سعيد الممدوح أن في سند كتاب (السنة) إلى الإمام عبد الله رجلين مجهولين هما أبو النصر محمد بن الحسن بن سليمان السمسار وشيخه أبو عبيد الله محمد بن إبراهيم بن خالد الهروي ، ولقد أشار الدكتور القحطاني إلى شيء من هذا في الطبعة الأولى له ثم حذفه في الطبعة الثانية .

أقول : حق هذا الكتاب أن لا ينسب إلى العلامة المحدث عبد الله بن أحمد ، ففي الكتاب أكاذيب مكشوفة وضلال وتشبيه وتجسيم ، والعياذ بالله .

وإني أورد هنا نماذج ليحكم القارئ بنفسه كما يشاء ، ولئن كان المحقق قد دلّ على كذب بعض المرويات وكذب بعض الرواة لكنه « فيما أظن » لم يمحص الأمر كما ينبغي ، ولعله يفعل ذلك في المستقبل :

١- جاء فيه ص ١٠٦ حدثني أحمد بن سعيد الدارمي .. ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] وهل يكون الاستواء إلا بالجلوس ، وقد احسن المعلق فقال : ليس هذا مذهب السلف ؛ بل مذهب السلف خلافه ، وقال في حق راوي

الخبر خارجة بن مصعب : « كان يدلس عن الكذابين وكذبه ابن معين » .

٢- جاء في الكتاب في أكثر من ثمانين موضعاً : (من قال القرآن مخلوق فهو كافر) دون أن يشير بشيء إلى المعنى بالجملة ، والمعنى في الحقيقة أن الجعد بن درهم وجهماً كانا يعتقدان حلول الحوادث بالله تعالى ، فالله تعالى لم يكن يتكلم ، ثم تكلم ، فقالا القرآن محدث مخلوق ومن هنا كفر العلماء من ادعى ذلك لما فيه من نسبة النقص إلى الذات العلية والعياذ بالله ، ولقد قال المعلق بمثل هذه المناسبة من كتب المبتدعة التي تقول : لفظي بالقرآن مخلوق ؛ كتاب (أركان الإيمان) لوهبي سليمان غاوجي فيه من الغوايات حول مسألة خلق القرآن الشيء الكثير) هدى الله المؤلف الصراط المستقيم (١ / ٦٦) .

أقول : جاء في كتابي هذا مسائل في علم التوحيد ص ٧٠ وأعيد فقط كلمة الذهبي تلميذ ابن تيمية في ترجمة الكرابيسي : [فإن عنى بقوله : القرآن كلام الله غير مخلوق ولفظي به مخلوق التلفظ ؛ فهذا جيد فإن أفعالنا مخلوقة ، وإن قصد الملفوظ به أنه مخلوق . فهذا الذي أنكره أحمد والسلف وعدّوه تجهماً ص ٢٤٥ الميزان] وانظر (أركان الإيمان) .

وقال الشيخ الدكتور عيسى بن عبد الله الحميري وابتلى الإمام البخاري بمن يقول أصوات العباد غير مخلوقة ، وبالع بضعهم فقال المدا والورق بعد الكتابة فكان أكثر كلامه الردّ عليهم وكان يقول : (لفظي بالقرآن مخلوق) ثم وضع العلماء مراد البخاري فقالوا هناك شيان التلفظ وهو فعل الإنسان ، والقرآن وهو الذي ورد عليه فعله ، فالحكم بالخلق على التلفظ دون القرآن فالتلفظ الذي هو من فعل المخلوق مخلوق ، وهذا التلفظ قد تعلق بالمتلفظ به وهو القرآن الذي هو غير مخلوق ، ومن لا يميز بين فعل العبد وصفة الرب يقع في الخطب هذا ، وقد أوماً البخاري إلى هذا حيث قال أن الرب بصفاته وأمره

وفعله وكلامه هو الخالق المكون ، فكلام الله من حيث كونه صفة له تعالى في جانب الخالق ، أما تلفظنا به فذاك ليس من صفته تعالى بل من صفاتنا (خلق أفعال العباد ص ٧- عن المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية ص ٢٧٥) .

أقول : أما الإمام الأعظم أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقد ارتاح وأراح حين بلغه خروج جهم بدعوى خلق القرآن ؛ فقال : (ما بالخالق غير مخلوق وما بالمخلوق مخلوق) .

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى في رسالته في (العقيدة) وهي جيدة كافية على وجازتها : والعجب ممن يقول أن القرآن مركب من حرف وصوت ثم يزعم أنه في المصحف وليس في المصحف إلا حرف مجرد لا صوت معه .

٣- جاء في ص ١١٢ من قول وكيع بن الجراح : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه .

أقول : إن ابن تيمية أجاز أن يقال القرآن محدث فقد جاء في فتاويه (المتكلم من الناس إذا تكلم فوجود الكلام مسبق بفعل آخر فلا بد من حركة تستعقب وجود الحروف التي هي الكلام فتلك الحركة هي التي تجعل الكلام عربياً أو أعجمياً ، وهو فعل يقوم به الفاعل ، وذلك الفعل الحادث حدث بمؤثر تام قبله أيضاً وذات الرب وهي المقتضية لهذا التأثير وهذا التأثير ، ثم هذا التأثير (وكل تأثير) هو مسبب عما قبله وشرط لما بعده وليس في ذلك شيء مخلوق وإن كانت حادثة ، وإن قال قائل أنا أسمي هذا (خلقاً) كان نزاعه لفظياً وقيل له : إن الذين قالوا : القرآن مخلوق لم يكن مرادهم هذا ولا رد السلف ولا الأئمة هذا وإنما ردوا قول من جعله مخلوقاً بائناً عن الله تعالى .. الخ (٣٨٨/١٦) .

أقول : هذا يبنى على دعوى حلول الحوادث بالله تعالى وهي باطلة مردودة .

٤- ص ١٠٦ (حدثنا سريج بن النعمان أخبرنا عبد الله نافع قال مالك رحمه الله تعالى) : الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان . قال المعلق : رجاله ثقات ، أقول : لقد غفل المعلق عن عبد الله بن نافع أنهم ضعفوه ، قال ابن المديني يروي المناكير وقال البخاري يخالف حديثه وقال عن قول العلماء : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك (الكاشف للذهبي ١/ ١٠٣) .

٥- جاء في ص ١٠٣ (حدثني أبي رحمه الله تعالى قال حدثنا عبد الرحمن بن سفيان عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضي الله عنه) : إذا جلس الرب تبارك وتعالى على الكرسي سُمِعَ له أطيظ كأطيظ الرجل الجديد . (قال المعلق ضعيف ، أقول : وقال الذهبي (لفظ الأطيظ لم يأت فيه نص ثابت) وقال الألباني في صحيحه في تخريج الحديث رقم ٩٠٦ ولا يصح في حديث الأطيظ حديث مرفوع (انظر العلو للعلي الغفار تعليق الشيخ حسن السقاف ص ١٩٦) .

أقول : لا يعقل أن يروي عبد الله عن أحمد هذا الحديث وفيه انقطاع وليس مرفوعاً . وخليفة قال في التقريب : مجهول ، ثم هو حديث من شؤون العقيدة ولا يقبل في العقيدة إلا الصحيح الصحيح .

٦- جاء في ص ٤٧٠ : حدثني أبي حدثنا أبو المغيرة إلى عكرمة قال : إن الله عز وجل إذا أراد أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلى الأرض فعند ذلك تنزل وإذا أراد أن تدمدم تجلى لها . قال المعلق في سنده يحيى بن أبي كثرة ثقة لكنه يدلس ويرسل .

أقول : هذا الخبر المروي عن تابعي فيه تجسيم وتبعيض لله تعالى وتصوير بصورة بشعة ، فهل يروي عبد الله عن أبيه أحمد مثل هذا الخبر الناطق على نفسه بالفساد ، وهو من شؤون العقيدة التي هي تنزيه الله تعالى عن مشابهة الله لخلقه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] ثم إن عكرمة تحايدة الإمام مالك كما في (الكاشف للذهبي) .

٧- جاء في ص ٤٧١ : حدثني سريج بن يونس حدثنا أبو عبد الصمد « يعني العمي » حدثنا أبو عمران الجوني عن كعب قال : أن الله عز وجل ينزل ما بين صلاة العصر إلى المغرب ينظر في أعمال بني آدم . (قال المعلق سنده على عكرمة ولم أجد من خرّجه) .

أقول : هل ينقل عبد الله بن أحمد الذي قال فيه المعلق على كتابه ص ٣٩ ما قال هذا الخبر وهو قول كعب الأحبار الإسرائيلي ، وهو ما يشم منه التجسيم ، واشتغاله سبحانه بشيء عن شيء .

٨- ص ٤٥٤ : حدثني أبي حدثنا رجل نا إسرائيل عن السدي عن أبي مالك في قول الله عز وجل ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] قال : إن الصخرة التي تحت الأرض السابعة ومنتهى الخلق على أرجائها أربعة من الملائكة لكل منهم أربعة وجوه وجه رجل ووجه أسد ووجه نسر ووجه ثور فهم قيام عليها قد أحاطوا بالأرض والسماوات رؤوسهم تحت الكرسي عند العرش ، قال وهو واضع رجله على الكرسي . (قال المعلق في سنده : مجهول « رجل » والسدي معروف بالوهم) .

أقول : هل ينقل عبد الله عن أبيه خبراً مقطوعاً في أمر العقيدة وفيه من الكلام ما يضحك الثكلى ؟ قال ابن حجر في السدي : صدوق بهم ورمي بالتشيع .

٩- جاء في ص ٥١٠ : حدثني أبي حدثنا أبو أسامة إلى عبد الله بن عمر : خلقت الملائكة من نور الذراعين والصدر ، وتكرر هذا الخبر وقد أجاد المعلق فقال : هذا الأثر منكر ، لأن النصوص الصريحة بخلافه .

أقول : هل يعقل أن ينقل عبد الله بن أبيه أحمد هذا الخبر المنكر ويجعله في كتاب من كتب العقيدة ؟ اللهم لا ، وإني من خلال ما نقلت ، ومن خلال ما قرأت أقول : هذا الكتاب ليس من جمع عبد الله بن أحمد رحمهما الله تعالى ، وقد يكون بعضه له أضاف من أراد الإفساد في الدين على الكتاب ما أضاف والله أعلم .

١٠- جاء في ص ١٩٤ : حدثني أبي حدثني مؤمل بن إسماعيل سئل أبو حنيفة عن رجل قال : أنا أعلم أن الكعبة حق وأنها بيت الله عز وجل ، ولكن لا أدري أهى بيكة أم بخراسان . وفيه قال : مؤمن .

أقول : مؤمل بن إسماعيل شديد في السنة وهو منكر الحديث وعباد بن كثير قال فيه النسائي : غير ثقة وقال أحمد : روى أحاديث كذب .

أقول : هل يوجد مسلم يجهل مكان الكعبة وأنها في مكة وهي مذكورة في كتاب الله تعالى ، والحج فريضة على كل مسلم مستطيع وقد تواتر أمر الحج على مدى القرون وأنه يكون إلى مكة المكرمة ، اللهم إنها سخافة تنسب إلى الإمام الأعظم وإني لا أشك في أن عبد الله لا يروي عن أبيه أحمد مثل هذا وقوله في الإمام الأعظم مشهور ، هذا الخبر (لقد حج الإمام أبو حنيفة) ٥٥ حجة في حياته . أيسأل هذا السؤال السخيف ثم يجيب بذلك الجواب السخيف ؛ عياداً بالله من الافتراء على الأئمة .

١١- جاء في ص ٢٠٦ : حدثني إبراهيم حدثنا أبو صالح محبوب بن

موسى الفراء عن يوسف بن أسباط قال قال أبو حنيفة : (لو أدركني رسول الله ﷺ لأخذ بكثير من قولي) قال المعلق إسناده ضعيف .

أقول : أليس هذا القول رديئاً لو قاله عامي من الناس في حق أحد العلماء ، أيعقل أن يقول هذا الإمام الأعظم ، هل يصدر عن عالم فضلاً عن الإمام الأعظم سخافة أرذل : لو أدركني النبي ﷺ لأخذ ببعض قولي . وهل شرف الإمام أبي حنيفة وكل مسلم سوى أن يأخذ بحديث رسول الله ﷺ ويقول فيه : سمعنا وأطعنا .

ثم أقول أصل هذه الكلمة في حق (عثمان البتي) ففيه قال الإمام تلك الكلمة إذ كان يخالفه في بعض المسائل ، أعني جملة « لو أدرك البتي » ولقد سقط الخطيب لكن دون سقطة كتاب (السنّة) فقال : « لو أدركني النبي » ولم يقل رسول الله فيمكن أن يقال قرأ خطأ فكتب كذلك ، أما أن يقال : لو أدركني رسول الله ﷺ فهي فرية بلا مرية ، وما أدري لماذا سكت المعلق ، والخبر في (تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب ص ١٤٩) ويوسف بن أسباط من مغفلي الزهاد دفن كتبه واختلط واستقر الأمر على أنه لا يحتاج به .

لقد شين كتاب (السنّة) بما ذكرته وقديماً وضع علي حماد بن زيد ريباه أحاديث في العقائد زعماً أنه يرويها وليس كذلك .

جاء في ص ١٨٤ : حدثني عبد الله بن عون الخراز أبو محمد وكان ثقة حدثنا شيخ من أهل الكوفة قال حماد : اذهب إلى هذا الكافر يعني « أبا حنيفة » وقل له إن كنت تقول أن القرآن مخلوق فلا تقرنا ، حدثني إسحاق بن أبي يعقوب بسنده إلى سفيان الثوري قال سمعت حماداً يقول : ألا تعجب من أبي حنيفة يقول القرآن مخلوق قل له : يا كافر يا زنديق . قال المعلق في الخبر الأول : في إسناده مجهول « شيخ من أهل الكوفة » وقال في الخبر الثاني : في إسناده من لم أعرف له ترجمة .

أقول : كان الإمام أبو حنيفة تلميذ الإمام حماد لثمانى عشرة سنة ، كان يقف كل صباح عند باب بيت شيخه يخدمه ، ويجلب إليه ما يحتاج لبيته ، فلمن قال حماد هذا الكلام الذي يتهم فيه تلميذه الأول بالكفر والزندقة ؟ لماذا لا يقول هذا الكلام لأبى حنيفة نفسه وهو عنده كل يوم ؟ أخاف الشيخ تلميذه البار الذي يدعو له عقب كل صلاة وكان لا يمد رجله نحو بيت شيخه وبين داريهما دور ! .

لقد توفي حماد رضي الله تعالى عنه سنة مائة وست وعشرين ، قال أبو عمر بن عبد البر : أبو حنيفة أبرّ الناس بحماد ، قال سعيد بن رحمة صاحب أبي إسحاق الفزاري إنما خرج جهم سنة ست وثلاثين ومائة فقال القرآن مخلوق فلما بلغ العلماء تعاضموه وأجمعوا على أنه يتكلم بكفر ، وحمل ذلك الناس عنهم .

فكيف يقول حماد ذلك القول الشنيع في تلميذه ولا يجابهه به ، ثم كيف يقول له قولاً إنما خرج به جهم بعد وفاته رحمه الله تعالى ، نعوذ بالله من الخذلان (انظر ابن أبي حاتم في الرد على الجهمية وتأنيب الخطيب ص ١٠٧-١٢١) .

أقول : أعتقد أن الإمام عبد الله بن أحمد وكان في العراق يعلم حق العلم ما جاء في القول بخلق القرآن وأول من قاله ، ولم يكن الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ممن قال بذلك قطّ بل نفاه عن كتابه سبحانه وقال في جهم ومقاتل المفسر أنهما فاسقان أفرط هذا في التشبيه وهذا في النفي ، وأعتقد أن الإمام عبد الله لا يستحل الرواية عن كذاب ثم يسكت ولا يعلق وإلا يكون أحد الكذابين معاذ الله .

أما بعد فلعل أحد المشتغلين بحديث رسول الله ﷺ يغربل روايات

(السنة) وروايات السجزي وابن بطة وابن خزيمة (في سننهم) كما فعل الشيخ حسن السقاف في كتاب (العلو للعلي الغفار للذهبي) فقد أبان ما في الكتاب وأثار السبيل للاستفادة من الكتاب فيما هو صحيح والله أعلم .

قال ابن تيمية في كتاب (الإيمان) لم يكفر الإمام أحمد الخوارج ولا المرجئة ولا القدرية ، وإنما المنقول عنه وعن أمثاله تكفير الجهمية ، مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال أنا جهمي كفره ، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة ولم يكفرهم أحمد وأمثاله ، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم ويدعو لهم ويرى لهم الائتمام بالصلاة خلفهم والحج والغزو معهم والمنع من الخروج عليهم . اهـ كلام ابن تيمية .

٢٢- مع الشيخ عبد العزيز بن باز في رسالته (العقيدة الصحيحة) طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد (المملكة العربية السعودية) :

أ- معتقد ابن باز معتقد أهل السنة من إمرار أخبار الصفات كما جاءت وبعد أن ذكر مالكا والأوزاعي والثوري وأنهم قالوا جميعاً : (إمرارها كما جاءت بلا كيف) وهذا كلام جميل وقد خالف فيه ابن تيمية اتباعاً للحق ، لكنه أضاف ص ١٠ قال الأوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله سبحانه على عرشه ونؤمن بما ورد في السنة من الصفات . ونقل كلام ربيعة ومالك في ترك الخوض ، ثم نراه يقول : إن الله على عرشه هو قول التابعين ، بينما جاء في كتاب الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] فأيهما أولى بالاتباع كتاب الله تعالى أم قول منسوب إلى مجهولين ، هو في قوله إمرار ما جاء في الصفات مما يخالف قول ابن تيمية شيء حسن منه ولكن إلى أي حد ؟

وأزيد أن خبر الأوزاعي رواه محمد بن كثير المصيصي قال فيه ابن حجر :
 صدوق كثير الغلط (٥٠٤) وضعفه أحمد وقال البخاري : لئن جداً وقال أبو
 داود لم يكن يفهم الحديث ، وقال ابن عدي : له أحاديث لا يتابعه عليها أحد
 (الميزان ٦٨ / ٤) وتهذيب التهذيب (٣ / ٣١٥) .

- ونراه في ص ٢٧ اعترض على الأشاعرة ويدخل في ذلك من نفي بعض
 الصفات وأثبت بعضها . الحق أن الأشاعرة والماتريدية لم ينفوا ما ثبت بالدليل
 القطعي من صفات الله تعالى ، لكنهم من جهة تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه
 قالوا في بعضها المراد بها كذا ، كما قال شيخه ابن تيمية في القرب والمعية وأن
 المراد قرب الملائكة والعلم فهل يقال أن ابن تيمية نفى قول الله تعالى ﴿ وَنَحْنُ
 أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٥] ؟ اللهم لا ، وقد تقدم لنا أن ابن
 تيمية اضطر إلى نفي المجاز في اللغة ليضيف إلى الله سبحانه جميع ما أضاف
 أخذ به على حقيقته ، إلا فيما يتعلق بمعية الله تعالى مع خلقه وقربه منهم ، فإنه
 أوله وأثبت كونه سبحانه فوق العرش ، وكونه سبحانه في السموات وفي الأرض
 وغير ذلك وقد تقدم .

- قال في ص ٤٤ وهو يصف الله بالفوقية فيذكر مقالة ابن تيمية : أن موسى
 عليه السلام كان قد عرف فرعون أن الله في السماء ﴿ يَلْهَمُنْ أَتْنِي لِيَصْرَحًا لِّعَلِّيَّ
 أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴾ [٢٣] أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ ﴿ غافر : ٣٦-٣٧ ﴾ أي دليل ذكره ابن تيمية أن
 موسى عليه السلام هو الذي قال لفرعون : إن الله تعالى فوق ، حتى حاول
 فرعون ما حاول ، وهل تثبت الشريعة وخاصة أمور العقيدة بالرأي والدعوى ؟
 اللهم لا . بل إن الله تعالى ذكر أن فرعون قال لموسى عليه السلام ﴿ وَمَا رَبُّ
 الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٢٣] لم يتعرض موسى عليه السلام لجهة بل ذكر أخص
 الصفات التي هي القدرة على الاختراع ولو كانت الجهة ثابتة لكان التعريف بها

أولى لأن الإشارة الحسية من أقوى أنواع المعرفة . ويذكر من الأدلة على ذلك العروج والرسول ﷺ أنه عرج إلى ربه ، وقد ذكرت هذا سابقاً وقلت : قال الله تعالى ﴿ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٣] والله أصدق القائلين .

وقال في ص ٤٤ ما يريد أن يثبت به الجهة المكانية لله تعالى . وقد ورد في الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مثل قصة المعراج لرسول الله ﷺ إلى ربه وحديث الرقية الذي رواه أبو داود (ربنا الذي في السماء تقدس اسمك . . . الخ) تقدم أن العروج كان للحكمة التي ذكرها الله تعالى وهي ﴿ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾ [طه : ٢٣] وقال أهل السيرة حين اضطهد مشركو مكة رسول الله ﷺ حتى ضاق بهم رسول الله ﷺ ولجأ إلى الطائف فوجد هناك شراً مما وجده في بلده مكة ، أراد الله تعالى أن يشرف قدره ويعزه على رؤوس الأشهاد فأمر بالإسراء والمعراج له ﷺ جبراً لخاطره فلئن تنكر له أهل الأرض فإن ملائكة السماء تسعده وتفخر وتشرف أن تصلي الرسل خلفه صلوات الله عليهم أجمعين .

وحديث أبي داود وفيه (من اشتكى منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا) الحديث ، قال الذهبي أخرجه أبو داود وزيادة الحديث ، وأورده الشيخ ناصر في ضعيف أبي داود وابن حبان في المجروحين والكمال في الضعفاء (٢٥٧ / ٣) وقال البخاري في زيادة « منكر الحديث » الكاشف (٤١٤ / ١) وقال العلامة المحقق الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى : على أن المعنى تقدس اسمه في السماء لأن سكرة السماء كلهم منزهون بخلاف سكرة الأرض فإن بينهم الثوابت الحشوية والكرامية والبرهارية ونحوهم من غير المقدسين الذين يسرون وراء المؤمنين (من التعليق على الأسماء والصفات ٤٢٣) .

وما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والله فوق الكرسي ويعلم ما أنتم عليه (وفي لفظ) والله فوق ذلك ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم (العلو ص ١٧٩) ولم يعلق الذهبي بشيء فلم يقل أنه قول صحابي وليس مرفوعاً ولم يذكر أن ابن عبد البر قال في التمهيد ١٣٩/٧ : في أسانيده اضطراب كبير يعلم ذلك من ينظر في أسانيده (وخبر البيهقي الذي دونه الذهبي هنا فيه هارون بن سليمان وهو مجهول وحماة بن سلمة لا يقبل قوله في العقائد (انظر العلو بتعليق حسن السقاف ص ١٩٧) والله أعلم .

وقال في ص ٢٥ (لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة .

أقول : فضيلة الشيخ هنا يردد مقولة انفرد بها عالم على علماء عصره ومن سلفه وهي أن التوحيد ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

وقد رد العلامة الشيخ محمد العربي التباني المكي كلام ابن تيمية من اثنين وثلاثين وجهاً منها : لم يقل أحمد بن حنبل الذي ينتسب إليه أن التوحيد قسمان : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، ثم لم ينقل ذلك عن أتباع التابعين لأصحابه ، ولم ينقل ذلك عن صحابي من صحابة النبي ﷺ ، ولم يأت ذلك في حديث شريف فضلاً عن آية كريمة بأن يأمر عباده مثلاً بتوحيد الألوهية ، وإذا كان رسول الله ﷺ لم يقل ذلك ولم يأت في آية ، ولا في قول أحد من السلف فماذا يقول رجل القرن السابع ؟ يجب أن لا يلتفت إليه .

لقد كان المشركون فيهم من يقول : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا

إِلَّا اللَّهَ هُـ» [الجاثية : ٢٤] فهل قائل هذا قائل بتوحيد الربوبية ، ومن أهم خواصها الإحياء والإماتة ! وكان فيهم من يقول : أشاب الصغير وأفنى الكبير كَرَّ الغداة وكَرَّ العشي ، وقولهم أرحام تدفع وأرض تبلع . . وغير ذلك وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] ﴿ وَاللَّهُ ﴾ تعالى عَلَّمَ على الرب المعبود ، فإذا كانوا يسبون الرب عند سب ألهمتهم هل يعتبرون مؤمنين بالرب جل جلاله ؟

وورد في حديث سؤال القبر (من ربك) ؟ فإذا كان الكفار يعرفون توحيد الربوبية فإنهم ناجون من حساب القبر لأنهم « على قوله يقولون » الله ربي . . الخ (انظر براءة الحنيفيين الأشعريين ٩٤ / ١) وغيرها . وليس هنا مجال الإطالة في الكلام .

وقال في ص ٤٢ تحت عنوان (رسالة المعية) التي رد بها على الشيخ محمد صالح العثيمين الذي زعم أن الله تعالى مع خلقه بذاته ، وقد ردّ عليه بعض النجدية ، كما هو معروف ، لقد ردّ عليه الشيخ بلطف فقال ولما كان القائل بهذا القول قد أساء الفهم وارتكب خطأ فاحشاً مخالفاً للعقيدة الصحيحة التي جاء بها القرآن والسنة ، وقد ردّ على الشبهة الباطلة التي لم يقل بها أحد من السلف الصالح ، بل قال بها المعتزلة .

٣- قال الشيخ عبد العزيز قال الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى : نعرف ربنا بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه (ص ١١) .

لقد تقدم قول الذهبي وناصر الألباني أن لفظتي (بذاته بائن) لم يكونا معروفين في عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ، أقول ولا أتباعهم وإنما سلك هذا المسلك جماعة معينة ليسوا حجة على الشريعة بل الشريعة حجة

عليهم ، ولو كان منهم الإمام عبد الله بن المبارك أحد تلامذة الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى وما أرى ذلك يصح عنه .

٤- وقال في ص ٤٣ وأن مما يثبت بالقرآن والسنة وأجمع عليه سلف الأمة أن الله سبحانه فوق خلقه بائن منهم مستو على عرشه استواء يليق بجلاله . .

أقول ليته أيد دعواه بآية أن الله تعالى مثلاً فوق خلقه على عرشه ؟ إن الذي ثبت في القرآن الكريم ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه : ٥] فإذا قال بعضهم من معاني (على) الارتفاع ، فقد جاء في (على) معان أخر فمن يستطيع أن يحدد معنى (على) بأنه فوق بحديث صحيح ؟ أو يستدل على الاستواء فيقول (استواء يليق بذاته) وهل تحقق معنى الاستواء في الآية وقد سبق لنا أنها جاءت بمعاني عديدة (استواء يليق بجلاله) ، كلمة تحتاج إلى تصريح في المراد حتى لا يقع في التأويل الذي يخشاه وحتى يسلم التفويض الذي تبناه حين قال بقول السلف : أمروها كما جاءت ، فهل قوله هذا من التفويض ؟ اللهم لا .

وقد استدل على الفوقية بقوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر : ١٠] قال العلامة إبراهيم بن جماعة : . . اعلم أنه تقدم الكلام عليه في آية الاستواء ونزيد ههنا أنه إذا ثبت استحالة الجهة في حقه تعالى وجب تأويل هذه الآيات وأن المراد يصعد ويعرج إلى محل أمره وإرادته ، وأن المراد بالمعارج الرتب والدرجات كما ورد في درجات الجنة وليس المراد به الدرجات التي هي مراقي من سفلى إلى علو الرتبة ، والمنازل عنده إفاضات النعم في الجنة ومنه قوله تعالى ﴿وَرَأَيْتُكَ إِنِّي﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء : ١٥٨] أي إلى محل كرامته . . الخ (انظر إقامة الدليل في قطع حجج التعطيل مع التعليق ص ١١١-١١٢) .

أقول وقد تقدم الكلام على معنى الاستواء ، وقول السلف الصالح في آيات الصفات المتشابهة .

أما كتاب (السنة) المنسوب إلى عبد الله بن أحمد رحمهما الله تعالى فقد جاء فيه : أن العرش لمطوق بحية وأن الوحي ينزل في السلاسل ص ٤٧٤ ، قال المعلق فيه أنه ضعيف مع أنه قول عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما الذي شهر عنه رواية الإسرائيليات ، وأما ابن تيمية فقد قال : إن الله تعالى على العرش وحمله العرش أقرب عليه ممن دونهم وملائكة السماء العليا أقرب إليه تعالى من ملائكة السماء الثانية . . الخ (الفتاوى ٦-٧) .

وقال في موضع آخر من (التأسيس في الرد على أساس التقديس) : والباري سبحانه فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة ، والعلو على العالم . قد يقال أنه مجرد دلالة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليست بمجرد ذلك بل هو عال عليها علواً حقيقياً وهو العلو المعروف . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وابن تيمية كما تقدم يجيز حلول الحوادث بالله تعالى فيجوز عليه التنقل من مكان إلى مكان كما يقول بالقدم النوعي للحوادث ، فالعرش عنده قديم ، وقد تقدم بطلان قوله وقول بعضهم : إن الله تعالى بكل مكان .

ولكن نعم إنه ردّ الشبهة بتأويل آيات المعية كما هو أمر السلف الصالح وأمر ابن تيمية أيضاً غير أنه جعل لله تعالى مكاناً ، فأول في آيات وأثبت في آيات ، وما ضره لو قال في جميعها بقول السلف الصالح : أمروها كما جاءت .

لقد قال : (إن الله سبحانه في السماء فوق خلقه مستو على عرشه) ترى ماذا يقول في قوله سبحانه ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام: ٣] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٥] ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي

السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ ﴿ [الزخرف : ٨٤] ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴿ [المجادلة : ٧] .

ما دليله في العمل بظاهر بعض الآيات وتأويل البعض الآخر من كتاب الله أو السنة ؟ اللهم لا دليل إلا اختيار ابن تيمية ومن تبعه ، وليس من السلف لا زماناً ولا اعتقاداً .

قال الشيخ عبد العزيز بعد أن ذكر أن المشركين العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة ؛ ثم قال : أما المشركون المتأخرون « في الأمة الإسلامية فزادوا على الأولين مشركي الجاهلية » من جهتين إحداهما : الشرك في الربوبية . والثانية : شركهم في الرخاء والشدة كما يعلم ذلك من خالطهم وسبر أحوالهم ورأى ما يفعلون عند قبر الحسين والبدوي وغيرهما في مصر . . الخ ص ٢٦ .

أقول : ردد قول شيخه ابن تيمية في تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية ، إنه قول ظهر في القرن السابع فلا سند له من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ، إن الذين يقول الله تعالى فيهم ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام : ١٠٨] هل يعقل أن النبي ﷺ وهو يعبد ربه وحده يمكن لمؤمن بربوبية الله تعالى أن يسب الله تعالى وهو ربه ورب كل شيء ؟ انظر القرطبي فقد جاء فيه : قالت قريش لأبي طالب إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغضب منها وإما أن نسب إلهه ونهجه ، فنزلت الآية (٦١ / ٧) .

إن سؤال الصالحين أحياء وأمواتاً ليس شركاً ولا أمراً محظوراً ، فإن كل مسلم يعتقد أن النافع الضار هو الله وحده ، وأن المدعو من البشر والخلق عامة حياً أو ميتاً سيان في عدم قدرته على إفادة الغير ودفع الضر عنه ، قال الله تعالى

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْرَزْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف : ١٨٨] إن من يعتقد أن الحي ينفع بنفسه وأن الميت لا ينفع هو جاهل في أمر هام من أمور العقيدة .

إن عقيدة كل مسلم عالماً كان أو جاهلاً تقوم على أساس أن النفع والضرر بيد الله تعالى ، فإذا توسل العبد بالرسول ﷺ أو بأحد من الصالحين بعد مماتهم ، لأنه يرجو بمكانتهم عند الله تعالى بمحبتهم لله تعالى ومحبة الله تعالى لهم أن يكرمه سبحانه بقضاء حاجته وإعطائه سؤاله ، ولو سئل أجهل العامة هل يعتقد هو أن الرسول ﷺ أو أي من الصالحين ينفعه بنفسه لقال لا ، لكنه حبيب عند الله تعالى فسأل الله تعالى به ما أراده ، فالمسألة يا شيخ مسألة توسل من العبد ، ودعاء من الميت ، ورجاء في الله أولاً وأخيراً .

قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء : ٦٤] وقد ثبت أن الرسول ﷺ حي في قبره وتعرض عليه أعمال أمته ، قال ﷺ : (حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تحدثون فيحدث لكم وإذا أنا مت تعرض عليّ أعمالكم فما وجدت خيراً حمدت الله تعالى وما وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم) . قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب شرح التقریب - في كتاب الجنائز : إسناده جيد) وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (٢٢٤ / ٩) وصححه الحافظ السيوطي في (المعجزات والخصائص ٢٩٧ / ٣) ونص المناوي في (فيض القدير ٤٠١ / ٣) أنه صحيح ، وكذا الزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) وكذا الشهاب الخفاجي في (شرح الشفاء ١٠٢ / ١) وذكره ابن حجر في (المطالب العالية) .

قال الشيخ الدكتور محمد فالحديث صحيح لا مطعن فيه ، وهو يدل على

أن النبي ﷺ يعلم أعمالنا بعرضها عليه ، ويستغفر لنا على ما فعلنا من شيء قبيح ، وإذا كان ذلك كذلك فإنه يجوز لنا أن نتوسل بالنبي ﷺ ونستشفع به لديه لأنه يعلم بذلك فيشفع فينا ويدعو لنا (ص ٢٠١ منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق للعلامة السيد الدكتور محمد علوي المالكي رحمه الله تعالى) .

وروى الدارمي في السنن (أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثاً ولم يُقم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلاّ بهممة يسمعها من قبر النبي ﷺ فذكر معناه (٤٤ / ١) ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحكام تمني الموت من مجموعة مؤلفاته ٤٧ / ٣) .

قال الشيخ الدكتور محمد ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع (ما ذكرت هنا وزيادة) من بعض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً ثم قال : ولا يدخل في هذا الباب ما يروى من أن قوماً سمعوا ردّ السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين ، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك . . ثم قال في موضع آخر وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها ، وتوقي الشياطين والبهائم لها ، واندفاع النار عنها وعمن جاورها ، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى واستحباب الاندفان عند بعضهم وحصول الأُنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بهم فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه ، وما في قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله تعالى ورحمته ، وما لها عند الله تعالى من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق ، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٣-٣٧٤) .

قال العلامة المحقق الحجة الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في آخر الرسالة النافعة (محق القول في مسألة التوسل ص ١٥١) من تعليقي عليها : ولا بأس أن تزيد هنا كلمة في الاستغاثه والاستعانة والكل من واد واحد ، ففي حديث الشفاعة عند البخاري : (استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ ..) وهذا يدل على جواز الاستغاثه في صدد التوسل ، وأما حديث لا يستغاث بي عند الطبراني ففي سنده ابن لهيعة وقد شرحنا حاله في الإشفاق على أحكام الطلاق وهو مطبوع متداول والحمد لله وحديث البخاري بتمامه في كتاب (الزكاة) فتح الباري ٣/ ٣٣٨ .

قال الشيخ حسن السقاف : أقول وهذا تصريح بالاستغاثه بغير الله تعالى في أمر لا يملك تفريجه إلا الله وحده ، وكلنا نعتقد أن رسول الله ﷺ عبد من عبيد الله تعالى ليس له الملك يومئذ لأن الله تعالى يقول ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر : ١٦] واستغاثه الناس بعد اتضاح الشرك من الإيمان يومئذ خصوصاً سيدنا آدم عليه السلام الذي يعترف بأنه لا يستطيع ذلك ، ثم بمن بعده من أكبر الأدلة وأنصعها وأصحها على أن الاستغاثه بغير الله تعالى ولو لم يكن (المستغاث به) يملك النفع ليس شركاً ولا كفراً كما يظن البعض بل هو حق في موقف يشهده الخلق جميعاً بين يدي الله رب العالمين (الإغاثة بأدلة الاستغاثه ص ١١-١٢) .

ثم قال الشيخ الكوثري رحمه الله تعالى وأما سماع أصحاب القبور وإدراكهم فمن أوسع من سرد أدلة ذلك المحدث عبد الحي اللكنوي رحمه الله تعالى في (تذكرة الراشد) وأما قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴾ [فاطر : ٢٢] ففي حق المشركين عند المحققين (انظر القرطبي ١٤/ ٣٤٠) ومختصر ابن كثير ٣/ ١٤٥ (وصفوة التفاسير ٢/ ٥٧٣) ثم قال في الخاتمة وبذلك

الأحاديث والآثار يظهر أن من ينكر التوسل بالأنبياء والأولياء الصالحين أحياء وأمواتاً ليس عنده أدنى حجة وأن رمي المسلمين بالإشراك بسبب التوسل ما هو إلا تهوّر يرجع ضرره إلى الرامي نسأل الله العافية ، وأما إذا كان بين العامة من يخطئ في مراعاة أدب الزيارة والتوسل فمن واجب أهل العلم إرشادهم إلى الصواب برفق .

أقول : نعم برفق وبحسن ظن في المسلمين ، روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : (من صلى صلاتنا وأسلم واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك مسلم له ذمة الله ورسوله فلا تخفروا الله تعالى في ذمته) .

إن هؤلاء الذين يطلبون من الرسول ﷺ ومن الصالحين المغفرة والجنة والشفاء وقضاء الحاجات هم مسلمون ، ولكنهم يخطئون في التعبير ولا يخطئون في التوحيد لأن مقصودهم الاستشفاع إلى الله تعالى بتلك الوسيلة ، فكأنهم يقولون يا رسول الله اسأل الله أن يغفر لي وأن يرحمني وأن يفعل بي كذا وكذا ويقضي حاجتي ، وأنا أتوسل بك إلى الله تعالى في ذلك ، وقد كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ ما يكون منه وما لا يكون فيعلم وينصح ويرشد . ولقد سأله خادمه مرافقته في الجنة فما أنكر ذلك عليه ، وإنما قال (أعني على نفسك بكثرة السجود) والحديث في مسلم ، ثم إن باب المجاز واسع عظيم لا ينكره إلا مكابر ، فلو كان الرسول ﷺ لا يقدر على فعل المسؤول فلا يضر ذلك بتوحيد السائل ، ويكون واجب العلماء تعليم من لا يعلم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإنه لمن سوء الظن ومن الجهل بالدين حمل آيات المشركين على المسلمين الجاهلين أو الرامين إلى معاني لا ينتبه لها لأول وهلة .

وما أحسن قول الشيخ العلامة يوسف الدجوي رحمه الله تعالى في هذا

المجال قال : ولا أدري كيف يكفرون بالاستغاثة ونحوها فإن المستغيث إن كان طالباً من الله تعالى بكرامة هذا الميت لديه فالأمر واضح وإن كان طالباً من الولي نفسه فإنما يطلب منه على اعتقاد أنه تعالى أعطاه قوة روحانية تشبه قوة الملائكة فهو يعمل فيها بإذن الله تعالى فهل في ذلك تأليه له ؟ ولو فرضنا جدلاً أنا مخطئون في ذلك ، لم يكن فيه إشراك ولا كفر ، بل تكون كمن طلب من المقعد المعونة معتقداً أنه صحيح غير مقعد ، مع أن فعل الأرواح ومواهب الأنبياء والأولياء ثابتة بالدلائل القطعية على الرغم من أنوفهم ، وصفوة القول أننا نقول : هؤلاء المستغيثون يعتقدون أن الله تعالى أعطى الأولياء مواهب لم يعطها لغيرهم ، وذلك جائز لا يمكنهم منعه ، وهم يقولون أنهم اعتقدوا فيهم الألوهية مع أن ذلك لا يقول به أحد إلاّ عند من أساء الظن بالمسلمين ظلماً وعدواناً ، ولو فرضنا أن ذلك مشكوك فيه فهل يجوز التكفير والقتل بمجرد الشك (مقالات الدجوي وفتاواه ص ٢٦١) .

وقال العلامة الكوثري رحمه الله تعالى : وإن لابس بعض العامة في التوسل شيء من البدع فالواجب على العالم أن يرشده إلى السنة برفق لا أن يرميه بالشرك ويستبيح ماله ودمه (المقالات ص ٣٧٦) .

وقال ابن القيم « تلميذ ابن تيمية وناشر أقواله وكتبه » : إن للروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفوذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق به سبحانه (تعالى الله تعالى عن الجهة والمكان) ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه بسبب انغماسها في شهواتها ، فإذا كان هذا في عالم الحياة الأرضية وهي محبوسة في بدنها ، فإذا تجردت عنه وفارقت ، واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل نشأتها روحاً عالية زكية كبيرة ذات همة عالية ، فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر ،

وقد تواردت الرؤى في أصناف بني آدم على فعل الأرواح بعد الموت أفعالاً لا تقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن في هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد ، والفيالق بالعدد القليل جداً أو نحو ذلك ، وقد رؤي النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم قد هزمت أرواحهم عساكر الكفار والظلم ، فإذا بجيوشهم مغلوبة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقتلتهم . (كتاب الروح ص ٥٤ - ٦٠) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي قبل ابن القيم : إن الأرواح البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس ، ويظهر فيها آثار في أحوال هذا العالم ، فهذه المدبرات أمراً ، أليس الإنسان قد يرى أستاذه في المنام ويسأله عن المسألة فيرشده إليها .

لقد استشهد ثابت بن قيس يوم اليمامة فكان عليه درع ثمينه فمَرَّ به رجل من المسلمين فأخذها ، فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال له : أوصيك بوصية وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه ، إني لما قُتلت مربي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في خيام ، وعند خبائه فرس يستن في طوله « يعدو إقبالاً وإدباراً أو هو مربوط بحبل » وقد كُفأ على الدرع برمةً وفوق البرمة رحل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ « يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه » فقل له أن عليّ من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقي عتيق وفلان ، فأتى خالد الرجل فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها ، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته ، قال : ولا نعلم أحداً أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رحمه الله تعالى ، ذكره أبو عمر في (الاستيعاب) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٠٥ / ١٦) وقال

الرازي في (المطالب العالية) وهو من أمتع كتبه في أصول الدين في الفصل العاشر من المقالة الثالثة من الكتاب السابع منه : إن الإنسان قد يرى أباه وأمه في المنام ويسألهما عن أشياء وهما يذكران أجوبة صحيحة وربما أرشدها إلى دفين في موضع لا يعلمه أحد ثم قال : أنا كنت صبيّاً في أول التعليم وكنت أقرأ (حوادث لا أول لها) فرأيت أبي في المنام فقال لي : أجود الدلائل أن يقال الحركة انتقال من حالة إلى حالة فهي تقتضي بحسب ماهيتها مسبوقيتها بالغير ، والأزل ينافي مسبوقاً بالغير ، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالاً . ثم قال المصنف والظاهر أن هذا التوجه أحسن من كل ما قيل في هذه المسألة . الخ ، (انظر محق القول للعلامة الكوثري بتعليق كاتب هذه السطور ص ١١٥ - ١١٩) .

لقد كان الشيخ عبد العزيز قاضياً فترة من عمره ، وهو يعلم أن القاضي يجب عليه أن يسمع كلام المتخاصمين قبل أن يصدر حكمه مهما لحن أحدهما في قوله ، وقديماً قال علي رضي الله تعالى عنه : (إذا أتاك أحد الخصمين وقد ذهبت عينه فلا تقض له حتى يحضر خصمه الآخر فلعله قد ذهبت عيناه) .

لكن الشيخ تلميذ بار تقليداً دون تمحيص دليل أو نظر في برهان هو تلميذ محمد بن عبد الوهاب وهذه كلمة من ابن تيمية تظهر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض أتباعه أصبحوا ملكين أكثر من الملك كما يقال فبادروا إلى التكفير ، قال ابن تيمية : (ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة وغيرها من طوائف المسلمين واستحلال دماءهم وأموالهم) وهذا عظيم لوجهين :

- أحدهما : أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما في الطائفة المكفرة لها ، بل قد تكون بدعة الطائفة المكفرة لها أعظم من بدعة الطائفة المكفّرة ، وقد تكون نحوها ، وقد تكون دونها ، وهذا حال عامة أهل

البدع والأهواء الذين يكفر بعضهم بعضاً ، وهؤلاء من الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَرَّءُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

- الثاني : أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة والأخرى موافقة للسنة ، لم يكن لهذه السنية أن تكفر كل من قال قولاً أخطأ فيه ، فإن الله تعالى قال : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] كتاب الفرقان له أخذاً من (الصواعق الإلهية) للشيخ سليمان بن عبد الوهاب ص ٤٩ .

أصبح من المعلوم أن هذه الطائفة تكفر بالنذر لغير الله تعالى ، والذبح لغير الله مع أن الله تعالى بنص القرآن قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة : ٣] وقال ابن تيمية النذر للقبور ولأهل القبور « كالنذر لإبراهيم الخليل عليه السلام أو الشيخ فلان » نذر معصية لا يجوز الوفاء به ، وإن تصدق بما نذر من ذلك على من يستحقه من الفقراء أو الصالحين كان خيراً له عند الله وأنفع .

قال الشيخ سليمان فلو كان الناذر كافراً عنده لم يأمره بالصدقة لأن الصدقة لا تقبل من الكافر بل يأمره بتجديد إسلامه ويقول له خرجت من الإسلام بالنذر لغير الله ، بل قال الشيخ كذلك : من نذر إسراج بئر أو مقبرة أو جبل أو شجرة أو نذر له أو لساكنه لم يجوز ولا يجوز الوفاء به ، ويصرف في المصالح ما لم يعرف ربه . وقال أيضاً : من نذر قنديل نقد للنبي ﷺ صرف لجيران النبي ﷺ .

وقد ذكر ابن مفلح في الفروع عن شيخه الشيخ تقي الدين بن تيمية : (والنذر لغير الله كنذره لشيخ معين للاستغاثة وقضاء الحاجة كحلفه بغي) وقال غيره : هو نذر معصية (المصدر السابق ص ١٩) .

٢٣- بقاء الجنة والنار أبد الآباد ولا تفنيان :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في (بيان السنة والجماعة) : والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان ، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء إلى الجنة أدخله ومن شاء إلى النار أدخله عدلاً منه ...) .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : والجنة والنار خلقتا للبقاء ولم يكتب عليهما الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع (شرح نونية ابن القيم ١ / ٧٩) .

قال العلامة الشعراني : ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات ما نصه :

اعلم أنه إذا ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ، ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة فأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار ما فيها من حسرة ما أعظمها وتغلق أبواب النار غلقاً لا فتح بعده أبداً .. الخ .

ثم قال الشيخ الشعراني فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى أنه يقول : إن أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم ، وكذلك كذب من دسّ في كتاب (الفصوص والفتوحات) أن الشيخ قائل بأن أهل النار يتلذذون بالنار وأنهم لو خرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع إليها .. ثم قال : وقد رأيت في (عقائد الشيخ الوسطي) ما نصه :

ونعتقد أن أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهما لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر والداهرين ، وقال مرادنا بأهل النار الذين هم أهلها

من الكفار والمشركين والمنافقين والمعتولين لا عصاة الموحدين فإنهم يخرجون بالنصوص ، قال : لأن النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحّد فيها ، كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبداً لأنها خلقت من الغضب السرمدي ، قال : وهذا اعتقاد الجماعة إلى قيام الساعة (انظر اليواقيت والجواهر بيان عقائد الأكابر للمحقق العلامة الرباني عبد الوهاب الشعراني ١٨٢/٢) .

وقال الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه (لباب الأسرار من الفتوحات) : إياك والغلط ففهم من كلام الشيخ أنه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فإن ذلك خطأ ، وقد رجع بفضل الله تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان لا غوص لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليداً لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا إلى الله تعالى بعد أن كانوا يساررون بذلك فيما بينهم ، فالحمد لله رب العالمين (المصدر السابق ١٨٣/٢) .

وقال العلامة ابن كثير تلميذ ابن تيمية ، لكنه يخالفه في أمور عظيمة مثل دعوى إقعاد الله رسوله ﷺ على العرش ، والقول بفناء النار : (إذا خرج أهل المعاصي من النار فلم يبق فيها غير الكافرين فلا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى : ﴿ وَيَنْجَبُهَا الْأَشَقَى ﴾ [١١] الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ [الأعلى : ١١-١٣] فلا خروج منها ولا محيد لهم بل هم خالدون فيها أبداً ، وهم الذين حبسهم القرآن ، وحكم عليهم بالخلود كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [١٦٨] إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء : ١٦٨-١٦٩] (الفتن والملاحم له ٣٥٥/٢) .

وقال العلامة تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ في مقدمة

رسالة الاعتبار ببقاء الجنة والنار) وبعد . فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تغنيان أبداً ، وقد نقل محمد بن حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بإجماع ، ولا شك في ذلك فإنه معلوم من الدين بالضرورة وتواردت عليه الأدلة ، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة : ٣٩] وذكر (٣٤) آية ثم قال فهذه أربع وثلاثون آية فيها لفظ الخلود وما اشتق منه أربع من التأييد ، والآيات التي في معناه كثيرة أيضاً كقوله تعالى ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ﴾ [البقرة : ٨٦] ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] إلى (٢٨) آية .

فهذه الآيات التي استحضرتها في بقاء الجنة والنار وبدأنا بالنار لأننا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها ، ثم قال وقد وقفت على التصنيف المذكور ، وذكر فيه ثلاثة أقوال في فناء الجنة والنار :

- أحدها أنهما تغنيان وقال إنه لم يقله أحد من السلف - والثاني أنهما لا تغنيان - والثالث أن الجنة تبقى والنار تفتنى ، ومال إلى هذا واختاره ، وقال أنه قول السلف « ومعاذ الله وأنا أبرئ السلف من ذلك ولا أعتقد أن أحداً قاله ، وإنما يروى عن بعضهم تأول كما تتأول المشكلات التي ترد . . الخ » وقال في آخرها : من قال بفناء الجنة أو أحدهما فهو كافر . .

وقال العلامة السفاريني الحنبلي في كتابه (شرح الدرة المضيئة في عقد الفرقة المرضية) فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً كل بما فيه نعيم وعذاب أليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع ، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع ، وقد ألف العلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رسالة سماها (توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين) .

أقول : لقد ظهر محمد بن إسماعيل الصنعاني على قول ابن تيمية في (فناء النار) فألف في الرد عليه رسالة سماها (رفع الأستار لإبطال القائلين بفناء النار) وقد نشرها مع التعليق الشيخ ناصر الألباني وأكد قول ابن تيمية بفناء النار ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لكنه تحمل له . . فقال : فإذا صح ظننا هذا « وهو رجوعه عن القول بفناء النار » فالحمد لله ، وإلا فأسوأ ما يمكن أن يقال أنه خطأ مغفور لهما « ابن تيمية وتلميذه » بإذن الله تعالى لأنه صدر عن اجتهاد صادق منهما ، ومعلوم أن المجتهد مأجور ولو أخطأ . . الخ المقدمة ٣٢ . يقال هذا القول منه في المسائل العقدية التي لا اجتهاد فيها لا العملية الفرعية التي يصح فيها الاجتهاد من أهله ، ثم هو اجتهاد في مقابل النصوص الكثيرة من آيات وأحاديث بدون دليل أو برهان يقابل ذلك ولو ضعيفاً .

قال العلامة الآمدي : ليس كل مجتهد مصيباً في العقلية بل الحق فيها واحد ، فمن أصابه أصاب ومن أخطأه أخطأ وأثم بالإجماع (١٥٤ / ٤) وجاء في التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي : وأما المجتهد في المسائل الفرعية فالراجع أن الله تعالى في كل واقعة حكماً معيناً عليه دليل ظني وأن المخطئ فيه معذور ، وأن القاضي لا ينقض قضاؤه (ص ٧٧٢ تحقيق الدكتور حسن هيتو حفظه مولاه) .

قال شارح العقيدة الطحاوية صدر الدين بن أبي العز الحنفي المذهب التيمي المشرب قوله : [(لا تفنيان أبداً ولا تبيدان) هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف ، وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف ، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها] ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط معلقاً ، وما يُروى عن بعض السلف من القول بفناء النار « إن صح »

قول ضعيف مرجوح مخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار أبد الأباد وبقاء أهلها . . الخ (٦٢١ / ٢) .

وقال معلقاً على هذا الموضوع من الشرح في غير العقيدة المطبوعة في مجلدين : هذا خطأ تابع فيه المؤلف رحمه الله ابن القيم وشيخه ، فليس لأهل السنة في هذه المسألة إلا قول واحد وهو أن الجنة والنار لا تفنيان ، وقد اجمع المسلمون على ذلك ونقلوه بالقبول خلفاً عن سلف عن نبيهم ﷺ وهو مركز في فطرة للمسلمين معلوم من الدين بالضرورة .

وللحافظ علي بن عبيد الكافي السبكي رسالة في هذا الموضوع سماها (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) وهي نفيسة فلتراجع (٤٢٢) .

وحين قال شارح الطحاوية : « وهذا القول » أي فناء النار دون الجنة منقول عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم ، وقد روي عن عبيد بن حميد في تفسيره المشهور بسنده إلى عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : (لو لبث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون) . قال الشيخ : شعيب هو من حديث سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال ، قال عمر بن الخطاب من حديث حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة .

وعن حميد عن الحسن عن عمر بن الخطاب : إن هذا سند رجاله ثقات لكنه منقطع ، الحسن لم يسمع من عمر والواسطة مجهولة ، وقد روي نحوه عن عبد الله بن عمر موقوفاً بسند ضعيف ، وعن أبي أمامة بسند فيه تالف ، ومثل هذا المطلوب لا يثبت بمثل هذه الأخبار الضعيفة (٤٢٢) .

قلت : قال الشيخ عبد القاهر البغدادي تحت عنوان المسألة التاسعة في دوام الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب : (أجمع أهل السنة وكل من سلف من أختيار الأمة على بقاء الجنة والنار وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب

الكفرة في النار ، وزعم قوم من الجهمية : أن الجنة والنار تفتيان (ص ٢٣٨) .

وقال ابن حزم : اتفقت الأمة كلها برّها وفاجرها (حاشا جهنم بن صفوان السمرقندي وأبي الهذيل محمد العلاف العبدي البصري) على أن الجنة لا فناء لنعيمها والنار لا فناء لعذابها ، وأن أهلها خالدون أبد الدهر إلى ما لا نهاية ، وأما قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] إنما أراد بذلك الاستحالة من حال إلى حال فهذا الذي يعم المخلوقات لا العدم (الأصول والفروع ص ٤٣) .

وبعد أن ردّ الشيخ شعيب ما يستند إليه من ذهب بفناء النار قال : فقد بان بما ذكرنا أن القول بفناء النار لا يثبت عن أحد من الصحابة ، وأن ما صح عنهم عبارات لا تدل على المدعى وهو القول بفناء النار . (الطحاوية لابن عبد العز بالاشتراك مع الدكتور عبد الله بن تركي ٦٢٧/٢) .

قال ابن تيمية : ولو قدر عذاب لا آخر ؛ لم يكن رحمة البتة !

قال الشيخ ناصر فكان الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها الكفار المعاندين الطاغين ؟ أليس هذان من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة ، فغفرانك اللهم (المقدمة ص ٢٥) .

قال ابن أبي العز في الباب : فلا بد « لاحظ لا بد أي يجب » أن تسع رحمة الله هؤلاء المعذبين فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته ، وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة ، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم وليس من حكمة أحكم الحاكمين ورحمة أرحم الراحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد سرمد لا نهاية له ، وقال أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم ويحسن إليهم نعيماً سرمداً فمن مقتضى الحكمة ، والإحسان مراد لذاته ، والانتقام مراد بالعرض (٦٢٩) .

أقول : أرأيت أيها القارئ الفاضل الرجل يوجب على الله شيئاً وهو
 الفعال لما يريد ، وإذا هو لم يرحم الذين كفروا به وتنكروا له بكل معصية وكان
 عزمهم أنه مهما طال عمرهم فهم على كفرهم ، وأنهم لو ردوا إلى الدنيا لعادوا
 في الكفر ، إذا هو سبحانه لم يرحمهم فقد فعل غير الحكمة ، وكلنا نحفظ قوله
 سبحانه ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ - فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ - لَا يُسْئِلُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ
 يُسْئَلُونَ... ﴾ ولكن ؟

أقول : لو أن الشارح التيمي أتم الآية من سورة الأعراف ، فإن الآية تقول
 ﴿ وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف : ١٥٦] فالآية صريحة في أن الرحمة إنما هي
 في الآخرة لمن آمن بالآخرة فما أبعد المشركين والكفار والشياطين عن تلك
 الرحمة وما أبعد الشيطان وحزبه عن رحمة الله تعالى في الآخرة .

ثم قال شارح العقيدة مقلد ابن تيمية دون تعقل ونظر : (والنار موجب
 عذابه والجنة موجب رحمته) لعمر الله إنه لقول المعتزلة الذين يوجبون على الله
 تعالى ما يروونه الأصلح ، وأنه يجب عليه سبحانه « حاشا » إثابة المؤمن
 وتعذيب الكافر دون برهان ودليل .

قال الشيخ الدكتور عبد الوهاب المشهداني معقباً على كلام الشارح : هذا
 كلام مردود وباطل لأن الله تعالى لا يجب عليه شيء لأن العبد كالأجير الذي
 أعطي الأجرة قبل عمله ، ولو كان على الله واجب أن يرحم لسوابق الأعمال
 لا يستحق الحمد ، فالحمد لله الذي أعطى لعبده رحمته دون مقابل ، ذلك لأن
 الذي وجب عليه دين فأداه لا يحمد بل لا يكون حمده واجباً ، فدخلنا الجنة
 فضلاً منه سبحانه وتعالى ، وسببه امتثال أوامره جل جلاله وطاعته وتوحيده ،

ودخول أهل النار النار عدلاً منه سبحانه وسببه معصيته وعدم تنفيذ أوامره جل جلاله .

أقول : هل تلتقي دعوى ابن تيمية أن النار للتطهير ثم يؤول أمر الكفار إلى الجنة ، هل تلتقي مع دعوى تناسخ الأرواح بعد الموت تنتقل من أجساد إلى أجساد حتى تطهر وتزكو ، معاذ الله أن يعتقد ابن تيمية هذا ، لكن انشغاله بالفلسفة حتى بلعها « كما قال تلميذه الذهبي » دفعه إلى أقوال شاذة ، ودعاوى لا سند لها ولا خطام ، ولئن ضل هو فما بال طلاب العلم كالقاضي ابن أبي العز ، يقلده دون أن ينظر ما قاله إمامه في المذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى إن الجنة والنار أبديتان لا تفتيان .

قال ابن القيم في (شفاء العليل ص ١٢٦) بعد كلام ما نصه :

والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله تعالى بما يفعله فإن لم يكن مطابقاً لخبره عن نفسه بذلك وإلا كان قولاً عليه بغير علم ، والنصوص لا تفهم ذلك ، فأجابه الشيخ ناصر بقوله : ويؤسفني والله جداً قوله المتقدم « والنصوص لا تفهم ذلك » كيف تجرأ على مثل هذا القول والنصوص قاطعة في ذلك من الكتاب والسنة كما تقدم ، لقد أصيب ابن القيم في هذه المسألة « مع الأسف الشديد » بأفة التأويل التي ابتلي بها أهل البدع والأهواء في مقالاتهم التي خرجوا بها عن نصوص الكتاب والسنة . . الخ ص ٣٦ .

أقول : وحين طبع كتابي (أركان الإيمان) وجاء فيه ولقد انحرف عن الإيمان وجانبه من زعم فناء الجنة والنار وهم جهنم بن صفوان ومن تبعه ، وضل من زعم فناء النار وهو أحمد ابن تيمية ومن تبعه ص ٢٩ فقد قلت بعد كلام علمي ص ٢٩٨ : ومن العجيب أن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ممن قال بفناء النار وانتهاء أمرها وأهلها ، فقد نقل الشيخ إسماعيل الصنعاني قول

ابن تيمية : فإذا أخذت النار مأخذها منهم وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فإن العذاب لم يكن سدى وإنما لحكمة مطلوبة ، فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب (كما في حادي ابن القيم ١٩٦/٢) قال الشيخ ناصر ؛ وأقول : لم يقم شيخ الإسلام دليلاً على أن الحكمة المطلوبة في تعذيب الكفار هي زوال النجاسة الكفرية وخبثه الذي لا يزول إلا بعذاب النار ، وإنما قال ذلك تظناً منه وتحسباً كفرع عن اعتقاده بفناء النار (رفع الأستار ص ١٢٦) .

أقول : وكم له من استعمالات عقلية فكرية يقابل بها النصوص غير الموافقة لمشربه وقد أورد الشيخ ناصر عليه سؤالاً فإن ساعدناه « ابن تيمية » على أن الناس مفطورون على التوحيد فما يصنع بالجن والشياطين وهم من جملة من تفنى النار عنهم ويدخلون الجنة (المصدر السابق ١٢٦) ؟ .

أقول : هل يجرؤ على التفكير لا القول أن الله تعالى يجمع إبليس وآدم ونبينا محمداً ﷺ في الجنة ، ومع إبليس زبانيته وأتباعه من الجن والإنس ، مع الأنبياء والرسل وأتباعهم الصالحين من الجن والإنس .

٢٤- العرش . مقال أهل السنة :

قال العلامة الطحاوي في (بيان عقيدة أهل السنة والجماعة) بعد كلام : والعرش والكرسي حق وهو عز وجل مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وبما فوقه وقد أعجز عن الإحاطة ص ٢٨ .

وقال البيهقي في (الأسماء والصفات) اتفقت أقوال أهل التفسير على أن العرش هو السرير ، وأنه جسم خلقه الله تعالى وأمر الملائكة بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به ، كما خلق في الأرض البيت وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة ٣٩٢ (فتح الباري ٤٠٥/١٣) .

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣) اختلف أهل الإسلام في القول بالمكان ، فمنهم من زعم أنه يوصف بأنه على العرش مستو على العرش ، والعرش عندهم : السرير المحمول المحفوف بالملائكة ، قال الله تعالى ﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَّيْمَنَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] وقال ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [الزمر : ٧٥] وقال ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ [غافر : ٧] واحتجوا بقوله سبحانه وتعالى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ويرفع الناس إلى السماء بالدعوات أيديهم وهم يأملون من الخيرات ويقولون : هو صار إليه بعد أن لم يكن . كقوله ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف : ٥٤] . ومنهم من يقول : هو بكل مكان . لقوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ، وقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] ، وقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ تُبْصِرُوا ﴾ [الواقعة : ٨٥] ، وقوله ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ﴾ [الزخرف : ٨٤] ، وظنوا أن القول بمكان دون مكان يوجب الحد وكل حد مقصّر عما هو أعظم منه ، وذلك عيب وآفة وفي ذلك إيجاب إلى الحاجة إلى مكان مع ما فيه من إيجاب الحد ، إذ لا يحتمل أن يكون أعظم من المكان كما هو من السخف في المتعارف أن يختار أحد مكاناً لا يسعه ، فيصير حد المكان حده جلّ ربنا وتعالى عن ذلك كله .

ومنهم من قال بنفي الوصف والمكان وكذلك الأمكنة كلها إلا على مجاز اللغة بمعنى الحافظ لها والقائم عليها .

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله تعالى : وجملة ذلك أن إضافة كلية الأشياء إليه وإضافته عز وجل إليها يخرج مخرج الوصف بالعلو والرفعة ويخرج مخرج التعظيم له والجلال كما قال ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ ﴾ [الباقية : ٣٦] الإله الخالق والأمر رب العالمين ونحوه ، وإضافة

الخاص إليه سبحانه يخرج مخرج الاختصاص له بالكرامة والمنزلة والتفضيل على كل من هو بجوهره .

قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ [النحل : ١٢٨] ، وقوله ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ - نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ - وبيت الله ، ولا يخرج شيء من على مثل المفهوم من إضافة الخلق بعضهم إلى بعض ، لا قطع احتمال مثله في الخلق إذ قد تخرج أيضاً إضافة التخصيص مخرج التفضيل والعموم مخرج فضل السلطان والولاية .

ثم قال : الأصل فيه أنه سبحانه كان ولا مكان ، وجائز ارتفاع الأمكنة ، وبقاؤه على ما كان وكان ما عليه الأمر جلّ عن التغيير والزوال والاستحالة والبطلان ، إذ ذلك من أمارات الحدث التي عرف بها حدوث العالم ، ودلالة احتمال الفناء ، إذ لا فرق بين الزوال من حال إلى حال ليعلم أن حاله الأولى لم يكن لذاته إذ لا يحتمل زوال ما لزم لذاته ، وبين أنها ليست لذاته لما احتمل تبدل الأعراض وانتقال الأحوال ، ولا قوة إلا بالله .

وبعد فإن في تحقيق المكان له والوصف له بذاته في كل مكان تمكين للحاجة له إلى ما به قراره على مثل جميع الأجسام والأعراض التي قامت بالأمكنة وفيها تقلبت وقرت على خروج جملتها عن الوصف له والمكان ، فمن أنشأها وأمسك كليتها لا بمكان يتعالى عن الحاجة إلى المكان أو الوصف به بالمكان ، أن كليته لا في مكان وأنه بجزئياته في المكان .

ثم إن الله تعالى لو جعل في مكان يجعل بحق الجزئية من العالم وذلك أثر النقصان ، بل لما استقام قيام جميع العالم بالأمكنة للجملة قيمة « أي الله جل جلاله » على ذلك أحق وأولى ولا قوة إلا بالله .

ثم إن القول بالكون على العرش « وهو موضع » بمعنى كونه بذاته أو في كل الأمكنة لا يعدو من ذلك به أو الاستواء به أو مجاوزته عنه وإحاطته به ، فإن

كان الأول فهو إذن محدود محاط به منقوص عن الخلق إذ هو دونه ، ولو جاز الوصف به لذاته بما يحيط به من الأمكنة لجاز أن يحيط به من الأوقات فيصير متناهيًا مقصراً عن خلقه ، وإن كان على الوجه الثاني فلو زيد على الخلق لا ينقص أيضاً وفيه ما في الأول ، وإن كان الوجه الثالث فهو الأمر المكروه الدال على الحاجة وعلى التقصير من أن ينشئ ما لا يفضل عنه ، مع ما يذم هذا من مثل الملوك إذ لا يفضل من المقاعد شيئاً .

وبعد فإن في ذلك تجزئة بما كان بعضه في ذي أبعاد وبعضه يفضل عن ذلك ، وذلك كله وصف الخلائق ، والله يتعالى عن ذلك . الخ (التوحيد ص ٨٦) وجاء فيه (ص ٧٤) :

وأما الأصل عندنا في ذلك أن الله تعالى قال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] فنفى عن نفسه شبه الخلق ، وقد بينا أنه في فعله وصفته متعال عن الأشياء فيجب القول بـ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] على ما جاء فيه من التنزيل وثبت ذلك في العقل ، ثم لا نقطع تأويله على شيء لاحتماله غيره مما ذكرنا ، واحتماله أيضاً أنه لم يبلغنا ممن يعلم أنه غير محتمل لشبه الخلق ونؤمن بما أراد الله به ، وذلك في كل أمر ثبت التنزيل فيه نحو الرؤية وغير ذلك ، يجب نفى الشبه عن الله تعالى ، والإيمان بما أراده من غير تحقيق شيء ودون شيء والله الموفق .

وقال بعد كلام : وأما رفع الأيدي إلى السماء فعلى العبادة ، والله أن يتعبد عباده بما شاء ، ويوجههم حيث شاء ، وإن ظن بعض من يظن أن رفع الأبصار إلى السماء لأن الله في ذلك الوجه إنما هو كظن من يزعم إلى الجهة أسفل الأرض بما يضع عليها وجهه متوجهاً في الصلاة ونحوها ، وكظن من يزعم أنه في شرق الأرض وغربها بما يتوجه إلى ذلك في الصلاة ، أو نحو مكة لخروجه

إلى الحج ، وفي المشاعر بالسعي كباغي ضالة أو ناحية العدو ويقصدون قصد من يُغلب على شيء يستنقذ منه ، جل جلاله عن ذلك .

ثم إن الله سبحانه إذ ليس له وجه أقرب إليه من وجه ولا أحق أن يعلمه من وجه ، ولا في وسع الخلق وجه الوصول إليه من وجه دون وجه ولا طمع للعقول مما هو عالم بذاته ، غني عن عبادة خلقه ، فعبدهم لأنفسهم إذ يقومون بشكره على نعمه ، له المنة كيف شاء ، لا يسبق إلى وهم أحد الوصول إليه في جهة دون جهة ، إلا من لم يعرف الله حق المعرفة .

وقد بينا فيما تقدم وصف قربه وذلك بالإجابة كقوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وبالنصر والمعونة كقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] وبالتقريب إلى المنزل والمحل لقوله تعالى ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ﴾ [العلق : ١٩] وما روي أن (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً . .) إلى آخر ذلك وقوله ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] وفي الكلاؤ والحفظ ﴿ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ - وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ وقوله ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الرعد : ٣٣] وبالعلم بقوله ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام : ٣] وغير ذلك .

فعلى مثل هذه الوجوه المجيء والذهاب والقيود ، مع ما كان مجيء الأجسام يفهم منه الانتقال ثم مجيء الحق يفهم منه الظهور كقوله تعالى ﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ ﴾ [سبا : ٤٩] وعلى ذلك ذهاب الباطل بطلانه وذهاب الجسم انتقاله ، فهذا محل المجيء والذهاب في المعروف من الأعراض والأجسام .

والله يتعالى عن المعنيين جميعاً ، لم يجز أن يفهم من المضاف إليه ذلك ولا قوة إلا بالله (ص ٧٤-٧٧) .

قال العلامة محمد الطائي رحمه الله تعالى فإن قلت : فما الحكمة في

إعلامه تعالى لنا أنه استوى على العرش ، بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص لا جميع الأكوان .

فالجواب أن الحكمة في ذلك تقرب الطريق على عباده ، وذلك أنه تعالى هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده عباده فيه ذاته لحوائجهم ، وإن كانت لا تقبل المكان قطعاً ، اقتضت المرتبة الإلهية أن يخلق عرشاً وأن يذكر لعباده أنه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب حوائجهم وكان ذلك من جملة رحمته لعباده ولتنزل عقولهم ، ولولا ذلك ل بقي صاحب العقل حائراً لا يدري إلى أين يتجه بقلبه ، فإن الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل إلا ما كان من جهة ما دام عقله حاكماً عليه ، فإذا من الله عليه بالكمال واندرج عقله في نور إيمانه تكافأت عنده الجهات في جانب الحق تعالى ، وعلم وتحقق أنه تعالى لا يقبل الجهة ولا التحيز وأن العلويات والسفليات في القرب منه تعالى سواء (شرح الشيخ عlish على الدجنة ص ٢٢٥) واعلم أن الشيخ لم يتعرض هنا لمعنى الاستواء بل للحكمة من ذكره فله دره ما أحسن بيانه (فتاوى ابن تيمية في الميزان ص ٣٢٨) .

٢٥-الأخذ من الكتب السابقة : (الاحتجاج بكتب أهل الكتاب والنقل عنها):

قال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث أخباراً بالله تقرؤونه لم يُشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُأْيُهُ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة : ٧٩] أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم مسألتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم (البخاري ٢٩١ / ٥) .

وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام) وبؤب في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) ونقل ابن حجر في (الفتح) خبر جابر أن عمر رضي الله تعالى عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأ عليه فغضب وقال : (لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحق فتكذبوا ويباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعي) رواه ابن أبي شيبة وتمام الكلام في فتح الباري .

وأما حديث : (حدثوا عني ولا حرج وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) (البخاري ١٠٧٦/٢) .

فلعل المراد حدثوا عن أخبار بني إسرائيل الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة ، أما النقل عن أخبارهم وكتبهم وعمن ينقل عنهم فليس في النص ما يجوز له لدخول الكذب والتحريف عليه بنص الكتاب والسنة .

قال ابن حجر : (لا حرج في الحديث عنهم) لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك ، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية وخشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن ، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار وذلك معنى قوله : (ولا حرج) وقيل : المراد لا حرج في أن لا تحدثوا عنهم (٣٤٠/٨) مفرقاً .

والحق الحذر من الرواية عنهم ، فعن بسر بن سعيد التابعي قال : اتقوا الله وتحفظوا من الحديث فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ﷺ ، ويحدثنا عن كعب ثم يقوم ، فاسمع بعض من كان معنا يجعل

حديث رسول الله ﷺ عن كعب ويجعل حديث كعب عن رسول الله ﷺ (سير
أعلام النبلاء ٦٠٦/٢) (البداية والنهاية ١٠٩/٨) .

وقال الشيخ ضياء الله المباركفوري في تقديمه كتاب العظمة الطافح
بالموضوعات : وتسرب الإسرائيليات إلى المسلمين ومبدأ دخولها في علومهم
أمر يرجع تاريخه إلى عهد الصحابة . . الخ .

جاءت نصوص عديدة في الدلالة على أن أهل الكتاب قد تلاعبوا بكتبهم
فغيروا الكلم عن مواضعه وزادوا ونقصوا وتعدد النسخ الموجودة من كتبهم
دليل . وأي دليل بعد كتاب الله تعالى .

أما ابن تيمية فقد اعتمد على التوراة الموجودة في زمانه في أمر العقيدة ،
فحين ينسب إلى الله وجهاً كوجه آدم « مما تقدم الكلام عليه » قال : وهذا أيضاً
عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتيوراة وأن في السفر الأول
منها (سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها) فتاوى ابن تيمية ص ٧٦ .

وزاد فقال : وقد علم أن التوراة مملوءة بأخبار الصفات التي يسميها النفاة
(هم المنزهون) تجسيمياً ، ومع ذلك فلم ينكر رسول الله ﷺ وأصحابه على
اليهود شيئاً من ذلك ولا قال هم مجسمون بل كان أحبار اليهود إذا ذكروا عند
النبي ﷺ شيئاً من الصفات أقرهم الرسول ، وذكر ما يصدقه كما في حديث
الحبر الذي ذكر له إمساك الرب للسموات والأرض المذكورين في تفسير قوله
تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [سورة الزمر : ٦٧] .

وقال ابن تيمية في (منهاج السنة ٢٥١/١) وقد علم أن التوراة مملوءة
بإثبات الصفات التي تسميها النفاة تجسيمياً ، ثم ادعى أن النبي ﷺ أقر اليهود
على ذلك « وليس كذلك » وقد تقدم ، ولكني أذكر هنا مفسدة حصلت
لإسماعيل بن كثير في متابعة شيخه ابن تيمية على هذا القول الشاذ المردود ،

حضر ابن كثير يوم الجمعة في شعبان ٧٢٦ عند قاضي القضاة جلال الدين القزويني صاحب (التلخيص) بعدما كان معتقلاً في حبس الشرع فادّعى عليه أنه قال : إن التوراة والإنجيل ما بدّلت وأنها بحالها كما أنزلت وشهدوا عليه وثبت ذلك في وجهه فعزر بالدرة في المجلس وأخرج وطيف به ونودي عليه هذا جزاء من قال أن التوراة والإنجيل ما بدّلت ، وبعد ذلك أطلقوه (نظرات في ترجمة ابن تيمية ص ٥٨) .

أقول : قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة : ٤١] أي يتأولونه على غير تأويله ويبدّلونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (مختصر ابن كثير ٥١٧/١) فهو هنا يقول : إنهم بدلوا التوراة ، ثم قال عند قوله تعالى ﴿يَقُولُونَ إِنَّ أُوتِيَتْهُمْ هَذَا فَخَدُّوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا﴾ [المائدة : ٤١] والصحيح أنها نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وكانوا قد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم فحرفوه واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة والتحميم والإركاب على حمار مقلوبين . الخ (مختصر ابن كثير ٥١٨/١) . والحمد لله ، فلعل تفسيره هذا جاء بعد محنته ، والله أعلم .

أقول : وواقع الأنجيل الكثيرة المختلفة في مسائل هامة تدل حقيقة على أنه لا وجود للإنجيل الأصلي الذي أنزل على سيدنا عيسى عليه السلام ، وأن الأنجيل الموجودة خلط فيها أصحابها ، وأكثرهم لم يجتمع بعيسى عليه السلام ، إنما هي كتب سيرة للرسول وفيها أوامر ووصايا مما اختاروا ، وقد تقدم الكلام على التوراة من قبل ، والله أعلم .

قال الشيخ الدكتور أحمد مسكة وهذا أيضاً قول شنيع بالتجسيم لأن اليهود مجسمة مشبهة كما هو مستفيض وقد ذكره ابن تيمية نفسه في الفتاوى فهم

يزعمون أن الرب سبحانه يبكي بالدموع ويندم وأنه ذو جوارح . إلى غير ذلك من مختلفاتهم ، فمن ادعى أن الدين الإسلامي الحنيف يوافقهم على ذلك فقد افترى على الدين ، ولم يبق لقوله سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] أي مضمون ، وأدهى من ذلك أن ابن تيمية يقول : كانوا إذا ذكروا عند النبي ﷺ شيئاً من ذلك أقرهم مما يوهم السامع أن ذلك كان يتكرر ويكثر وقوعه ويقرهم النبي ﷺ ؛ بينما الأمر يتعلق بحديث واحد ، ووجه الدلالة منه على إقرار الحبر على ما قال موضع بحث وخلاف بين العلماء كما سنرى إن شاء الله تعالى ، وليس فيه مطلقاً إقرار اليهود على تجسيمهم .

وأما قوله : إن النبي ﷺ لم ينكر على اليهود تجسيمهم ، فهو تضليل للسامع على عادة ابن تيمية ، وإلا فإن الشارع حكم على اليهود بالكفر وأنه مغضوب عليهم وأنهم كذبوا الرسل وقتلوهم وأنهم كذبوا على الله وعلى رسوله وأنهم حرّفوا كتب الله المنزلة على أنبيائهم ، وهذا يكفي في الردّ عليهم ، ولم يكن يتبغي تتبع عوار كلامهم وكفرياتهم كلمة كلمة لتكذيبها بخصوصها .

والحديث الذي أشار إليه ابن تيمية واستدل به ما رواه عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (جاء خبر إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع ، والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يقول بيده : أنا الملك فضحك النبي ﷺ وقال ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] البخاري في كتاب التفسير (٤٨١١) ومواقع أخر ، ومسلم زاد فيه فضيل بن عياض فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له) .

قال الحافظ الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات ٣٣٥) : بعد أن ساق روايات هذا الحديث وأسانيدها : أما المتقدمون من أصحابنا فإنهم لم يشتغلوا

بتأويل هذا الحديث ، وما جرى مجراه ، وإنما فهموا منه ومن أمثاله ما سيق من لأجله من إظهار قدرة الله تعالى وعظيم شأنه ، ثم ذكر أن أبا سليمان الخطابي (ت ٣٨٨) قال :

إن هذا الحديث وأمثاله من الصفات لا يجوز إثباته إلا بكتاب ناطق أو خبر مقطوع بصحته ، وقال الأصابع لم ترد في الكتاب ولا في السنة المقطوع بثبوتها ، ثم ذكر أن اليد ليست جارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع ، بل هي توقيف شرعي أطلقنا الاسم عليه على ما جاء به الكتاب من غير تكيف ولا تشبيه ، ثم ذكر الخطابي أن عبارة (تصديقاً له) لم يروها كثير ممن روى هذا الحديث عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، وقال الخطابي واليهود مشبهة وفيما يدعونونه منزلاً في التوراة ألفاظ تدخل في باب التشبيه ليس القول بها من مذاهب المسلمين ، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ما حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل الله من كتاب) يشير إلى رواية (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بما أنزل الله من كتاب) (فتح الباري ١٣ / ٣٣) .

والنبي ﷺ أولى الخلق بأن يكون قد استعمله مع هذا الخبر ، والدليل على صحة ذلك أنه لم ينطق بحرف تصديقاً له أو تكذيباً ، وإنما ظهر منه في ذلك الضحك المخيل للرضا مرة وللتعجب والإنكار أخرى .

وقول من قال من الرواة (تصديقاً لقول الخبر) ظن وحسبان والأمر فيه ضعيف ، فلا استدلال بالتبسم والضحك على مثل هذا الأمر الجسيم قدره الجليل خطره غير سائغ ، ثم خلص إلى أن ضحكه ﷺ إنما كان على معنى التعجب منه والنكير له .

وذكر الحافظ في الفتح (١٧٠ / ١٧) كلام الخطابي هذا ثم قال : تعقب

بعضهم إنكار ورود الأصابع لوروده في عدة أحاديث كالذي أخرجه مسلم (إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) ولا يرد عليه لأنه إنما نفى القطع وقال القرطبي في (المفهم شرح مسلم) : هذا كله قول اليهودي ، وهم يقصدون التجسيم ، وأن الله تعالى شخص أو له جوارح كما يعتقد غلاة المشبهين من هذه الأمة ، وضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ، ولهذا قرأ عند ذلك ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٧] أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه ، فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة ، وأما ما زاد (تصديقاً له) فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة ، لأن النبي ﷺ لا يصدق المحال ، وهذه الأوصاف في حق الله تعالى محال ، إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منا ، فيجب عليه الافتقار والحدوث والنقص والعجز مما يجب لنا .

ثم لو سلمنا أن النبي ﷺ صرح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقاً له في المعنى ، بل في اللفظ الذي نقله من كتابه عن نبيه ، ونقطع بأن ظاهره غير مراد . اهـ .

وقال البيهقي في (الأسماء والصفات ١ / ٣٣٩) قال أبو الحسن علي بن مهدي الطبري رحمه الله تعالى : إنا لا ننكر هذا الحديث ولا نبطله لصحة سنده ، لكن ليس فيه أن يجعل ذلك على إصبع نفسه وإنما فيه أن يجعل ذلك على إصبع فيحتمل أنه أراد إصبعاً من أصابع خلقه ، قال وإذا لم يكن ذلك في الخبر لم يجب أن نجعل لله تعالى إصبعاً .

وبهذا نرى ما في كلام ابن تيمية وقطعه بتصديق النبي ﷺ لليهودي وإقرارهم على تجسيمهم ، فإن الخبر أولاً لم يقل الإصبع مضاف إلى الرحمن والنبي ﷺ لم يصدقه بكلمة واحدة ، وإنما ضحك وتلا الآية الصريحة في أن

اليهود لم يعرفوا الله ولم يعظموه حق معرفته وعظمته ، فالإصبع في إضافتها احتمال ، واحتمال والضحك في مغزاه احتمال واحتمال .

ثم إن الآية كافية في الرد على اليهود وتفنيد مزاعمهم ولو كان النبي ﷺ صرح بأن المولى تعالى يضع ذلك على إصبع ، ثم تلا الآية لكان ذلك واضحاً في أن هذا الوصف الوارد صحيح ، وأن اعتقاد اليهود من ذلك التجسيم غير صحيح وغير لائق به تعالى فذلك قوله في آخر الآية ﴿ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ١] فوصفهم بالشرك لأنهم إنما يعبدون وثناً ذا جسم وجوارح ، وما كان كذلك فليس هو الإله المعبود ، بل شريك عبده عابدوه من دون الله تعالى (فتاوى ابن تيمية في الميزان ص ١٨٦-١٩٢) .

ثم إن ابن تيمية ينقل عن الإنجيل المحرف والموزع على (٤٤) نسخة يخالف بعضها بعضاً ما هو أساس في العقيدة وذلك مما فيه تشبيه الله تعالى بخلقه ووجوده في مكان :

قال في فتاواه (٤٠٩/٤) فيقول : وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال : (لا تحلفوا بالسماء فإنها كرسي الله ، وقال للحواريين : إن أنتم غفرتم للناس فإن أباكم الذي في السماء يغفر لكم كلكم انظروا إلى طير السماء فإنهن لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن من الهواء وأبوكم الذي في السماء هو الذي يرزقهم) والإنجيل كما تقدم هو كلام الله تعالى وليس كلام البشر . والعجب أنه ينقل عنهم هذا ناسياً ما قال الله تعالى في بني إسرائيل من تحريف الكلام عن مواضعه ، واتخاذهم عيسى عليه السلام إلهاً مع الله تعالى ونسبة الولد إليه جل جلاله .

جاء في التوراة المحرفة . . فتضرع موسى أمام الرب إلهه وقال : لماذا يارب يحمي غضبك على شعبك . . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر

بشعبك ، اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين خلقت لهم بنفسك وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد فندم الرب على الشر الذي قال عنه أنه يفعله بشعبه (سفر الخروج ٣٢/١٢-١٤) فالله عندهم يحمي غضبه كالبشر ، وأنه يفعل الشر ، وأنه يندم .. ؟ ! .

وجاء فيه فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذته فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعة معه وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر ! فقال : لا أطلقك إن لم تباركني ، فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله تعالى والناس وقدرت ، وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمي ، وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان فثبيل : قائلاً لأنني نظرت إلى الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي (سفر التكوين ٣٢/٢٤-٣١) .

فالله تعالى عند اليهود جسم يغالب من الإنسان حتى يغلبه الإنسان ، فبالله عليك هل يكفر مسلم فضلاً عن العالم أن ينقل شيئاً من كتب أهل الكتاب إلاّ تكديباً ؟

قال الله تعالى على لسان سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَارًا شَقِيًّا ۖ ﴾ [سورة مريم : ٣٠/٣١-٣٢] .

قال الحبر الذي أسلم (عبد الحق الإسلامي المغربي) في بيان تجسيم اليهود وشركهم بالله تعالى :

اعلم وفقنا الله وإياك أن في توراتهم ما نصه « ذكر عبارة توراتهم » شرحه وقال الله : إصنع بني آدم كصورتنا تشبهنا (وفي هذا تجسيم لا يحتاج إلى تأويل لأنهم جعلوا لله صورة وتشبيهاً ، والله منزّه عن النظائر والأشباه سبحانه عما يقول الظالمون علواً كبيراً) وهذا أقرب ما عندهم من الكفر لأنهم ربما قالوا أن الإضافة في ذلك إضافة ملك كقوله : (هذا عمل الله وهذا خلق الله) وفي هذا من التكلف ما لا يخفى على ذي عقل لاسيما في قولهم (تشبهنا) فإن التأويل فيها بعيداً جداً ، ولكن سيأتي ما هو أشع وأقبح وأفضح يدل على أن توراتهم التي بأيديهم مبدلة « دمرهم الله تعالى ولعنهم » ومما في توراتهم المبدلة نسبتهم الندم إلى الله تعالى ونصهم في ذلك (ذكر عبارة التوراة بلغتهم) ثم قال وشرحه وندم الله الذي خلق آدميين على الأرض وتغير في قلبه . .

والثاني : نفي العلم عنه سبحانه ، والله عز وجل عالم بالأشياء قبل وقوعها وقيل كونها وتصويرها . والثالث : قولهم أن الله قلباً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ونسبوا إلى الله تعالى شم الرائحة . . ويزعمون أن الله تعالى هبط إلى الأرض .

وقال فصل يذكر فيه أنهم ينسبون للجليل جل جلاله أبناء وبنين وزوجة تعالى الله مولانا عن ذلك ، ونقل عبارتهم ثم قال شرحه : وتقولون هكذا الله أين بكري إسرائيل ثم ذكر نص الزوجة ، وأنه تعالى أبغض زوجة وطلقها ، عن (الحسام الممدود في الرد على اليهود للشيخ عبد الحق الإسلامي المغربي من أخبار اليهود بسبّة الذين منّ الله عليهم بالإسلام) تحقيق وتعليق الزميل الفاضل

الدكتور عمر توفيق الداعوق ص (١٤٢-١٥٤) .

وقال في ص ١٧٥ (وقرأ تعليقاً ص ١٤٣) اعلم أن اليهود لعنهم الله تعالى زعموا أن التوراة التي بأيديهم هي المنزلّة على موسى عليه السلام وفيها ما أسرده الآن من سب الأنبياء ونسبة الفواحش إليهم مما لا يخطر ببال ولا يعبر عنه مقال ، ولا يتوهم على حال . . ثم قال فأقول إنهم وقعوا في نبي الله لوط عليه السلام وقالوا أنه شرب الخمر وسكر ووقع على بناته وحملن منه وتزايد له منهن إبنان أحدهما اسمه عمنون واسم الآخر موآب . . ومما وقعوا فيه أيضاً أن قالوا أن يهوذا بن يعقوب عليهما السلام ضاجع كتته تامرا وتزايد له منها ولدان اسم أحدهما بارس واسم الآخر زيرح وينسبون لبارس داود عليه السلام ولزيرح كثيراً من الأنبياء . . وهذا كالذي قبله أفحش منه ، والنص عندهم في ذلك مشهور . .

ومما وقعوا فيه أيضاً أن قالوا في عمران والد موسى عليه السلام أنه واقع عمته أخت أبيه ، وتزايد له منها موسى وهارون ومريم . . ومما وقعوا فيه أيضاً أنهم نسبوا لموسى وهارون عليهما السلام في توراتهم أنهما لم يؤمنا بالله تعالى ، تعالى الله عن قولهم ، ونصهم في ذلك (وأورد عبارة التوراة بلغة التوراة) ثم قال شرحه ، وقال الله لموسى وهارون : كما أنكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني فيما بين بني إسرائيل لا تدخلون مع هذا الشعب الأرض التي وعدتهم بها يعنون أن بلاد الشام عظيمة ، لذا لم يدفنا فيها بل دفنا في التيه مع العصاة . .

وقالوا ما ترجمته : وغضب الله على بني إسرائيل لما عبدوا العجل الذي صنعه هارون وهذا في الكفر كالذي قبله ، ومما وقعوا فيه الدعاء على المسلمين وعلى ملوكهم وعلى كل من ليس منهم ، قالوا ما ترجمته : الخارجون عن ديننا لا يكون لهم رجاء وغير المعتقدين بديننا في طرفه عين

بيادون وجميع أعدائنا الباغضون لنا في الحين يفنون ، والمملكة القاهرة لنا بأسرها وفي أيامنا ، الله اكسر الأعداء واهزم الأوقاح ص ١٨٨ وقرأ ص ١٧٢ تعليقا .

قال السيد رشيد رضا إن الركن الأول والأعظم من هذه الأركان هو الإيمان بالله تعالى قد ضل فيه جميع الأقوام والأمم ، حتى أقربهم عهداً بالرسول ، فاليهود على حفظهم لأصل عقيدة التوحيد قد غلب عليهم التشبيه ، وغاب أن يجمعوا بين النصوص المتشابهة في صفات الله تعالى وبين عقيدة التنزيه ، وقد جعلوا الله كالإنسان يتعب ويندم على ما فعله كخلقه الإنسان لأنه لم يكن يعلم أنه سيكون مثله أو مثل الآلهة ، وزعموا أنه كان يظهر في شكل إنسان حتى أنه صارع إسرائيل ولم يقدر على التفلت منه حتى باركه فأطلقه وعبدوا بعلاً وغيره من الأصنام (الوحي المحمدي ص ١٤٦) .

قال أحد المعاصرين : فترون أنه يثبت منشأ ضلال اليهود هو كونهم عجزوا عن الجمع بين النصوص المتشابهة وبين عقيدة التنزيه ، وهذا الأمر عينه هو الذي وقعت فيه المجسمة الحشوية فإنهم عجزوا عن ذلك بل أدخلوا إلى الأخذ بالآيات المتشابهة وتركوا الأخذ بالآيات المحكمة ، ولم يجمعوا بينهما بما يجعل الإنسان يفهم مقاصد تلك الآيات المتشابهة بناء على ما فهم من الكلام العربي من حيث أنه يعبر تارة عن المراد بطريقة الحقيقة ويعبر عنه بطريقة المجاز .

٢٦- عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

العصمة لغة : الاكتساب والمنع والوقاية ، يقال : عصم أي اكتسب ومنع ووقى كما جاء في (بصائر ذوي التمييز للفيروزابادي) قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ - لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ - وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ

هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

قال أبو البقاء العصمة : عدم قدرة المعصية ، أو هي خلق مانع غير ملجئ ، ومعنى قول أبي منصور الماتريدي رحمه الله تعالى : إنها لا تجبر على الطاعة ولا يعجزه عن المعصية ، بل هو لطف من الله يحمل العبد على فعل الخير ويزجره عن فعل الشر مع بقاء الاختيار تحقيقاً للابتلاء .

قال عبد القاهر البغدادي : أجمع أصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة من الذنوب كلها (الفرق بين الفرق ص ١٦٧) .

وقال الإمام أبو حنيفة في (الفقه الأكبر) : والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون منزهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقباح ، قال علي القاري في شرح الفقه الأكبر وفي شرح العقائد إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكذب ، خصوصاً فيما يتعلق بأمر الشرع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمة ، أما عمداً فبالإجماع وأما سهواً فعند الأكثر ، وفي عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو أنهم معصومون من الكفر قبل الوحي وبعده بالإجماع ، وكذا تعدد الكبائر عند الجمهور خلافاً للحشوية وأما سهواً فجوزوه الأكثرون (ص ١٧٢) وانظر للتفصيل : شرح جوهرة التوحيد ؛ للفاضل الشيخ عبد الكريم تتان .

أما ابن تيمية فقد جوز أن يختار الله تعالى نبياً من بين المشركين ، قال في فتاويه (٣٠ / ١٥) التحقيق أن الله تعالى إنما يصطفي للرسالة من قد كان من خيار قومه حتى في النسب . . ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم ، وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع . . الخ .

قال الشيخ الدكتور أحمد مسكة بعد كلام : وكون الرسول لا يعرف

رسالات من قبله لا يعني أنه يكون مشركاً ، فقد ألهم الله تعالى أقواماً الأديان دون أن يكونوا أنبياء « مثل زيد بن عمر بن نفيل ، وورقة بن نوفل » وقد استدل ابن تيمية لما يقول ما جاء في حق سيدنا شعيب عليه السلام ﴿ قَالِ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَةٍ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [سورة الأعراف : ٨٨] ، قال ابن كثير « تلميذ ابن تيمية » : ﴿ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] هذا خبر من الله تعالى عما واجهت به الكفار نبيه شعيباً ومن معه من المؤمنين وتوعدهم إياه ومن معه بالنفي عن القرية أو الإكراه على الرجوع في ملتهم والدخول معهم فيما هم فيه ، وهذا خطاب مع الرسول والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة (مختصر ابن كثير ٣٦ / ٢) .

وقال العلامة القرطبي ﴿ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] أو لتعودن في ملتنا أي لتصيرن إلى ملتنا ، وقيل كان أتباع شعيب قبل الإيمان به على الكفر أو لتعودن إلينا كما كنتم من قبل ، قال الزجاج : يجوز أن يكون العود بمعنى الابتداء ، يقال : عاد إلي من فلان مكروه أي صار وإن لم يكن سبقه مكروه من قبل أي لحقني منه (٢٥٠ / ٧) .

أقول : لم يكن رسولنا ﷺ على الكفر قط ، ومع ذلك فحين خاطب قريشاً بعد الفتح بقوله ﷺ : (ما ترون أني فاعل بكم ؟) قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : (اذهبوا فأنتم الطلقاء) لم يقل لهم ما كنت أخاً لكم قط ولم أكن ابن أخ قط فأنتم مشركون ، لقد أراد أخوة النسب لا المعتقد ، وشعيب عليه السلام كان فرداً من قومه ، ولم يكن على دين قومه يوماً لوجوب العصمة له والله أعلم .

١- قال القاضي عياض في (الشفا في حقوق المصطفى ﷺ) تحقيق الأستاذ عبده علي كوشك ص ٦٢٣ (فصل في عصمة الأنبياء قبل النبوة من

الجهل بالله تعالى وصفاته) ثم قال : وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم من هذه النقيصة ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنواع المعارف ونفحات السعادة كما نبهنا عليها في الباب الثاني من القسم الأول (ص ٤٩٢ . وقال : لم ينقل عن أحد من أهل الأخبار أن أحداً نُبئ وأصْطُفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك . ومستند هذا الباب النقل ثم قال : ولو كان هذا لكانوا بذلك متبادرين وبتلونه في معبوده محتجين ، ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد من قبل آبائهم من قبل ، ففي إطباقهم عن الإعراض عنه دليل على أنهم لم يجدوا سبيلاً إليه إذ لو كان لنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة . ثم قال وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ [الأحزاب : ٧] . وقوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴾ [آل عمران : ٨١] . قال فطهره الله تعالى في الميثاق (١٤٧ أ) وبعيد أن يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالإيمان به ونصرته قبل مولده بدهور ، ويجوز عليه الشرك أو غيره ، وهذا لا يجوز إلا ملحد هذا معنى كلامه . اهـ (ص ٦٢٤ ، ٦٢٥) .

٢- قال العلامة فخر الرازي (ضياء الدين عمر) في قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٩] قال : تدل الآية أنه عليه السلام كان على ملتهم التي هي الكفر فهذا يقتضي أنه عليه السلام كان كافراً قبل ذلك ، وذلك في غاية الفساد وقوله ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٨٩] تدل أيضاً على هذا المعنى والجواب من وجوه :

الأول : أن أتباع شعيب كانوا قبل دخوله في دينه كفاراً فخاطبوا شعيباً بخطاب أتباعه وأجروا عليه أحكامهم .

الثاني : أن رؤساءهم قالوا ذلك على وجه التلبيس على العوام يوهمون أنه كان منهم ، وأن شعيباً ذكر جوابه على وفق الإيهام .

الثالث : أن شعيباً في أول أمره كان يخفي دينه ومذهبه فتوهموا أنه كان على دين قومه .

الرابع : لا يبعد أن يقال أن شعيباً كان على شريعتهم ثم أنه تعالى نسخ تلك الشريعة بالوحي الذي أوحاه إليه .

الخامس : المراد من قوله تعالى ﴿ أَوَلْتَعُوذُنَ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] أي لتصيرن إلى ملتنا فوق العود بمعنى الابتداء ، تقول العرب (قد عاد إلي مكر فلان) ويريدون قد صار إلي المكر منه ابتداء ، قال الشاعر :

فإن تكن الأيام أحسن مدة إلي فقد عادت لهن علي ذنوب
أراد قد صارت لهن ذنوب ، ولم يرد أن ذنباً كانت لهن قبل الإحسان
(٢٦٠ / ٤) : قال العلامة أبو حيان : أن شعيباً لم يكن في ملتهم قط لكن أتباعه كانوا فيها . وأجيب عن هذا بوجه . أحدها : أن يراد بعود شعيب في الملة حال سكوته عنهم قبل أن يبعث لا حالة الضلال فإنه كان يخفي دينه إلى أن أوحى الله إليه ، الثاني : أن يكون من باب تغليب حكم الجماعة على الواحد لما عطفوا أتباعه على ضميره في الإخراج سحبوا عليه حكمهم في العود وإن كان شعيب بريئاً مما كان عليه أتباعه قبل الإيمان ، الثالث : أن رؤساءهم قالوا ذلك على سبيل التلبيس على العامة والإيهام أنه كان منهم (٧٥٤ ، ٣٤٥ / ٤) ، (٣٤٢ / ٤) .

٣- وقال العلامة محمود الألوسي رحمه الله تعالى قوله تعالى ﴿أَوَلْتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ [الأعراف : ٨٨] وهذا مما لا يمكن في حق شعيب عليه السلام لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون عما دون الكفر بمراتب . نعم هو ممكن في حق من آمن به فإسناده إليه عليه السلام من باب التغليب . . ثم قال : قيل هذا القول ﴿أَوَلْتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ [الأعراف : ٨٨] كان جارياً على ظنهم أنه عليه السلام كان في ملتهم لسكوته قبل البعثة عن الإنكار عليهم ، أو أنه صدر عن رؤسائهم تليساً على الناس وإيهاماً أنه كان على دينهم وما صدر عنه عليه السلام في أثناء المحاورة وقع على طريق المشاكلة . وذكر الشهاب احتمالاً آخر في الجواب وهو أن الظاهر أن العود هو المقابل للخروج إلى ما خرج منه وهو القرية ، والجار والمجرور في موضع الحال أي ليكن منكم الخروج من قريتنا أو العود إليها كائنين في ملتنا فينحل الإشكال من غير حاجة إلى ما تقدم ولا يخفى بعده (٣٠٢/٩) وفاته (١٢٧٠) .

٤- وقال ابن كثير تلميذ ابن تيمية عند قوله تعالى ﴿أَوَلْتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ [الأعراف : ٨٨] : هذا خطاب مع الرسول عليه السلام والمراد أتباعه الذين كانوا معه على الملة (٢٣٢/٢) وفاته (٧٧٤) .

٥- وقال العلامة سليمان عمر الشهير بالجمل ﴿أَوَلْتَعُوذَنَّ فِي مِلَّتِنَا...﴾ إن شعيباً لم يكن في ملتهم أي لم يكن تلبس بها في ما مضى قط حتى تصح نسبة العود إليه . . قال : واستشكلوا على كونها (عاد) بمعناها الأصلي أن شعيباً عليه السلام لم يكن قط على دينهم ولا في ملتهم فكيف يحسن أن يقال : لتعودن أي لترجعن إلى حالتكم الأولى والخطاب له ولأتباعه ، وقد أجيب عن ذلك بثلاثة أوجه :

أحدها : أن هذا القول من رؤسائهم قصدوا به التلبس على العوام والإيهام لهم أنه كان على دينهم وعلى ملتهم .

والثاني : أن يراد بعوده رجوعه إلى حالته قبل البعثة من السكوت ، لأنه قبل أن يبعث إليهم كان يخفي إيمانه وهو ساكت عنهم برىء من معبوداتهم غير الله تعالى .

الثالث : تغليب الجماعة على الواحد لأنهم لما أصبحوه مع قومه في الإخراج سحبوا عليه وعليهم حكم العود إلى الملة تغليبا لهم عليه ، وأما إذا جعلناها (عدتم) بمعنى (صار) فلا إشكال في ذلك ، إذ المعنى لتصيرن في ملتنا بعد أن لم تكونوا في ملتنا . حال على الأول خبر على الثاني وعدي بفي ؛ في : ﴿ فِي مِلَّتِنَا ﴾ تنبيهاً على أن الملة صارت لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم . (١٦٥ / ٢) (١٢٠٤) .

٥- وقال العلامة إسماعيل حقي رحمه الله تعالى ﴿ لَتَعُودَنَّ . ﴾ العود : هو الرجوع إلى الحالة الأولى . والمعلوم أن شعبياً لم يكن على دينهم وملتهم قط لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر . الخ (سورة الأعراف) (٧٤٦ / ٢) .

١- وقال الشيخ الأستاذ عبد الكريم تتان حفظه الله في شرح جوهرة التوحيد : إن ما وقع عليه إجماع المسلمين ولا يصح أن يكون في عقود الأنبياء سواء : إن ما تعلق بالعقيدة بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والإيمان به وبما أوصى به فعلى غاية المعرفة ، ووضوح العلم واليقين لا يشاب بشيء من جهل أو شك أو ريبة ، والعصمة في كل ما يضاد هذه المعرفة وذاك اليقين (٧٣١ / ٢) .

٢- وجاء في شرح العقيدة الطحاوية للشيخ العلامة أحمد القونوي ، ثم اتفق المسلمون على أن الأنبياء معصومون عن الكفر قبل الرسالة وبعدها (ق ٣٤) .

٣- وقال الإمام الأعظم في (الفقه الأكبر) : والأنبياء عليهم الصلاة والسلام منزّهون عن الصغائر والكبائر والكفر والقبايح (شرح الفقه الأكبر ص ١٦٩) .

٢٧- قال الله تعالى ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ [يوسف : ١١٠] .

قال العلامة القرطبي عند قوله تعالى ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ [يوسف : ١١٠] : وهذه الآية فيها تنزيه الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم وهذا الباب عظيم وخطره جسيم ينبغي الوقوف عليه لئلا يزل الإنسان في سواء الجحيم ، والمعنى وما أرسلنا قبلك يا محمد إلّا رجالاً ولم نعاقب أممهم بالعذاب ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ [يوسف : ١١٠] أي يثسوا من إيمان قومهم ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ [يوسف : ١١٠] بالتشديد أي أيقنوا أن قومهم كذبوهم ، وقيل المعنى حسبوا أن من آمن بهم من قومهم كذبوهم لأن القوم كذبوا ، ولكن الأنبياء حسبوا أنهم يكذبونهم أي خافوا أن يدخل قلوب أتباعهم الشك . . وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ظن الرسل أن الله أخلف وعدهم وقيل لم تصح هذه الرواية . . الخ (٢٧٩ / ٩) .

وقال ابن كثير تلميذ ابن تيمية قال البخاري عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ قال ، قلت : أكذبوا أم كُذِّبوا ؟ قالت عائشة كذبوا ، قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ، قالت : أجل لعمرى لقد استيقنوا بذلك فقلت لها : ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾ قالت : معاذ الله لم تكن الرسل تظن بذلك بربها ، قلت فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر ﴿ حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ ﴾ ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم

جاءهم نصر الله عند ذلك . . الخ (مختصر ابن كثير ٢/ ٢٦٦) .

أما ابن تيمية فقد حمل آية ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾ أي شكوا فيما أتاهم من ربهم ، وعزا ذلك إلى ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، وقال أن ظاهر الكلام معه . تقدم أنه لا يصح ذلك من قول ابن عباس . . ! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢٨- قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] .

قال ابن كثير تلميذ ابن تيمية : قد ذكر كثير من المفسرين ههنا (قصة الغرائق) وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظناً منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، وخلاصتها عن سعيد بن جبير « التابعي » قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ [النجم : ١] فلما بلغ هذا الموضع ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلَتْ وَالْعُرَى ۝ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَى ﴾ [النجم : ١٩-٢٠] قال : فألقى الشيطان على لسانه (تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى) قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج : ٥٢] وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم . (مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٠) .

وقد ساقها البغوي في تفسيره ثم سأل ههنا سؤالاً : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى برسوله صلاة الله وسلامه عليه ! ثم حكى أجوبة عن الناس من ألطفها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهموا أنه صدر عن رسول الله ﷺ ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من

صنيع الشيطان ، لا عن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم .

وقال العلامة القرطبي : إن الأمة أجمعت فيما طريقه البلاغ أنه معصوم من الإخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً ، أعلم أكرمك الله تعالى أن لنا في الكلام على شكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه :

أما المأخذ الأول : فيكيفك أن هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه بسند سليم متصل ثقة وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، قال أبو بكر البزار : وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره ، إلا ما رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ، الشك في الحديث أن النبي ﷺ بمكة ، وذكر القصة ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره مرسلة عن سعيد بن جبير ، وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين لك أبو بكر رحمه الله تعالى أنه لا يعرف عن طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما فيه من وقوع الشك فيه الذي ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقته معه ، وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية به ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار رحمه الله تعالى ، والذي منه في الصحيح أن النبي ﷺ قرأ ﴿ وَالنَّجْمِ ﴾ بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا ، هذا توهينه عن طريق النقل .

وأما المأخذ الثاني : فهو مبني على تسليم الحديث لو صح ، وقد أعاذنا الله من صحته ، لكن على كل حال فقد أجاب أئمة المسلمين عنه بأجوبة منها لغث والسمين ، والذي يظهر ويترجح في تأويله « على تسليمه » أن النبي ﷺ كان أمره ربه أن يرتل القرآن ترتيلاً ويفصل الآي تفصيلاً من قراءته كما رواه

الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكياً نغمة النبي ﷺ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار ، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها ، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله تعالى ، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيها ما عرف منه ، فيكون ما روي من حزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة سبب الفتنة ، وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج : ٥٢] الآية (الشفا للقاضي عياض ١١٦/٢) (القرطبي ٨٢/١٢) .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره هذه الرواية « رواية الغرائق » باطلة موضوعة عند أهل التحقيق واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول ، أما القرآن فمن وجوه قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ - ٤٦] ، وقوله ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [يونس : ١٥] وقوله ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٦﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم : ٢-٣] ، وقوله ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيََا إِلَيْكَ لَيَفْتِنَا عَنِّي وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خِيَلًا ﴾ [الإسراء : ٧٣] وكلمة (لولا) تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدلّ على أن ذلك القليل لم يحصل .

وأما السنة فهي ما روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال : هذا من وضع الزنادقة وصنفت فيه كتاباً ، وأما المعقول فمن وجوه : - أن من جوز على رسول الله ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر لأنه من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان - إن معاداتهم كانت أعظم أن يقرروا بهذا القدر دون أن يقفوا على حقيقة الأمر فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقة لهم - قوله تعالى ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج : ٥٢] وذلك لأن إحكام الآيات بإزالة

ما يلقي الشيطان عن الرسول ﷺ من نسخه بهذه الآيات التي تبقي الشبهة ، فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآنا ، فإن يمنع الشيطان من ذلك أولى . . الخ وهو أقوى الوجوه .

إنا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ويبطل قوله ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَلْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَغَتْ رَسُولُكَ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ [المائدة : ٦٧] فإنه لا فرق في العقل بين نقصان الوحي وبين الزيادة فيه عن (محاسن التأويل للقاسمي ٢/ ٣٦٠) الخ .

روى البخاري عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم فسجد بها فما بقي أحد من القوم إلا سجد ، فأخذ رجل من القوم كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال : يكفيني هذا فلقد رأيته بعد ، قتل كافراً (أبواب سجود القرآن) .

قال أحد المعاصرين : إن المشركين أخذوا بروعة القرآن العظيم فلما رأوا رسول الله ﷺ سجد سجدوا معه وسقط في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله لوى زمامهم فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفناؤه ، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب ممن لم يحضروا ذلك المشهد من المشركين عند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير . . الخ (انظر الجامع في السيرة النبوية للأستاذة سميرة الزايد ١/ ١٤٩) .

قلت : ومما يدل على افتراء الخبر أن مشركي مكة والعرب لم يكن من معبوداتهم الغرائيق . والله أعلم .

وأما ابن تيمية فقال في قوله تعالى ﴿ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ... ﴾

[الحج : ٥٢] الآية ، والثاني وهو الذي عليه عامة السلف ومن اتبعهم أن الإلقاء في نفس التلاوة كما دلت عليه الآية وسياقها من غير وجه كما وردت الآثار المتعددة ، ولا محذور في ذلك إلا إذا أقر عليه فإذا نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته فلا محذور في ذلك وليس هو خطأ وغلط في تبليغ الرسالة إلا إذا أقر عليه ولا ريب أنه معصوم أن يقر على خطأ (١٥ / ١٩١) .

وذكر ابن الجوزي الحكاية المقولة ؛ قال الشيطان تلك المقولة على لسانه تلك الغرائيق ، ثم قال ، قال العلماء المحققون : وهذا لا يصح لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا ولو صح كان المعنى أن بعض شياطين الأنس قال تلك الكلمات . . الخ (زاد المسير ٥ / ٤٤١) .

وانظر الحاشية المفيدة على الزاد بطلان القصة جملة . وللشيخ ناصر الألباني (نصب المجانيق على خبر الغرائيق) بين فيها أن القصة باطلة وأنه لم يكن من رسول الله ﷺ قراءة تلك الكلمات ولا قرئت أثناء تلاوته بمثل صوته فظن العامة من تلاوته ، وذلك الحق بإذن الله تعالى . فابن تيمية لم يثبت في تأويله ولم يراجع الموضوع ، بل نسب قوله إلى السلف وما كل ما قاله أي رجل من السلف حجة وبرهان إلا أن تكون له بيّنة من أثر وإجماع .

٢٩- باب قول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبَا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا أَتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] :

قال ابن حزم اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو ، عبد الكعبة ، وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب ، وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشاهما آدم حملت فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعنني أو لأجعلن له قرن أيل فيخرج منه فيشقه ، ولأفعلن وأفعلن يخوفهما ؛ سمياه : عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ،

ثم حملت فأتاهما فذكر لهما ؛ فأدركما حب الولد فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [الأعراف : ١٩٠] رواه ابن أبي حاتم ، وله سند صحيح عن قتادة قال (شركاء في طاعته) ولم يكن في عبادته ، وله سند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿ لَيْنَ آتَيْنَا صَلَاحًا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] قال أشققا أن لا يكون إنسانا وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما (التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب مع فتح المجيد ص ٤٥٧) .

أقول : هذا الخبر ذكره ابن أبي حاتم في تفسير سورة الأعراف برقم ١٤٦٢ عن الحسن عن سمرة مرفوعاً ، وأخرجه الترمذي في التفسير وقال : حسن غريب وأحمد في (المسند ١١/٥) والحاكم وقال : صحيح الإسناد وأقره الذهبي (٥٤٥/٢) .

قال محقق تفسير ابن أبي حاتم استشكله جمع من أهل العلم حتى أنكر بعضهم هذه القصة منهم الرازي وأبو السعود وغيرهما ، قال الحسن : هذا في الكفار ، وقال ابن كثير ونحن مع الحسن رحمه الله تعالى في هذا السياق « أي سياق الآية » آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ، ولهذا قال تعالى ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٩٠] ثم قال فذكر آدم وحواء كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستعراض من ذكر الشخص إلى الجنس ، ويرى بعضهم أنه مأخوذ من أهل الكتاب تفسير ابن أبي حاتم (٧٢٦/٢) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَلاَحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩-١٩٠] قال ابن كثير بعد كلام : رواه أحمد في مسنده حدثنا عبد الصمد - ورواه ابن جرير . . عن عبد الصمد الترمذي . . عن عبد الصمد ورواه الحاكم عن عبد الصمد . وابن أبي الحاكم

عن عمر ابن إبراهيم .

ثم قال إن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه :

أحدها : أن عمر بن إبراهيم هو البصري وقد وثقه ابن معين . وقال ابن حاتم : لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه في تفسيره من حيث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً .

الثاني : أنه قد روى من قول سمرة ليس مرفوعاً كما قال ابن جرير .

الثالث : أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه . قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿ جَعَلَا لَمْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [الأعراف : ١٩٠] قال : كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم . وفي لفظ : أنه عنى بها آدم . وفي رواية عن قتادة عن الحسن : هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا . هذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير .

وقال بعد كلام : فهذا يدلُّك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ممن آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع ، والله أعلم .

وقال ابن عباس : روى هذا الأثر عن أبي بن كعب فالخبر أصله مأخوذ من أهل الكتاب الخ (ابن كثير ٦١٧/٢) أقول : والخبر مخالف عصمة الأنبياء فحقه الرد قطعاً . والله أعلم .

يقال : في رواية الترمذي عمر بن إبراهيم العبدي قال فيه أحمد : ثقة وهو يروي عن قتادة مناكير ، قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن عدي : يروي عن قتادة أشياء لا يوثق عليها . الخ ، ورواية الحاكم والترمذي

هنا عن عمر عن قتادة . . الخ .

وجاء في رواية أخرى برواية هشام بن سعد قال فيه الإمام أحمد : لم يكن بالحافظ ليس يُحكم الحديث ، قال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن حبان : كان ممن يقلب الأسانيد . . الخ (قال ابن كثير سورة الأعراف) .

أقول : بهذه الرواية غير الصحيحة يرمي محمد بن عبد الوهاب أبا البشر آدم عليه السلام بعد أن هبط إلى الأرض وأنزل عليه الهدى والنور ، يرميه بما يخالف العصمة المقررة للأنبياء عليهم السلام من الكبائر ، وقراءة الخبر تدل على أن القصة من وضع أخبار اليهود حبكت على سبيل حكاية تحكى للتندر وتنقيص الأنبياء كما هو شأن اليهود . . لفقت على لسان ترجمان القرآن ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وما كان أجدره أن يعلم ما قيل في رواة الخبر وأن يقرأ ما قاله ابن كثير تلميذ ابن تيمية فلا يقع في هذا الخطأ الكبير ، ويضل بذلك من يتبعه دون التحقيق مما يروي .

٢٨- خطأ يكلف المسلم شططاً إلى يومنا هذا :

روى ابن تيمية حديث العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت العيون ووجلت منها القلوب فقلنا : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال :

(أوصيكم بتقوى الله وعليناكم بالسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة ، وفي رواية فإن كل محدثة بدعة ، وفي رواية (وكل ضلالة في النار) انتهى كلام الشيخ مجموع الفتاوى (٣١ - ٣٦) .

قال الشيخ المحقق عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ، وقد أورد الشيخ في هذا الموضوع رواية (كل ضلالة في النار) على اعتبار الإقرار ، وجعلها من رواية حديث العرباض بن سارية ، وهذا وهم وسبق خاطر منه هنا ، فإنها عند النسائي مذكورة في حديث جابر كما تقدم ، ولم يذكرها أحد في حديث العرباض ممن خرج حديثه فيما وقفتُ عليه ، فقد أخرج الحديث أبو داود في سننه (١٣/١) في كتاب السنة (باب لزوم السنة) ، والترمذي في جامعه (٣١٩/٧) في أبواب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وابن ماجه في سننه (١٥/١) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، والدارمي في سننه (٤٣/١) باب اتباع السنة ، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٩٥/١) في كتاب العلم وابن حبان في صحيحه (١٠٤/١) في باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلاً وأمراً ، وأحمد في مسنده (١٢٦/٤) في سند العرباض بن سارية وابن عبد البر في (جامع بيان العلم ١٨١-١٨٦) في باب الحض على لزوم السنة والاقتصار عليها ، وابن نصر في السنة ص ٢١ ، والآجري في (الشريعة ص ٤٦) واللالكائي في كتاب السنة (٣٤-٢٦/١) وفي الجزء الثاني ص ٤٩٦ ، وكذلك أخرجه الحافظ ابن رجب في (جامع العلوم والحكم ص ٢٢٥) وفي الحديث الثامن والعشرين ، وقد ذكر من رواه من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، ورواه السيوطي في (جمع الجوامع ١٣٦/١) ورواه النبهاني في (الفتح الكبير ٤٦٤/١) .

وكل هؤلاء جميعاً لم يذكروا في رواياتهم من حديث العرباض (وكل ضلالة في النار) فيكون إيراد الشيخ ابن تيمية لها في روايات العرباض من سبق الخاطر ، ويكون إقراره لها على الاعتبار والإمرار من باب الاسترسال دون الوقوف عندها والتنبيه عليها والتمحيص لها والله أعلم (تحفة الأبرار) للإمام

للكنوي تعليق الشيخ (١٤٣-١٤٤) .

هذا سبق خطير من الشيخ وإنه يشكل على بعض الناس حين يسمعون من الخطباء إياهم في خطب الجمعة ، وفي الدروس هذه الجملة دون التحقق فيورث تبعاً لذلك بلبلة وسوء ظن في المسلمين من أولئك الذين لا يحدون عن العبارة لأنها رواية فلان ، وفلان هو فلان . .

أحمد بن تيمية :

أحمد بن عبد الحلیم بن الإمام مجد الدین عبد السلام بن تيمية ولد سنة (٦٦١) بحران ، هاجر به والده إلى دمشق سنة ٦٦٧ خوفاً من زحف المغول آنذاك واستقر بها حتى مات فيها محبوساً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ ودفن بمقبرة الصوفية . وموضعها الآن مستشفى الولادة بدمشق .

نشأ نشأة علمية فحفظ القرآن الكريم وحضر دروس المشايخ . وبرع في العلوم وفي الحفظ خاصة ، وقد أثنى عليه علماء عصره وشيوخه . وقد أخذ في التأليف من الحادية والعشرين من عمره وجمعت مؤلفاته في (٣٧) مجلدة وطبعت مراراً ولكن . . .

١ - بعد بلوغ الأربعين من عمره وانفراده عن شيوخه وتحصيله الوفير من العلوم والمعارف ودراسة النحل والآراء والفلسفة بدأ التغير في مسيرة حياته ، ففي شهر ربيع الأول سنة ٦٩٢ قام على ابن تيمية جماعة من الفقهاء بسبب فتواه لحموية وردوا عليها وعقدوا له مجلساً وبحثوا معه ، فدافع عنه الأمير جمال الدين الأفرم ولم يبلغهم فيه أرباباً ونودى في دمشق إبطال العقيدة الحموية وقد صنف في الرد عليه آنذاك العلامة الشهاب بن جهيل الشافعي من فقهاء لشام . قال ابن حجر : وكان هذا أول ما أنكروا عليه .

٢- وفي يوم الإثنين ٨ رجب سنة ٧٠٥ طلب القضاة والمفتون والفقهاء الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مجلس الأمير جمال الدين الأفرم نائب الشام المحروسة لورود مرسوم السلطان إلى النائب بامتحان ابن تيمية في عقيدته . . ولما ناقشه كمال الدين الزملكاني أشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب . ذكر هذا ابن شاكر الكتبي في (عيون التواريخ) .

٣- وفي يوم الخميس (٢٢) من رمضان سنة ٧٠٥ وصل القاضي نجم الدين والشيخ تقي الدين إلى الديار المصرية . وعقد المجلس في دار النيابة بحضور الأمير سيف الدين سلالر وأحضروا العلماء والأئمة والفقهاء الأربعة وحضر الأمير ركن الدين بيبرس فتكلم الشيخ شمس الدين ابن عدلان وادعى على الشيخ تقي الدين دعوة شرعية في أمر عقيدته ومما ادعاه عليه قوله : (إن الله فوق العرش حقيقة وأن كلامه تعالى حروف وأصوات) فعند ذلك قام الشيخ تقي الدين وحمد الله وأثنى عليه وتلجلج . . ثم قال : عند من هذه الدعوى ؟ فقالوا : عند القاضي زين الدين المالكي فقال : عدوي وعدو مذهبي فكرروا عليه القول مراراً ولم يزداهم على ذلك وطال الأمر فعند ذلك حكم القاضي المالكي باعتقاله على رد الجواب .

٤- قال الإمام علاء الدين الباجي : لما أحضروا ابن تيمية طُلبت من جملة من طُلب فجئته فلقيته يتكلم فلما حضرت قال : هذا شيخ البلاد فقلت : لا تُطرنني ما هنا إلا الحق وحاقفته على أربعة عشر موضعاً وغير ما كان كتبه بخطه فيما قال ، وانفصل الأمر على أن يكتب عليه محضر بأنه قال : أنا أشعري ثم كتب بخطه أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفاته القديمة وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت . وأن قوله ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾ [طه : ٥] يبنى على ظاهره ولا أعلم كنه المراد به بل لا يعلمه إلا الله -

والقول في النزول كالقول في الاستواء . كتبه أحمد ابن تيمية ثم شهدوا عليه أنه تاب مما ينافي ذلك مختاراً، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم وسكن الحال - وأُفرج عنه وسكن القاهرة (جامع الدرر ٩ / ١٥٠) الدرر الكامنة (١ / ١٥٧ - ١٥٨) الخ .

ولكثرة ما كان يقول من غرائبه ثم يرجع عنها بمحاضر العلماء والقضاة رأى العلماء الكتابة باعتقاله إلى حكام زمانهم حرصاً على عقيدة الأمة وخوفاً على العامة فحبس حتى مات في محبسه ليلة الإثنين العشرين من ذي العقدة وحضر جمع كثير إلى القلعة وغُسل وصُلي عليه في القلعة وأحضرت جنازته قبل الظهر إلى جامع بني أمية حيث صُلي عليه بعد الظهر غفر الله تعالى له ورحمه .

٥- وقام علماء عصره بتأليف رسائل فيما انفرد فيها بآراء فكتب قاضي القضاة الإمام بدر الدين عن جماعة وهو الذي حاكم ابن تيمية في مسألة التوسل والاستغاثة كتب في العقيدة : (إيضاح الدليل في الرد على أهل التعطيل) وكتب يرد عليه العقيدة أيضاً تقي الدين السبكي في مسألة فناء النار كتب : (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ورد عليه الشيخ أحمد بن جهبل رسالة في نفي الجهة . وكتب يرد عليه في الفقه الإمام السبكي (الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية وشفاء السقام ، والتحقيق في مسألة التعليق ، والنظر المحقق ونقد الاجتماع والافتراق) .

قال الأستاذ (إيداد غوج) من كلام : وكذلك رد عليه في تصانيف خاصة كثير من أهل العلم كالتقي السبكي والكمال ابن الزملكاني والشرف الزواوي - وعلاء الدين اليعقوبي والبرهاني الجعبري وأبي العباس السروجي وكمال الدين بن الشريشي والحافظ العلائي وابن جهبل وابن جملة والأخميمي برسالة طبعت أخيراً بعنوان (المنقذ من الزلل في العلم والعمل ، ورسالة في رد

مسألة حوادث لا أول لها) الحافظ ابن رجب الحنبلي الذي قال في ابن تيمية شيخه حيناً من الدهر ما قال [وكذلك كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض المسائل التي أنكرها السلف على من شذَّ بها حتى أن بعض قضاة العدل من أصحابنا منعه من الإفتاء ببعض ذلك] ذيل طبقات الحنابلة (٢ / ٣٩٤) كما كتب الإمام الاخواني والنور البكري - والتاج الفاكحاني وأبو سليمان داود بن عمر المالكي وغيرهم - فضلاً عن الذين نقدوه في تصانيفهم كالعلامة القونوي والتاج السبكي والفخر بن المعلم القرشي - والزين العراقي وقاسم ابن قطلوبغا وغيرهم في عصرهم وممن بعدهم كالإمام أحمد بن زروق والحافظ ابن حجر والإمام العسقلاني وغيرهم كثيرون (ص ٣٩) وقد ذكر الأستاذ لكل عالم ورد ذكره هنا ترجمة وجيزة لحياته .

ثم تتابع الناس يردون عليه برسائل خاصة أو في تضاعيف مصنفاتهم .

ولعل أول من جمع انفرادات ابن تيمية في كتاب هو الشيخ عبد العليم عويس في : (ابن تيمية ليس سلفياً) وجمع رداً على انفراداته في فتاويه الشيخ الدكتور أحمد محمد مسكه الشنقيطي حفظه الله تعالى تحت عنوان (فتاوى ابن تيمية في الميزان) ووقع في مجلد واحد .

واليوم وقد علا نجم ابن تيمية وطبعت مؤلفاته حتى ما لم يكن معروفاً عند العلماء من قبل وتبعه ويتبعه في أقواله وانفراداته، فحق أن يكتب العلماء وينشروا ما قال معاصروه في انفراداته وغرائبه بقصد إظهار الحق ونصرتة وحفظ عقيدة الأمة ، (لا إثارة للفتنة وتنقيصاً للعلماء) وحرصاً على وحدة الأمة ، لا تفرقها تطبيقاً لقول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] والله من وراء القصد . أقول أن أحمد ابن تيمية كان عابداً صالحاً عالماً متكلماً ولئن أنكر عليه انفراداته فما تنكر فضائله وما من

عالم مهما علا كعبه وعظم شأنه إلا هو عرضة للرد عليه غير رسول الله ﷺ كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى . والله أعلم .

ولينظر من شاء فيما ذكر من تصانيف ومصنفين وعلماء ، وكتب التراجم والسيرة والسيف الصقيل في الرد على ابن زفيل والفتح الرباني ، و (نظرات في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية ، بيان زغل العلم) للذهبي وغيرها . والله أعلم .

ومن حق أهل العلم أن يُشتكى إليهم أمر رجل قال في علماء عصر ابن تيمية وقضاته ومفتيه .

[ودارت المعارك بين شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ومعه ربه وبين حزب الشيطان ومعه الجماهير ورجال الدولة والرؤساء والسادة] فإن الرجل يدعي أن علماء عصره وقضاته وأئمة لم يكونوا علماء وفقهاء ولم يقوموا على صدق وإخلاص ولكن جماهير . . الخ . لقد مات الشيخ الفقي قائل هذه الجملة في القاهرة (١٣٠٩) نسأل الله تعالى أن يكون قد ألهمه التوبة والاستغفار لأولئك العلماء وأن يكون غفر له آمين .

وأحب أن أقول هنا ما قلته في تقديم (إيضاح الدليل وكلمة علمية في البدعة ، ومحق القول) أنه ليس المقصود بذكر هذه المسائل والجمل تمزيق كلمة المسلمين بل توحيدها ببيان الحق الذي يؤمن به عامة أهل السنة وإشهاره فيقبله من يقبله ، ويعذرنا في قولنا هذا من لا يقبله وليعلم أن لنا أدلة وبراهين لما نقول ، وليقل إن شاء ﴿ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُومُولِيَّاهُ ﴾ [البقرة : ١٤٨] .

وليس المقصود ذكر مثالب رجل أقبل على الله تعالى بعلمه ودينه ورجائه في الله .

ومما يؤسف له حقاً أن بعض طلاب العلم وشذاته يتلقفون كلام ابن تيمية وانفراداته وغرائبه ويجادلون بها أهل العلم ، بل وينكرون على أهل الحق بل ربما ضللوا وكفروا مخالفهم ، وينشرون تلك الكلمات وتعليقاتها في العامة وفي الخطب المنبرية وخطب المناسبات والرسائل والأشرطة ثم يوزعونها من كرم هنا وهناك . ثم يدفعون على هذا هدايا وأموالاً واللّهي كما قيل يحرك اللّهي وآثار ذلك في القلوب والمجتمعات ظاهرة لا تخفى ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ٥٩] .

خاتمة بنصيحة

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله تعالى :

وقد بينا في غير موضع أن الكائدين للإسلام كثير ، والمقصرون فيه كثير ، وأولياؤه والمشتغلون به قليل ، فمن كاده الباطنية ، وقد بينا جملة أحوالهم ، ومما كاده الظاهرية ، وهم طائفتان : إحداهما : المتبعون للظاهر في العقائد والأصول ، الثانية : المتبعون للظاهر في الأصول ، وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة ، فالولد من غير نكاح لغية ، والحية لا تلد إلا حية .

وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد هي في طرف التشبيه ، كالأولى في التعطيل ، وقد بُليت بهم في رحلتي - وتعرضوا كثيراً دون بغيتي ، وأكثر ما شاهدتهم في مصر والشام وبغداد .

يقولون : إن الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته ، وبمخلوقاته منا ، وهو معلمنا ، فإذا أخبرنا بأمر آمننا به كما أخبر واعتقدناه كما أمر .

وقالوا حين سمعوا قول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر : ٢٢] .

وقوله : ﴿ فَأَنَّى اللَّهُ بُنِينَهِمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] .

وخبر : « وينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا »^(١) . إنه يتحرك وينتقل

ويجيء ، ويذهب من موضع إلى موضع ، ولما سمعوا قوله : ﴿ الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] .

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

قالوا : إنه جالس عليه متصل به ، وإنه أكبر بأربع أصابع .

ولقد أخبرني جماعة من أهل السنة بمدينة السلام أنه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الصوفي من نيسابور فعقد مجلساً للذكر وحضر فيه كافة الخلق ، وقرأ القارئ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، قال لي : أخصّهم ، فرأيت - يعني - الحنابلة يقومون في أثناء المجلس ، ويقولون قاعد بأرفع صوت ، وأبعد مدى ، وثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري ، ومن أهل الحضرة وتناور الفتان وغلبت العامة ، فأحجروهم المدرسة النظامية ، وحصروهم فيها ، فرموهم بالنشاب ، فمات منهم قوم ؛ وركب زعيم الكفاة وبعض الداوية ، فسكنوا ثورتهم ، وأطفأوا ثورتهم .

وقالوا : إنه يتكلم بحرف وصوت ، وعزوه إلى أحمد بن حنبل ، وتعدى بهم الباطل إلى أن يقولوا : إن الحروف قديمة . وقالوا : إنه ذو يد وأصابع ، وساعد وذراع ، وخاصرة وساق ورجل يطأ بها حيث شاء ، وإنه يضحك ويمشي ويهرول .

وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد كان يقول إذا ذكر الله تعالى ، وما ورد من هذه الظواهر في صفاته يقول : ألزمني ما شئت فإني ألزمه إلا اللحية والعورة .

وانتهى بهم القول إلى أن يقولوا : إن أراد أحد أن يعلم الله فلينظر إلى نفسه ، فإنه الله بعينه ، إلا أن الله منزّه عن الآفات ، قديم لا أول له دائم لا يفنى ؛ لقول النبي ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » . وفي رواية : « على صورة الرحمن » ، وهي صحيحة^(١) ، فلهذا الوجه بعينه لا تنفيه ،

(١) والحق أنها ليست صحيحة ، وقد تقدم حديث الصورة .

ولا تتأوله إلى محاولات لا يرضى بها ذو نُهى .

وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو الفرج الحنبلي^(١) بدمشق ، وابن الرميلى^(٢) المحدث ببیت المقدس والقطرواني بنواحي نابلس ، والفاخوري بديار مصر ، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي لیلی الفراء ، وكل منهم ذو أتباع من العوام جمّاً غفيراً ، عصبة عَصِيّة عن الحق ، وعصبيّة على الخلق ، ولو كانت لهم أفهام ، ورزقوا معرفة بدين الإسلام لكان لهم من أنفسهم وازع ، ولكن الفدامة استولت عليهم ، فليس لهم قلوب يعقلون بها ، ولا أعين يبصرون بها ، ولا آذان يسمعون بها ، ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّهْمُ أَضَلُّ﴾ الأنعام: ١٧٩ .

ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفرائيني ، أنه خرج يوماً على أصحابه مسروراً فسألوه ، فقال : ناظرت اليوم عامياً ، فظهرت عليه ، فقيل له : وأنت تظهر على الأئمة ، فكيف تفرح بالظهور على العوام ؟ فقال : العالم يرده علمه وعقله ودينه ، والعامي لا يرده فهم ، ولا يردعه دين ، فغلبته نهضة نادرة .

ثم قال : عاصمة ... ثم نعطف العنان فنقول : قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة : ٢١٠] .

أنتم قد قلتم : إنه أكبر من العرش مقداراً كيف يشتمل عليه الغمام ، وكيف الحق مع الخلق يوم الفصل . أو يأتي البنيان ، وهو أكبر من العرش ؟ والعرش

(١) أبو الفرج الحنبلي غير عبد الرحمن بن الجوزي مؤلف «دفع شبه التشبيه» ، وأبو الفرج المحكي عنه هو عبد الواحد بن محمد ، أخذ الفقه عن أبي يعلى توفي سنة ٤٨٦ . انظر : «العبر» (٣/٣١٢) .

(٢) الرميلى هو مكّي بن عبد السلام ، استشهد بالقدس سنة ٤٩٢ ، انظر : «العبر» للذهبي (٣/٣٣٤) .

أكبر من السموات والأرض ؟

وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] .

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

ما العرش ؟ وما معنى استوى ، وينبغي أن تعلموا كلكم أنتم وهم قبل وبعد أن بناء (ظ ه ر) يفيد في العربية لكل شيء خرج من الخفاء ، والجهل إلى العلم ، كان من المحسوس يخفى على البصير والسمع وسائر الحواس ، أو من المعاني يخفى على العقل من أخذ الظاهر فيجعله في حدّ الباطن بتأويله له ، أو بحكم ظاهر على معنى هو خفي .

فلما قال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ، كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة معان : معنى الرحمن ، ومعنى العرش ، ومعنى استوى ، فأما الرحمن : فمعلوم لا خلاف فيه ، ولا كلام ، وأما العرش : فهو في العربية لمعان : فأياها تريدون ؟ وكذا استوى عليه ، يحتمل خمسة عشر معنى في اللغة ، فأياها تريدون ؟ أو أيها تدعون ظاهراً منها ؟ ولم قلت هاهنا ، المراد به مخلوق مخصوص ، فادعيتموه على العربية والشرعية ؟ ولم قلت أن معنى استوى قعد ؟ أو جلس ؟ فتحكمون باتصاله به ، ثم تقولون : إنه أكبر منه من غير دليل ظاهر ؟ ولم تكن عظيماً بقدر جسمي حتى تقولوا إنه أكثر أجزاء منه ، ثم تحكمكم بأنه أكبر منه بقدر أصابع تحكم لا معنى له ... إلخ^(١) .

قال العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي ، واعظ بغداد ، وصاحب (٢٥٠) مؤلفاً ، رحمه الله تعالى :

ورأيت في أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف

(١) « العواصم من القواصم » (٢ / ٢٨١ - ٢٨٨) .

ثلاثة ، أبو عبد الله بن حامد ، وصاحبه القاضي أبو ليلى ، وابن الزاغوني ،
فصنفوا كتباً شأنوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مراتب العوام فجعلوا
الصفات على مقتضى الحسن ، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم عليه الصلاة
والسلام على صورته فأثبتوا له صورة ، ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفماً
وخنصرأ وإبهامأ وصدراً وفخذأ وساقين ورجلين ، وقالوا : ما سمعنا بذكر
الرأس ، وقالوا يجوز أن يمس ويُمس ، ويدني العبد من ذاته ، وقال بعضهم :
ويتنفس .

ثم إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يُعقل .

وقد أخذوا بالظاهر من الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة
لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص
الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى ، ولا إلى إلغاء ما توجه
الظواهر من سمات الحدث .

ولم يقنعوا بأن يقولوا : (صفة فعل) ، حتى قالوا : (صفة ذات) ، ثم
لما أثبتوا أنها صفات ، قالوا : لانحملها على توجيه اللغة ، مثل (يد) : على
نعمته وقدرته ، ولا (مجيء وإتيان) على معنى بر ولطف ، ولا (ساق) على
شدة ، بل قالوا : نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من
نعوت الآدميين والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن ، فإن صرف صارف
حُمِلَ على المجاز .

ثم يتخرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ، ويقولون نحن أهل
السنة . وكلامهم صريح في التشبيه ، وقد تبعهم خلق من العوام .

وقد نصحت التابع والمتبوع ، فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل
واتباع ، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول ، وهو تحت

السياط : كيف أقول ما لم يُقل . فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ^(١) .

وقال الشيخ الفقيه الورع محمد بن أحمد بن البلبان ، في مقدمة كتابه « رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات » ، فإنك سألتني أرشدني الله وإياك ، عن أمر عَظَمَ في هذا الزمان خَطْبُهُ ، وَعَمَّ ضرُّهُ ، وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة الذين انتسبوا زوراً ، وبهتاناً إلى الحديث والفقه من اعتقاد ظاهر الآيات المتشابهة في أسماء الله تعالى وصفاته ، من غير تعرض لصرفها عما لا يليق بجلاله وكبريائه ، ويزعم أنه في ذلك متمسك بالكتاب والسنة ، سائر على طريق السلف الصالح ويشنع على من تعرض إلى شيء منها بصرفها عن ظاهرها إلى ما تعارف في عرف العرب الذين نزل القرآن بلغتهم ، وحيث سألتني عن ذلك ، ورغبت في إملاء شيء ، فلا بد من الإجابة على سبيل النصيحة لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ^(٢) .

أقول : ليتنا نحن طلاب العلم نجتمع على ما قاله السلف الصالح في حق الله تعالى وصفاته من التفويض ، وتنزيه الله تعالى عن مشابهة أحد من خلقه أو مشابهة أحد من خلقه له سبحانه .

فذلك الحق المبين الذي جرى عليه بعد رسول الله ﷺ أصحابه والتابعون وتابعوهم من أهل العلم والبر والتقوى . وإذا اضطررنا الحاجة والضرورة إلى شيء من التأويل قلنا به وفق ما قال السلف الصالح وعلى الشروط التي نقلناها عنهم رضوان الله عليهم في التأويل .

ثم إذا اختلفنا في شيء لا يتحقق الدليل القطعي معنا بل هو الظن فلا نبادر

(١) مقدمة « دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه » ، تحقيق العلامة زاهد الكوثري ، ص (٣٢) .

(٢) ص (٣) ، ثم سرد الرسالة وهي في (٤١) صفحة وهي جيدة ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٧٤٩ هـ .

بالدليل الظني ، وفهمنا فيه إلى تضليل الآخرين وتبديع المخالفين ، وجلّ اعتمادنا في ذلك ما قال فلان وفلان ، وقد علّمنا على أيدي مشايخنا أن نعتقد أن الرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

ما أحوجنا إلى حكمة الإمام البنّا رحمه الله تعالى : نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه .

إن أريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، والله أعلم .

وبعد :

قال الإمام المفسر المحدث ، الأصولي الفقيه أكمل الدين محمد بن محمد البابرّي في مقدمة شرحه « عقيدة الإمام الطحاوي » رحمهما الله تعالى :
الحمد لله الواجب وجوده وبقاؤه ، الواسع جوده وعطاؤه ، القديم برّه وإحسانه ، العميم طوّلُه وامتنانه ، المنزه في ذاته عن كل شبيه ومثال ، المتعالي في صفاته عن التغير والزوال ، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله بالحق داعياً ، وللخلق هادياً محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ، ومصاييح الدجى .

وبعد ، فإن أجل العلوم وأعلاها ، وأوجبها على العاقل تحصيلاً وأولها « علم أصول الدين » الذي يشتمل على معرفة الله تعالى التي هي أصل كل علم ، ومنشأ كل سعادة ، لأجلها خلق الثقلان ، على ما فسر قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، ليعرفوني . ابن عباس « ترجمان القرآن »^(١) .

(١) « شرح عقيدة أهل السنة والجماعة » ، للدكتور عارف أيتكن ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

وقال الشيخ أبو الإمداد العلامة إبراهيم اللقاني في « جوهرة التوحيد »^(١) .

الحمد لله على صلّاته	ثم سلام الله مع صلّاته
على نبي جاء بالتوحيد	وقد خلا الدّين عن التوحيد
فأرشد الخلق لدين الحق	بسيفه وهديده للحق
محمد العاقب لرسول ربه	وآله وصحبه وحزبه
وبعد فالعلم بأصل الدين	محتّم يحتاج للتبيين

أقول : لقد تصاغر هذا العالم حتى كاد يصبح بلداً واحداً ، ولقد أخذت من جديد عقائد أهل الأهواء تغزو كل المسلمين وفي كل مكان وعلى مستويات كثيرة ، ومختلفة وفي ميادين لا تكاد تحصى ، وجهل كثير من المسلمين أصول دينهم ، وقواعد اعتقادهم فأضحى ، نعم أضحى حقاً أكثر من الماضي على العلماء الذين آتاهم الله تعالى علماً وتقوى ، ولساناً وقلماً أن يعرضوا عقيدة الإسلام على حقها ونورها وصفائها ، ويدفعوا بيد الحجة دعوات الزيف والضلال بإذن الله وأن ينقلوا كتابات العلماء في ذلك .

قد يقول قائل لقد نقلت عن ابن تيمية نقولاً تظهر خطأه في بعض قضايا الإيمان وانفراده بأقوال شاذة في الإسلام أما للرجل محاسن ؟ يقال له : لم نقصد في هذا البحث ترجمة حياة ابن تيمية العلمية ولو أردنا ترجمته لذكرنا محاسنه الكثيرة وعلومه الكثيرة وعلوه بمسائل في الفقه مراتب سامية ، وسموه في بعض مسائل التصوف مثلاً سموّاً لا يعرفه إلا بعض أهل العلم والنظر .

(١) شرح هذه الجوهرة شرحاً مشبعاً للروح ، ومغذياً للفكر ، موضحاً للمحجة البيضاء الشيخ الأستاذ عبد الكريم تتان في مجلدين (١٢٣٨) صفحة ، طبع دار البشائر في دمشق

سنة ١٤١٥ هـ .

لقد كان ابن تيمية حافظاً لكتاب الله تعالى ، مستحضراً سنة رسول الله ﷺ وأقوال الصحابة وكرام العلماء وكان مجتهداً موفقاً في مسائل من الفقه . لقد عاش عزباً لم يتزوج لا زوجة له تشغله ولا ولد يسعى لمعاشه ومطالبه ، ولم يقرب من السلطان ولا تملق أصحاب الجاه والمال لذا فقد فرغ قلبه للعبادة والطاعة وشغل وقته بالعلم والكتابة . فما يكتب رجل عن ابن تيمية مترجماً إلا ويذكر الكثير الكثير من محاسنه وفضائله وهذا البحث ليس ترجمة فلا يلومنَّ قارئ ولا يعتب مطلع .

لقد طوف ابن تيمية ووقع في أسماء رجال وعلومهم . ونقد نقداً مرأبلاً وظالماً بعض من شَهِر في الناس تقواهم ومعارفهم . ولكن عندما كبرت سنه وهدأت غلمة شبابه وحماسه للعلم وكلامه في الرجال والمعارف قال ما ذكره الذهبي عنه : رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي : سمعت أبا حزم العبدري - سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داره ببغداد دعاني فأتيته فقال : أشهد عليّ أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد ، وإنما هذا كله اختلاف العبارات .

قلت : الذهبي ؛ وبنحو هذا أدين ، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول : أنا لا أكفر (أحداً) من الأمة ، ويقول قال النبي ﷺ : (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم . ترجمة الإمام الأشعري من (سير أعلام النبلاء ١٥ / ٨٨) والله أعلم .

وهذا ما يَسِّر الله كتابته في هذه المسائل ، سائلاً الله القبول والرحمة والثواب لي ولوالدي ومشايخي ، والمسلمين ، آمين .

وكتبه

وهبي سليمان غاوجي

الشارقة - الإمارات

الفهرس

٥ المقدمة
٩ تمهيد في تعريف علم التوحيد وأهميته
١٣ أهل السنة والجماعة
١٥ مدارس عقيدة أهل السنة والجماعة
٢٠ الإمام الماتريدي
٢٣ الخلاف بين الماتريدية والأشاعرة
٢٤ تفصيل وبيان من هم أهل السنة
٢٩ السلف والخلف من أهل السنة والجماعة في الجملة (السلف)
٣٢ السلف والخلف من أهل السنة والجماعة في الجملة (الخلف)
٣٦ التأويل
٣٨ قاعدة قبول التأويل وشروطه
٤١ وجه الحاجة إلى التأويل بعد العصور الأولى عند أهل السنة والجماعة
٤٣ التأويل لا يعني نفي صفات الله تعالى
٤٥ ردود على شبهات
٤٥	١ - مسألة الحدِّ والصفات والأسماء
٤٧	٢ - قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
٥١	٣ - لا ينبغي لأحد أن ينطق في الله تعالى بشيء من ذاته
٥٣	٤ - قال الطحاوي تعالى الله عن الحدود
٥٦	٥ - قال بلا كيف وهو على العرش كما وصف به نفسه في كتابه
٦١	٦ - خطأ في تقرير عقائد بعض الأكابر
٦٦	٧ - فتنة القول بخلق القرآن
٧٠	٨ - قال دكتور كان حنفي المذهب
٧١	٩ - كلام الله تعالى ليس بصوت
٧٤	١٠ - قال الله تعالى ﴿يَحْصِرَنَّ عَلَى مَا قَرَّبْتُ﴾
٧٥	١١ - مسألة الصورة

- ١٢ - قال الله تعالى ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ...﴾ ٨٠
- ١٣ - لا يجوز إطلاق الجسم على الله تعالى ٨٦
- ١٤ - رد ما لا يصح من نسبة الجسمية إلى الله تعالى ٨٩
- ١٥ - ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ١٠٠
- تعليق على قول ابن تيمية أن المعراج كان إلى الله ص ١٩ ١٠٣
- ١٦ - خطر نسبة الجهة إلى الله تعالى ١٠٨
- ١٧ - ابن تيمية والتأويل ١٠٩
- ١٨ - نفي القول بحلول الحوادث بذات الله تعالى ١١٨
- ١٩ - الله تعالى خالق كل شيء من العدم ١٢٢
- ٢٠ - تعالى الله وتنزه عن المكان ١٣٠
- ٢١ - نظرة علمية إلى كتاب (السنة) ١٣٤
- ٢٢ - مع الشيخ عبد العزيز بن باز ١٤٢
- ٢٣ - بقاء الجنة والنار أبد الآباد لا تفنيان ١٥٨
- ٢٤ - العرش - مقال أهل السنة ١٦٦
- ٢٥ - الأخذ من الكتب السابقة ١٧١
- ٢٦ - عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١٨٢
- ٢٧ - ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ ١٨٩
- ٢٨ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ ١٩٠
- ٢٩ - ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا﴾ ١٩٤
- أحمد بن تيمية ١٩٩
- خاتمة بنصيحة ٢٠٥
- وبعد ٢١١
- الفهرس ٢١٤